حكايات الـ ٤٩

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

اسم الكتاب: حكايات الـ ٤٩

اسم المؤلف: محمد حمودة

التدقيق اللغوي: خلود أحمد

تصميم الغلاف: مروة محمد

الإخراج الداخلي: خالد محمود

رقم الإيداع: ٢٦٢٥٩ / ٢٠٢٢

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٦٤٢٨-١-٠

مسار للنشر و التوزيع
Massar publishing & Distribution

ش- حسن خطاب - قسم يوسف بيك - الزقازيق - الشرقية

01020439639

massar.pub1@gmail.com

حكايات الـ ٤٩

محمد حمودة

مسار
للنشر والتوزيع
Massar publishing & Distribution

إِهْدَاء

إلى تلك الملكة التي علمتني الكثير.. استوعبتني كطفل.. شجعتني كبطل.. حمتني ودافعت عني في أشد المعارك.

إلى الملكة التي أمسكت يدي لأعبر أبواب الخوف فاقتحمت معها المستحيل.. إلى التي تحدَّت من أجلي كل القوانين..

أهدي هذا الكتاب.

تحذير

حكاياتي ليست مجرد قصص تُرْوى، إنما هي بوابات تفتح بين عالمين؛ عالمك الذي تعتقد أنك تعرفه، والعالم الآخَر، ولكل عالم قوانينه التي تحكمه ومخلوقاته التي تسيطر عليه.

فإذا كنت لا تجرؤ فلا تدخل.

وإن أردت الدخول فتسلح بالإيمان واعلم أن دخولك على مسئوليتك الخاصة.

-محمد حمودة.

لعنة الطريق الدولي الساحلي.

الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، صوت الريح يزداد، صوت الرعد يهز المكان، قطرات المطر وهي تضرب خشب الشباك الخارجي يشبه صوت الحصى، المحمول يرن.

تلفت متململاً من تحت الغطاء الدافئ، مددت يدي لأنظر للساعة قبل أن أنظر للرقم:

خير، مين البارد الغتت ده اللي بيرن في الوقت ده، خير.

فتحت الخط دون أن أنظر لاسم المتصل وفي نيتي أبدأ بوابل من الشتائم،

صوت أجش يسأل: حضرتك مستر محمد حمودة ؟

أيوه أنا، أنت مين؟

معلش فيه واحد عامل حادثة كبيرة على الطريق الدولي، مش عارفين ده مين ومش معاه بطاقة، كل اللي عمله فتح محموله وشاور على رقمك وراح في غيبوبة

قاطعته بسرعة: شكله إيه؟ ورقم عربيته إيه؟

كان راكب بيجو عمل بيهم حادثة عند بركة غليون بعد محطة كهربة البرلس.

أيوة، ماقالش حاجة وشكله إيه؟ أوصفه ليا، ممكن..

قاطعني بعنف: يا فندم المطر شديد والدم كان مغرق وشه وشكله بيطلع في الروح، تعالى بسرعة.

انتفضت من السرير ومعرفش لبست إزاي وأخذت مفاتيح العربية، وقلت لنفسي: مش معقول أصحي أخويا رضا في الوقت ده، وأنا معرفش أصلا مين ده.

حاولت أتصل بنفس رقم التليفون لقيته مغلق، كان متسجل على التروكولر باسم (أبو صابر الصياد)

قلت لنفسي: يمكن مقلب حد عامله فيك، مش معقول، ده اسمه الصياد يعني من منطقة البرلس بجد.

طب ما يمكن قصده حد تاني؟

لأ ده قال اسمي، أيوة ؛أنا فاكر قال مستر محمد حمودة.

سميت الله ولبست أثقل حاجة عندي، نزلت والجو بيمطر وأنا مش عارف اعمل إيه.

دورت العربية وسميت الله وقلت الأذكار والعربية بتسخن قلت أكتب رسالة لأخويا رضا.

ولزوجتي على الواتس، ولما يصحوا يبقوا يقرأوها، الواحد ميضمنش الظروف.

-أنا مسافر دلوقتي على الطريق الدولي عشان ألحق حد عمل حادثة، أنا مش عارف مين بس اللي بلغني قالي إنه طلب يتصلوا برقمي ودخل في غيبوبة، الساعة دلوقتي واحدة وتلت.

ده كان مضمون الرسالة اللي بعتها

سوقت العربية وأنا مش عارف بسوق إزاي، مشغل القرآن وبسبح والطريق مقطوع خالص وكلهماية من الشتا.

دخلت البنزينة قبل بورسعيد وفولت والمطر بيضرب في صاج العربية زي الرصاص ومغرق الشاب اللي بيفول العربية .

قعد يبصلي قوي وقال: خير؟ في حد بيطلع في الجو ده ؟

مردتش عليه، مش عارف أقوله إيه .

دورت العربية ومشيت .

المطر يزداد، بحاول أسيطر على العربية بالعافية، وصلت كافيتريا نعيم الزيني بس مش هقدر أقف لازم ألحق الراجل اللي بيموت، يمكن حد قريبي، آه أكيد حد قريبي قوي .

بس إيه اللي جابه هنا على الطريق ده في الوقت ده، الإسماعيلية بعيدة عن هنا ومحدش أصلاً بيحب الطريق ده بليل وبالذات في الجو الوحش ده.

عمومًا أنا قربت جامعة الدلتا والمنصورة الجديدة عدت.

الطريق مقطوع، يا رب سلمني أنت عارف أنا جي أنقذ واحد، يا رب هون، يا ريتني جبت حد معايا، يبقى ونس على الأقل، طب وهو ذنبه إيه أصحيه وأمرمطه معايا دلوقتي؟

إيه ده يا حمودة أنت بتكلم نفسك؟ سبح ربنا، استغفر، يمكن مجيتك هنا خير، حد واقف تحت الكوبري ولا بيتهيألي؟ قلبت النور العالي، واحدة ست لابسة عباية مبلولة وعلى كتفها عيل صغير، شفت شكله؛ وشه أبيض

وغمض عينه من النور.

أقف؟ لأ طبعًا، افرض عصابة بتثبت العربيات، لأ مفيش حد واقف والحتة فاضية باين مفيش حد حواليهم، طب، طب ما يمكن ربنا بعتك عشان تكون سبب في مساعدتهم؟

فرامل، العربية بتعوم، يا ستير، صوت الكاوتش على الأرض يخوف، ريحة شياط الكاوتش طلعت.

الحمد لله وقفت بعيد عنهم شوية بشوف من المراية بالعافية. مش شايف حاجة،

صوت امرأة متقطع مكسوفة بتقول بقلق:

ممكن تخدني معاك ؟

نزلت حته صغيرة من الشباك: على فين؟

قبل بركة غليون بشوية، معلش والله أنت شايف مضطرة أشاور لأي عربية، كتر خيرك إنك وقفت.

اتحرجت، مقدرتش أرفض أو أمشي، فتحت الباب اللي ورا ودخلت وأنا طلعت بالعربية .

لحظات صمت وقلق والقرآن شغال في الراديو.

قلت أقطع الصمت شوية قلت لها : خير طالعة بالعيل في الوقت ده ليه والجو برد عليه؟

جوزي منه لله اتخانق معايا وحلف عليَّ بالطلاق إني أبات في بيت أبويا ومابيتش في البيت عنده.

رديت بحزن: معلش حصل خير، ربنا يهديه.

هتعرفي توصلي في الجو ده؟

قالت: الفجر قرب يطلع وربنا كبير.

نور سيارة مقابل، النور العالي في عيني، مش شايف كويس، النور المقابل جه على الكرسي الخلفي، الفضول دفعني أبص في المراية على وش الست اللي ركبت، على الأقل أعرف شكلها يمكن يحصل في الأمور أمور.

لفت وشها بسرعة بعيد عن النور وعن المراية، اتحرجت؛ قلت لنفسي الست تقول إيه؟

سكت وما اتكلمتش خالص، محطة كهرباء البرلس عدت، يا مسهل قربنا من البركة.

قالت: بعد حوالي خمسة كيلو أقف على جنب ولو ممكن تنورلي بالعربية عشان أنا خايفة، معلش لغاية ما أدخل شوية بس في الطريق.

هديت بعد حوالي خمسة كيلو.

الطريق الساحلي مقطوع، بصيت الأول يمكن حد مستخبي بسلاح ولا حاجة، مفيش حد باين، شجعت نفسي وقلتلها أنت بتعمل لله، متخفش ربنا هيحميك، وقفت ونزلت وقالتلي: شكرًا يا مستر.

لفيت العربية شوية عشان أنور لها الطريق، غريبة، مفيش طريق ظاهر أصلًا، لقيتها دخلت هي وابنها في قلب الصحراء قلت يمكن هي عارفة الطريق.

فجأة لقيتها اختفت، خُفت، خفت عليها والعيل الصغير قلت لنفسي

يمكن وقعت في حفرة ولا حاجة.

اترددت، أمشي؟ أنزل أشوفها؟ بطلت العربية وسبت النور العالي ،وأنا بنادي: يا ست، يا مدام، أنت كويسة؟

وصلت لحد آخر مرة شوفتها، تبة تراب عالية شوية وتحتها أرض واطية

بصيت لمحت كتابة على التبة جزء منها ممسوح "مقابر عائلة أبو صابر الصيا...

شعري وقف، اتلبشت، فجأة كل حاجة حصلت ربطّها ببعضها وانتبهت، انتبهت إنها قالتلي يا مستر.

يا مستر! مستر !

يا وقعة سودة! عرفت إني مستر إزاي؟ حاولت أجري، مش قادر كل ما أجي أقف أقع، زحفت مسكت في الأرض كأني عيل بيحبي، نسيت آية الكرسي نسيت كل حاجة عارفها .

حاولت أمسك في العربية وارفع نفسي، فتحت العربية بالعافية ،التواشيح في الراديو.

دورت العربية وجريت دست بنزين جامد مهمنيش المطر والعربية، كل اللي فكرت فيه أبعد، غصب عني بصيت في المراية، ياريتني ما بصيت، هي! والله هي! راكبة ورا لسه.

بصلتي في المراية وأول مرة أشوف عفريتة، صوت زي الرعد حاد يزلزل جسمك ويكهرب جلدك ويوقف شعر جسمك كله، كأن مليون إبرة دخلت في جلدك، ألم في ودنك، شلل في جسمك، كنت كأني بغرق، النفس اتحاش،

سمعتها بتقول لولا المعروف يا محمد كنت خدتك، خدتك.

والصوت يتردد بقوة.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر. -صوت آذان الفجر في إذاعة القرآن الكريم-

كل حاجة اختفت، ضغطت الفرامل بشدة العربية لفت محستش بحاجة.

يا حاج، يا حاج، أنت بخير؟

فتحت عيني لقيت النهار طلع، سواق نقل والتباع بتاعه واقفين جنبي بعربيتهم بيفوقوني:

يا حاج أنت بخير؟ فيك حاجة؟ هاتله يا بني شويةماية.

بصيت ومردتش، نطلبلك الإسعاف؟

قلتله: أنا فين؟

قالولي أنت في بركة غليون.

اتشهدت قالولي : اهدأ، وقول لنا إيه اللي حصل؟

حكيتلهم وبصوا لبعض قوي وسكتوا، قالولي: أنت أول مرة تمشي على الطريق بليل؟

قلتلهم: أيوة.

قالوا: دي المبروكة.

مبروكة إيه؟ إيه اللي باركها؟ يعني إيه ؟

قالوا: بسم الله الرحمن الرحيم، دي عفريتة بتطلع هنا من زمن لأي حد

ماشي لوحده بالليل، عشان كده إحنا مش بنمشي على الطريق بليل لوحدنا بنطلع عربيتين ورا بعض أو أكتر.

جدودنا قالوا لنا إن فيه ست اتخانقت مع جوزها فقتلها هي وابنها الصغير ورماهم هنا، لقاهم شيخ صياد الله يرحمه؛ اسمه أبو صابر ودفنهم في مقابر عيلته من زمن وهو كمان لما مات اندفن معاهم، أحمد ربنا، أنت راجل طيب، الحمد الله إن ربنا نجاك.

قوم دور عربيتك وأحمد ربنا إن العربية ملفتش على الأسفلت كانت أي عربية نقل ركبت فوقك، أحمد ربنا إن العربية وقفت في الرمل بعيد عن الطريق.

سألتهم: طب والحادثة بتاعة إمبارح؟ والبيجو؟

قالولي: مسمعناش عن أي حادثة.

إحنا من البركة ومفيش حوادث حصلت، قوم روح لعيالك.

دورت العربية ورجعت للبيت لقيتهم لسه نايمين،

مسحت الرسالة اللي كتبتها وغيرت هدومي، كتبت ورقة جنب سريري

محدش يصحيني سبوني أصحى لوحدي، ونمت، نمت ومحكيتش لأي حد لغاية دلوقتي، أول مرة أحكي حكايتي من سنين، السؤال اللي شغلني لغاية دلوقتي

مين دي؟ وليه أنا؟

-الإسماعيلية السابع عشر من فبراير ٢٠٢٢ بعد منتصف الليل.

الكنز

كان سني بالضبط عشر سنين، كنت وقتها في الإسكندرية، في منطقة اسمها شارع الترعة، الكلام ده كان من تسعة وثلاثين سنة تقريبًا، كنت شقي قوي، أبويا يروح الشغل الصبح من هنا وأنا أنزل الشارع من الصبح مطلعش إلا بليل، في اليوم ده نزلت وياريتني ما نزلت.

-صباح الخير يا حمو.

-صباح الخير يا سيد.

- تيجي تلعب معايا؟

-نلعب إيه؟ السبع شقفات ولا العصفورة؟

السيد: نلعب الكنز .

كنز إيه؟ هو فيه لعبة اسمها الكنز؟

بص أنا عارف مكان كنز في العمارات اللي لسه بتتبني جديد جنب الترعة، في واحد بيحفر هناك وأنا بقف أساعده وبيديني فلوس.

أنا برد بفرحة لما سمعت سيرة الفلوس: بجد يا سيد؟

طب ممكن يديني نص فرنك -عملة عبارة عن قرشين صاغ يعرفها أهل إسكندرية القدامى- أشتري مكرونة بالشطة من عند عم خليل.

السيد: هيدينا شلن.

-يلا بسرعة.

مشيت جنب الترعة لغاية ما وصلت لأرض رشح، المية طالعة من الأرض ما بين حيطان طوب أحمر متغطية بعفن أخضر وريم.

مباني قديمة مع بعض المباني اللي لسه بتتبني، الطينة في الشارع وسخت الشبشب والبيجامة الكستور المخططة، شمرت البنطلون وشلت الشبشب في إيدي والسيد قدامي

سيد، سيد، استنى شوية.

-يا عم مد بسرعة، أنت خايف ولا إيه؟

وصلت لبيت جانبي مهجور على الطوب الأحمر، وفيه ريحة منتنة ظهرت معرفش جات منين؟

لقيتني بقول: سيد أنا مرو..

لسه مكملتش، لقيت صوت راجل قاطعني: مين ده يا سيد؟

-ده حمو اللي قلتلك عليه.

-أبوك فين؟

-استعجبت لسؤاله عن بابا-. آه، إزيك يا حمو؟ في الشغل.

-هو شغال فين؟

-في شركة النصر للبترول.

أنت في سنة كام يا حمو؟

سنة تالتة.

مدرسة إيه يا حبيبي؟

مدرسة صقر قريش.

الراجل بيكمل كلامه مع السيد: بس يا سيد هننط سوا من الشباك ده عشان نخش، عمك درويش جوه.

الراجل نط، وانا اتشعلقت بعد السيد ونطيت، لقيت راجل كبير لابس جلبيه لونها أسود، ودقنه لونها أبيض، وحفرة في نص الأوضه

حفرة كأن في غرفة تحت الأرض، وهما فاتحين فتحة في حتة منها من فوق، فتحة تدخل عيل صغير بس.

الراجل اللي اسمه درويش بصلي وخدني من إيدي وإداني شلن بحاله.

معرفش ليه قالي طلع لسانك ووريني كفك، وبص في عيني قوي، بصته خلتني أقشعر

قالي لو عرفت تخش من هنا وتجيبلي العلبة اللي جوه، أنا هديك جنيه.

جنيه! أنا كنت بسمع من أبويا إن مرتبه ١٠ جنيه بس عمري ما مسكت الجنيه ده، هو أنا لسه هفكر؟

تيجي معايا يا سيد؟ -بتكلم وأنا بمد دراعي عشان أخش-

عم درويش رد: السيد هيفضل برا، خليك أنت يا سيد، حمو جسمه صغير وما بيخفش.

-حاضر يا با -السيد بيرد على درويش-

أنا بحماس: أنا راجل وما بخفش.

دخلت أول دراع وعديت راسي، زقيت صدري ودخلت الدراع التاني، وسحبت رجلي ونزلت زرع بصل على إيدي ودماغي.

اهبد، أه ياني.

عم درويش بيسأل: حمو أنت كويس؟

-الدنيا ضلمه قوي يا عم درويش.

-يعني أنت كويس أهو؟

-تمام، يا حلمي هات الحجر والمسطرين والمونة.

صوت الراجل التاني: أنا محضرهم.

صوت عم درويش: وطلّع السيد بره وقوله يستناني في البيت لغاية ما أروح وما يحكيش لأي حد حتى أمه.

أنا في الأوضة الضلمة مش شايف حاجة وبعيط، بصرخ وصوتي بيروح: سيد ،سيد..

الدنيا بتظلم زيادة مع كل حجر بيقفلوا بيه الفاتحة، صراخي عالي بس مش مسموع، بترعش جامد، بعيط، واصرخ، وأكح، وأصرخ، صوتي اتحشرج.

سمعت صوت درويش بيقول: مش مهم ندبحه، إحنا قدمناهم الواد أهو، وهم أحرار، هو نفس المواصفات والسن وهو كده كده هيموت من الخنقة والجوع نيجي بعد ٣ أيام ونفتح البخور المغربي ونطالبهم بالكنز.

آخر نور اختفى، الريحة وحشة قوي، الأرض كلها مية رشح، وقعدت في مكاني مش عارف أعمل إيه، قعدت فترة وأنا مش شايف حاجة خالص جوا ومش سامع حد برا، تقريبًا بقيت بليل، الريحة الوحشة بدأت تختفي،

بالعكس الريحة بقت جميلة قوي

المية بتختفي، نور جاي من تحت، من الأرض، فيه حد طالع سلم أبيض -مكنتش أعرف الرخام وقتها- ظهر في الأرض، نور شديد بيظهر، خوفت وفرحت، لأ خوفت أكتر، كنت فرحان إن حد هياخدني من هنا ويوديني لأمي؛ بس خوفت من النور الجامد ده، ويا ترى مين اللي طالع؟ كنت بسمع أمي تقول لأختي الكبيرة ما تروحيش ناحية الترعة والحتة المهجورة، كانت بتقولها العفريت هياخدك، يا ترى مين اللي طالع ده؟ هو العفريت بينور زي فانوس رمضان أبو شمعة؟ فانوس آه، أنا نفسي في فانوس، كل الكلام ده جوايا هرب مني لما شفت شدة النور طالع من الأرض ولقيت اثنين قدي بالظبط في الطول وتقريبًا ولد وبنت كانوا لابسين لبس أبيض وأخضر وريحة جميلة قوي في المكان، النور بدأ يقل شوية خلاني أقدر أشوف ملامحهم.

الولد وشه مدور وعينه كبيرة وحواجبه ماسكة في بعضها وخدوده حلوة قوي لونها أحمر على أبيض كأنه رسمة من كتاب في مكتبة المدرسة، نفس طولي ريحته جميلة قوي كأنه شايل معاه ألف ورد بس فيه حاجة غريبة إيديه طويلة قوي، واصله لركبته، هدومه لونها أبيض قوي مش زي هدومي اللي كلها طينة، وهدومه بترفرف من غير هوا، لابس على رأسه طاقية عالية خضرة، الله، شكله جميل قوي، بس مش بيمشي زينا، مشوفتش رجليه بتتحرك خالص، بيقرب وفي إيده بنت لابسة فستان أخضر، أخضر قوي، وشكلها جميل، عين واسعة، مش عارف شكل عينيها مش زينا، قصدي مش زيي أنا وأخواتي وأولاد عمي، لأ ،كانت إيديها بنفس طول إيدي أنا، مش إيد أخوها، وشها أبيض قوي كأنها لبن.

-معلش أنا بتكلم كلام طفل عنده عشر سنين، لأن ده كان كلامي لنفسي

وقتها، سامحوني على لغة الطفولة.-

مكنش باين من رأسها حاجة خالص، لأنها كانت لابسة طرحة خضرة بتلمع وترفرف على كتفها بس قدرت ألمح حتة من شعرها كان لونه أحمر، قربوا عليا -من غير حركة رجلين خالص- كانت البنت متقدمة على الولد شوية لغاية ما وصلوا عندي في زاوية الأوضة، أصل أنا بصراحة فضلت أرجع من الخوف لغاية ما لزقت في زاوية الأوضة ولأول مرة أشوف المكان اللي كنت فيه، كل ركن باب، كل باب بلون مختلف، دي مش أوضة دي مفتوحة من كل ركن من الأركان الأربعة.

ده أحمر، ده أخضر، ده أزرق، ده ... مش عارف اللون الرابع بس كان ضلمة خالص، أنا متخيل باب بس ناحيته ضلمة، مش قادر أميز لونه، يمكن أسود أو بني غامق، مش عارف أو يمكن مش فاكر، مدت البنت إيديها اليمين ومسكت إيدي الشمال والولد مد إيده الشمال ومسك إيدي اليمين وكل واحد مسكني من إيد وقالولي ما تخفش يا محمد امشي معانا دلوقتي مش هنعملك حاجة وحشة.

معرفش ليه اطمنت ليهم؟ مشيت معاهم بسرعة بس كان باين عليهم إن عينهم كانت على الباب الضلمة اللي بدأت أسمع من ناحيته صوت؛ كان صوت يشبه صوت الحديد بتاع المرجيحة اللي بأجرها من عم محمود يوم العيد الصبح، دخلت معاهم من الباب الأخضر وعديت الباب.

إيه ده مش معقول؟ جنينة كبيرة قوي فيها شجر كبير وكتير! ريحة جميلة! نجيلة خضرة! لأ دي مش نجيلة ،دي مابتشوكش زي اللي في غيط عمي حسين لما أروح البلد مع أبويا، دي ناعمة قوي .

جعان يا محمد؟ بصيت لقيت البنت بتسألني وبتبتسم، مستنتنيش أجاوب

وقالتلي دلوقتي تاكل ونلعب بعد الأكل سوا، أنا اسمي مأمونة، وده أخويا نيروز.

شاورت لقيت اتنين رجالة كبار قوي بشرتهم سمراء، شايلين صينية ألمونيا بتلمع قوي -مكنتش أعرف وقتها إنها فضة- وقبل ما يوصلوا عندي بصوا في الأرض وحطوا وشهم في الأرض وماشفتش ملامح وشهم مش عارف ليه.

يمكن قلة تركيز من الجوع أو من أثر الخوف أو يمكن مش عايزين يوروني شكلهم،

المهم كعادتي كان الأكل أهم حاجة عندي، اتشغلت إني أحاول أعرف إيه اللي على الصينية الكبيرة دي، كانت هتجيلي صدمة لما شفت إن اللي على الصينية دي كلها طبق كبير واحد بس، ومتغطي.

لسه همد إيدي، نيروز قاطعني: سمي الله الأول يا محمد.

بصراحة أنا مكنتش متعود اسمي لأننا كنا في بيتنا ست أخوات ولدين وأربع بنات، ولو حبيت اسمي كل ما أكل مع إخواتي الستة كان الأكل خلص قبل ما أمد إيدي.

المهم سميت وهمد إيدي، ردت مأمونة قالتلي: تحب تاكل إيه؟

-اللي في الصينية؟

ردت قالتلي: أيوة تحب إيه يكون في الصينية؟

بدون تردد، طلعت مني زي الصاروخ: فراخ.

شالوا الغطا لقيت فرخة محمرة كبيرة قوي، معرفش إزاي دي كلها كانت

في الطبق،

بصتلهم ومستني يمدوا إيديهم، قالولي: دي كلها عشانك أنت.

كُل، وأحمد ربك، بصراحة خفت أحمد وقتها ليفكروا إني خلصت أكل ويشيلوا الصينية، فبصتلهم وابتسمت، هزيت رأسي وبدأت آكل، آكل، آكل، زي المحروم

لحد ما شبعت خالص، وقلت: الحمد لله.

غطت مأمونة الطبق وقالتلي: تحب تاكل فاكهة إيه؟

قلت لها: تفاح -بدون تردد بدون تفكير- فرصة جاتلي.

شالت نفس الغطا لقيت تفاح من كل لون، التفاح اللي أمي بتشتريه لما أبويا يقبض الحوافز، كان صغير قوي، ده كلامي معاهم، بصوا وضحكوا وقالولي: لو أمك كانت عاوزة كلّ تفاح الدنيا كانت جابته.

ما فهمتش قصدهم، وما همنيش كلامهم بصراحة، شكل التفاح كان جميل وطعمه حلو قوي، أكلت لغاية لما حسيت إني مش قادر آخد نفسي من الشبع، وعينى تقلت قوي وبدأت أسحب في النوم، صحيت على إيد بتهزني: محمد، محمد أصحى.

لقيت مأمونة واقفة بعيد عني مسافة كبيرة وإيديها واصلة لغاية عندي، لما شافتني خايف وببص لأيديها اللي بتطول وتقصر خففت من توتري وقالتلي: مش عاوز تلعب معايا أنا وإخواتي؟

رديت: إخواتك مين؟ ضحكت وقالتلي: إحنا ستة زيكم بالضبط، أنا بفكر- زيكم- إخواتي، أمي !!! -افتكرت أمي وإخواتي.-

انتفضت بسرعة وقلت لها: أمي، عاوز أروّح ،بابا هيضربني، أنا أتأخرت، قاطعتني بصوت هادي: عاوز تشوفهم؟

-أيوة.

-تعالى معايا.

مشيت في الجنينة لغاية ما شوفت بيت زجاج.

قالتلي: بص كويس.

بصيت لقيت أوضتنا، أختي إيمان بتلعب بعروسة قماش، أيوة دي أختي الكبيرة حنان قاعدة شايلة أختي الصغيرة، ماما بتعيط ،خالتي أم منال جارتنا بتقول لماما والمسيح الحي ابنك محمد هيرجع ما تخفيش.

ناديت عليهم بأعلى صوت ما سمعوني، خبطت على الإزاز ما ردوش، نطيت وصرخت ومأمونة قالتلي بالراحة بتخبط على الحيطة ليه؟ قلت لها: حيطة إيه؟ ده إزاز، ضحكت قوي وقالتلي إزاز من ناحيتنا وحيطة من ناحيتكم، إحنا نشوفكم ونسمعكم لكن أنتم لأ، بس ممكن تشوفونا لو إحنا خلناكوا تشوفونا أو نوصلكم صوتنا من غير ما تشوفونا أو نوصل صوتنا لواحد بس.

قاطعتها وقلت لها: ماما بتعيط، أنا عاوز أروحلها، أنا بحبها .

قالتلي: بص هخليك تطمنها بس متقولش لحد من إخواتي إني ساعدتك.

-هتساعديني إزاي؟ قالتلي بص على ودن ماما وشاور بصباعك وأهمس لها وقولها: أنا ضيف عند الحاجة ياسمين وهرجع ما تخفيش، وأنا ها أفتح الحجاب وهتسمعك وقاطعتها: حجاب إيه؟ ماما مش لابسه حجاب.

ضحكت وقالتلي: اسكت شوية.

قلت لها: ممكن اسأل مرة واحدة بس؟ -كنت واخد وقتها على نظام المدرسة-

-اتفضل.

سألتها: مين ياسمين؟

قالتلي: خالتك.

-لأ، قصدي أمي، الملكة ياسمين.

ما اهتمتش كتير، قربت بصيت على ودن ماما وشاورت عليها و وشوشتها في ودنها وقلت لها :ماما أنا محمد، أنا ضيف عند الحاجة ياسمين شوية وهرجعلك ما تخافيش.

لقيت ماما ابتسمت ونادت على بابا: أحمد، أحمد.

بابا: مالك يا فاطمة؟

قالت له: ما تخافش على محمد أنا اطمنت عليه خلاص.

بابا: حلمتي بيه يا فاطمة؟ أنت رجعتي تحلمي تاني؟

-مش مهم تعرف، المهم إن ابني بخير، يا ولاد العبوا وما تخافوش على أخوكم، محمد بخير.

بعد ما طمنت ماما خدتني مأمونة ورحنا لجنينة كبيرة قوي، في وسطها حجارة بيضة بيطلع منها المية -عرفت لما كبرت شوية إنها نافورة.-

لقيت خمسة قاعدين شبه إخواتي ونفس أعمارهم وبصولي وقالولي: إزيك

يا محمد؟

قلتلهم: أنتم كلكم عارفيني إزاي؟

ضحكوا وقالولي: إحنا ياما لعبنا معاك وأنت صغير بس أنت مش فاكر، لو قعدت معانا شوية هتفتكر.

لعبنا وجرينا بس أنا كانت ماما واخواتي وحشيِّني جدًا، قولتلهم ممكن أشوف ماما وإخواتي بيعملوا إيه دلوقتي؟

بصوا لبعض وقالولي: على شرط متطلبش تشوفها تاني النهاردة.

-ماشي موافق.

حنونة بتكلمني وتقولي: تعالى معايا، نسيت أقولكم حنونة يعني أخت مأمونة الكبيرة.

مشيت معاها وبصيت على أوضة ماما لقيت إخواتي بيلعبوا، وماما فاتحة الراديو وشوفت حد صغير قوي طوله يجي ٣ صوابع بيجري ويلعب ما بين رجل إخواتي، وإخواتي مش شايفينه خالص، بس أنا شايفه من عندي .

قلقت، بصت حنونة عليّ وقالتلي: ما تخافش أنت من هنا هتشوف حاجات كتير، أقف واتفرج من غير كلام، وما تخافش عليه هو واخد إنه يلعب كدا

سابتني أتفرج على إخواتي بيلعبوا وأنا فرحان قوي إني شايفهم وشفت أختي الكبيرة حنان بتلعب، قام راجل إسود وحش قوي مد رجله قدامها اتكعبلت ووقعت، ماما نطت من على السرير جري وراحت لحنان، اسم الله عليكِ وعلى أخوكِ قبلك، وشالتها وباستها وحطتها على رجلها، بس

الغريب إن ماما مش شايفة الراجل الأسود بس بتبص ناحيته كأنها عارفة هو واقف فين، بعد مدة ماما جابت الطبلية وحطت عليها طبق الفول والفلافل وفجل وعيش ناشف قابب من الفرن وبصل ونادت على بابا: أحمد أحمد، يلا تعالى الغدا.

أخواتي نزلوا وقعدوا على الطبلية ولقيت حاجات سودة طلعت من تحت السرير ومن تحت النملية -النملية حاجه شبه النيش دلوقتي- واتزنقت جنب إخواتي وبابا وماما، الراجل اللي شكله وحش ظهر تاني وبيبص على ماما بغيظ قوي ورفع إيده وعاوز يخبطها على كتفها فجأة لقيت حد لابس أخضر ظهر قدامه، لقيت الراجل اللي شكله وحش ده صغر خالص وبقى زي الدخان ودخل تحت النملية.

بابا: بسم الله الرحمن الرحيم ومد إيده على الطبق بصيت لقيت كل الحاجات السودة اللي زي الدخان الأسود بترجع بالراحة لمكانها تحت السرير والنملية، أخواتي أكلوا وماما وبابا وقاموا، حنونة جاتلي هي ومأمونة وقالتلي: يلا خلاص كده كفاية عليك أحسن حد يحس بيك وتبقى مشكلة ما بين القبيلتين. معلقتش على كلامها أنا أصلًا مش فاهم كلامهم بس ابتسمت، لأن كان سني عشر سنين وقتها، رجعنا تاني نلعب عند الماية في الجنينة، لقيت كلاب بتلعب بس مش زي كلابنا، وشها ضخم وليها جلد مدلدل من وشها، وكلبين منهم بيتخانقوا على حاجة، أنا رجعت لورا خطوة لقيت الكلبين بصوا لبعض بغيظ ووشهم انتفخ جامد، أنا قلت خلاص هياكلوا بعض، لقيتهم طلّعوا هوا من بقهم واتنفسوا جامد وهدوا خالص ورجع حجمهم يصغر تاني وكملوا لعب، أنا قضيت اليوم ده كله لغاية بليل ألعب وآكل وأتكلم مع عيلة مأمونة وحنونة وأخواتهم لغاية ما اتعشيت وجيت أنام، حنونة جاتلي وقالتلي :أنت هتروح الليلة دي هتلاقي نفسك نايم جنب

ماما، يا محمد إحنا بإذن ربنا أنقذناك من الموت مرتين خلي بالك على نفسك ومتجبش سيرتنا خالص لما ترجع، فيه ناس هيجوا مع بابا وهيسألوك أنت كنت فين؟ ومين خدك؟ أنت مش هترد عليهم خالص مهما كلموك، هتقعد ما ترد على حد غريب لغاية ما يعدي ثلاثة أيام، وبعد كده تسمي الله وتقول باسم الله الذي لا إله إلا هو، وتكلم ماما وتقوللها إنك كنت ضيف عند الحاجة ياسمين، ما تقولش غير كده، وما تحكيش لحد أبدًا مهما حصل لغاية لما ماما الملكة ياسمين تأذن لك تحكي.

-ماما ياسمين؟

ضحكت وقالتلي: على فكرة هي بتسلم عليك وبتقولك هي هتيجي تزورك بس لما تكبر شوية وتفهم.

لقيتني ساكت وبفكر وباين على وشى الضيق.

-مالك يا محمد؟

قلتلها: أنا زعلان.

-من إيه يا محمد؟

-من سيد والراجل اللي قفل عليّ الفتحة بتاعة النور وحبسني.

-ما تقلقش، محدش هيقربلك تاني منهم، كل واحد منهم خد جزاءه.

-أنا يعني مش هلعب مع سيد تاني؟

-مش هتشوفوا تاني يا محمد.

-ليه هو سافر؟

-ما تسألش، عود نفسك على قلة الأسئلة، مش كل حاجه هتحصل لازم

تفهمها.

-طب وإنتم هشوفكوا إزاي؟ وألعب معاكم تاني إزاي؟

-تاني؟ ما أنا لسه قيلالك اصبر مش كل حاجة لازم تعرفها! بس اتطمن هتشوفنا كتير، بس لو حكيت عننا لحد، مش هتشوفنا تاني.

سكتت وكنت عاوز أسألها: مش هتديني الكنز اللي قال عليه سيد؟ بس خوفت من إني اسأل تاني وسكتت.

صوت صرخة فرح مكتومة وحضن جامد قوي فتّحت عنيا لقيت ماما بتضمني وتعلّي صوتها قوي: أحمد، أحمد، محمد رجع يا أحمد.

أبويا بصلي قوي وخدني في حضنه وباسني كتير قوي ومش عاوز يسيبني، قالتله: أنا مش قولتلك هيرجع لغاية هنا؟ الحمد لله، ياما أنت كريم يا رب.

أبويا بيسألني: كنت فين يا بني؟

ماما بصتله وقالت له: ما ينفعش تسأله السؤال ده، وبصتلي جامد كأنها بتقولي: إوعى تتكلم.

رد قالها: يا فاطمة، المخبرين والقسم هيسألوا، ما تنسيش إني عملت بلاغ في القسمٍ ولازم هيحققوا، قاطعته وقالتله: محمد مش بيتكلم، لسانه تقل، وهو فعلاً مش هيتكلم، قوللهم كدا، وروح طمن أبو سيد إن ابننا رجع يمكن ده يخفف عنه غياب ابنه سيد، يمكن يرجع زي محمد.

بصتلهم باستغراب، وكنت عارف إن سيد مش هيرجع تاني، وعرفت بعد أيام إن أبو سيد اتجنن وبقى يمشي في الشارع يبص في السما مرة وتحت رجليه مرة، ويجري، ويرفع إيده كأن فيه حد بيضربه وكأنه بيحوش عن نفسه،

ويصرخ ويقول: ما تضربونيش، كفاية ما أنتم أخدتم سيد، سيبوا درويش، وعيال الحتى بتجري وراه وهي بتقول:ما تضربونيش، سيبوا درويش، ما تضربونيش، سيبوا درويش، ما تضربونيش، سيبوا درويش.

تمت.

الثامن عشر من فبراير ٢٠٢٢

عفريتة الموتوسيكل (اللي بالي بالك)

يمكن العنوان غريب شوية، بس دي قصة حقيقية حصلت معايا لما كان عندي ١٢ سنة، المكان إسكندرية، شارع دنا، متفرع من شارع الترعة.

شارع قديم ملئ بالأطفال بيلعبوا في كل مكان، صوت عالي بيصرخ: الحقوا مراتي، الحقوا مراتي.

دخان يتصاعد بقوة من شباك الشقة الأرضي أمام شقتنا الموجودة في الدور الأول علوي، الناس في حالة هرج ومرج وكله داخل بمية إشي دي حلة، وده جركن، الكل عاوز ينقذ ما يمكن إنقاذه، الكل بيجري بيدوس على مرتبة مولع منها أجزاء، الحريقة انطفت الحمد لله الناس بتسأل الراجل: حمد لله على سلامتك، أنت لوحدك في الشقة ؟

-لأ، مراتي جوه.

-جوه فين؟

الشقة فاضية خالص، الكنب سليم، والسرير سليم، هي المرتبة بس اللي كانت مولعة واحنا دوسنا عليها لغاية ما انطفت.

-مراتي تحت المرتبة.

الناس: يا وقعة سودة، وايه اللي جبها تحت المرتبة؟

-كانت كبت على نفسها جاز ومولعة في نفسها، وأنا حدفت عليها المرتبة عشان أطفيها، وخرجت استنجد بيكم.

الناس جريت على جوه، شالوا المرتبة، تحت المرتبة جثة متفحمة لامرأة تبلغ من العمر ٣٧ سنة، البوليس جه وخدوا الزوج شوية ورجع قعد في الشقة، وفي اليوم الثالث لقينا قسيس من الكنيسة جاي يبارك الشقة ويطرد الروح، كل ده مش القصة، دي بداية أغرب قصة ممكن تحصل لطفل في سني، أنا كنت بنام في الأوضة اللي فيها بلكونة فاتحة على باب العمارة اللي فيها الشقة وكانت العمارة مبنية على شقة واحدة خمس أدوار، وكان صاحب العمارة نجار مسلح عنده موتوسيكل بيركنه في العمارة عند باب الشقة اللي بالي بالكم -معلش مش عاوز أقول اسمها عشان بتحضر على السيرة، أنا سمعت كده من ناس كتير في الشارع- المهم كل يوم بعد الساعة ٣ الفجر الموتوسيكل يدور لوحده، أول مره اتسحبت وبصيت من شيش البلكونة، لقيت قطة سودا واقفة عليه والموتوسيكل داير ومفيش حد جنبه، اللي خوفني إني شفتها بتبص عليا، أيوة القطة هي اللي بتبص، أنا ببص من ورا الشيش ومحدش شايفني لقيتها رفعت راسها وبصتلي، كل ما بحكي شعري بيقشعر، هكمل بردو، المهم؛ كل يوم في نفس الميعاد أسمع صوت الموتوسيكل، بس لأ طبعا ماعدتش ببص تاني - ده لو جه في ذهنكم إني ممكن أبص كل يوم- أهو صوت الجنزير بتاع الموتوسيكل بيتحل، صوت محاولة التدوير، صوت التدوير، لأ، ده صوت سناني بتخبط في بعض، أنا بقول الحقيقة اللي خافيتها عن ناس كتير، صوت الموتوسيكل بيعلا كأن حد بيدوس بنزين، صراخ في الشقة لغاية آذان الفجر، اسمحولي مش عاوز أجيب اسمها الشخصي، أنا اتعلمت خلاص، بتسألوا من مين؟ هقولكم، من شخص اسمه عيد نجم، عم عيد كان كهربائي أفراح بيركب على العواميد الخشب وبيركب الزينة ويقعد بعد الفرح يفك الحبال بتاعة الأنوار، المهم عشان ما أطولش في الأحداث، عم عيد هو الرجولة كلها، الشباب، الشقاوة، المطوة قرن الغزال

ما بتفارقش جنبه، يعني كان واخد بطولة المنطقة في سرعة فتح المطواة، يعني فريد شوقي المنطقة، الرجالة والستات لما جوز الست ساب الشقة من بعد وفاتها بأسبوع وطفش وقال إنها كل ليلة بتطلعله مولعة وبتجري وراه، الناس تروح لمين؟ مش ليا طبعًا، أنا كنت صغير، تروح لعيد نجم وتقول له: نعمل إيه يا عم عيد في الست؟ -بدون ذكرها يا رب يبارك لكم- آه، اللي محدش بيعرف يطلع من البلكونة من الخوف منها، عم عيد كان ضارب كام إزازة بيرة، حسس على المطوة وقال: ما أنا باجي كل يوم الفجرية وما بتقدرش تطلعلي؟

-يا عم عيد، اعقل أنت بتيجي بعد الآذان.

رد بعنجهية: فرقت إيه؟ ما الدنيا بتكون لسه ضلمة ومفيش صرّيخ ابن يومين في الشوارع، أنا ما بخفش وعلى العموم بكرة هسيب الصبيان يحلوا النور وأنا هاجى قبل آذان الفجر، وهوريكم إن انتم جبنا ومفيش راجل فيك يا شارع.

أنا كنت لسه صغير وما همنيش إنه يقول مفيش راجل فيك يا شارع، كل الحتة اتفقت إنها أول ما تصحى تروح لعيد نجم عشان يحكيلهم إيه اللي عملوا في العفريتة وإزاي شقها نصين بالمطواة، دق الباب، عم عيد، افتح الباب، صباح الفل على الرجولة كلها، عم عيد افتح، عم عيد رد، عم عيد مش بيرد، لو أبو الهول رد يمكن عم عيد كان رد، يمكن تقّل في البيرة شوية، افتحوا الباب أنتم، زقوا الباب وكان ساكن في شقة أرضي وما كنش بيقفل الشقة جامد، لأن مفيش حد يقدر يتجرأ على عم عيد عشان يسرقه،

المهم؛ شخص واقع على وشه، مطلع رغاوي من بقه وإيده مشلولة وبوقه معووج، وريحة وحشة -أعزكم الله- طالعة من هدومه الداخلية علامة على

إنه عمل حمام على نفسه، الرجالة نقلوا عم عيد بسرعة على السبع بنات، بعد أسابيع رجع عم عيد بيته مشلول بيتكلم بالعافية، اللي قدروا يفسروا كلامه قالوا: إنهم لما سألوه إيه اللي حصل؟ قال بعد محاولات؛ إنه كان جاى قبل الفجر لقى قطة سودا على الموتوسيكل، بصلها قوي وبكل شجاعة قالها: بس

ردت عليه قالتله: -آه أنت قريت صح القطة قالتله- أنت عاوز تشقني بالمطواة يا عيد يا نجم؟

عم عيد لغاية يوم عزالنا من إسكندرية للإسماعيلية في تقريبا ٣ سنين بعد الحادثة ما كنش بيطلع من البيت أبدًا بعد آذان المغرب، بصراحة ولا حد كان بيجي بعد العشا، كله لازم ينام بدري في شارعنا ولو حد اضطرته الظروف كان بينادي على أي اتنين من العمارة ينزلوا يطلعوه عشان اللي بالي بالك متزنقهوش على السلم، في يوم جم جماعة أغراب وكانوا عايزين حد من عمارة اللي بالي بالك ونادوا عليه، خلوني أحكى لكم الموقف: بعد العشا صمت تام في الشارع، شهر طوبة، سمير، الصوت يعلو، يا سمير.

-أيون -يجي من البلكونة- مين بينادي؟

-انزل عايزينك.

سمير كان طالب في كلية الحقوق، ساكن في الدور التالت البيت بيتهم.

-في إيه؟

-انزل زميلنا -قالوا اسم بس للأمانة مش فاكروا، الكلام ده من٣٧ سنة تقريبًا- تعبان في المستشفى، عمل حادثة، انزل بسرعة.

-يا خبر ده كان معايا الصبح!

-انزل بسرعة، أنت لسه بتفكر؟ اخلص.

سمير بيرد وهو متضايق: حاضر.

صوت فتح باب شقة سمير بعد فترة، صوت خطوات سمير على السلم، درجة سلم، درجة سلم، درجة سلم، كوبس الكهرباء ضرب في عمارة سمير كلها، صريخ سمير، صراخ سمير، صوت ضرب أو خبط، صوات، عياط، خبط على باب شقته، سمير يدخل الشقة، أم سمير تصوت، ابني، ابني، كل الشارع اضطر يفتح البلكونات اللي ما بتتفتحش بعد العشا، أصحاب سمير تحت البيت عاوزين يطمنوا على سمير، كل رجالة الشارع وستاته بينادوا على سمير من البلكونات، ولا واحد قدر ينزل من سلم عمارته هو، مش تقوللي يقرب من باب عمارة اللي بالي بالك، آه أكيد نفسكوا تسألوا على سمير؛ الحمد لله هو مدخلش الامتحانات ومخرجش من البيت لمدة سنة واحدة بس،

الحمد لله، آه نسيت أقولكم إنه لما خرج بعد السنة كان رايح مستشفى الأمراض النفسية والعصبية يتحجز هناك، لو لسه مصممين تعرفوا اسم اللي بالي بالك، أنا بصراحة مصمم أكتر منكم، مش هقول بردو، ملحوظة؛ أنا نقلت من الإسكندرية للإسماعيلية، وسمير كان لسه في المستشفى.

التاسع عشر من فبراير ٢٠٢٢.

القلوب الطيبة

يتقلب علي سريره وهو يقول الحمد لله الذي أحيانا بعد أن أماتنا وإليه النشور، ثم أستند إلى كوعه وضغط على يده ليحمل جسده الواهن ليرتفع قليلًا ثم يمسك بعمود سريره النحاسي حتى جلس قليلًا، على يمينه قارورة المياه وقد تلاشت منها رسماتها المزخرفة كتلاشي كثير من ذكرياته، ثم رفعها إلى فمه وبعد أن سمى الله سكب قليلًا من مائها البارد في فمه، وقد سالت بعض المياه القليلة على جانب فمه فشقت طريقًا إلى تلك الرقبة التي نحتت عليها السنين تجاعيدها التي لا تمحى، ثم أمسك بصديق الكهولة -العُكَّاز- يستند عليه مرة ويوازن نفسه بالاستناد على ذلك الحائط من الطين اللَبن حتى وصل إلى خارج الدار وتحسس طريقه متوكلًا على مولاه وهو يسير على ذلك الحد -طريق صغير بين الحقول- متجهًا إلى الزاوية الصغيرة التي بناها منذ ستين عامًا حينما كان شابًا صغيرًا على ضفة الترعة، ومن حوله تتقافز صراصير الحقل بصوتها الذي لا يتوقف فيحول الليل إلى معزوفة بطلها الناي، لا يقطعها إلا نقيق الضفادع ونباح بعض الكلاب البعيد التي تحاول أن تفرض سيطرتها في وجه الذئاب والثعالب المتسللة إلى داخل هذه القرية المسالمة، وقد فاحت رائحة الطين الممزوج برائحة النجيلة، تلك الرائحة التي لا يعرفها إلا الفلاحون الذين عشقوا الأرض وخيرها، يخدش وجهه الصبوح القمحي، بعض أوراق الذرة التي تجرأت على ذلك الشيخ المسكين أو ربما أرادت أن تقبل وجهه المنير، وصل إلى شط الترعة متهاديًا وأمال عُكَّازه ليضعه بجانبه ثم جلس إلى الماء الضحل -قليل العمق- ليتوضأ

وهو يتمتم بأذكاره الخاشعة ودعواته تصعد إلى مولاه مكللة بتواضع عبادة الثمانين عامًا.

أكمل غسل قدمه اليسرى ثم لبس البلغة - حذاء مغلق من الأمام ومفتوح من الخلف- وأمسك بعكازه وبدأ يحاول الوقوف بعد أن أسدل ذلك الجلباب القصير على ساقه النحيفة التي غطاها كلسون قديم.

صوت شيخ عجوز هادئ حنون يقطع صوت الليل الساري: بسم الله ما شاء الله يا شيخ فاضل حوالي عشرين سنة لا أستطيع أن أسابقك لصلاة الفجر، كل يوم آتي مبكرًا أكثر كي أعرف أسابقك .

ضحك الشيخ فاضل ضحكته الطيبة: أنت يا فضل مرة أخرى، دائما يا أخي ترعبني، طيب كنت قول سلام عليكم! ماذا أقول؟ طول عمرك تحب تضحك معي من وقت ما كنا أطفال صغيرين نجري في الجرن، ولا تغضب يا أخي من أن أسابقك لربنا، أنا أدعو لك كي تسبقني على الصراط المستقيم، وتدخل الجنة قبلي أيضًا.

ضحكة ممزوجة بشوق يظهر في التنهيدة المكتومة: لكن إن شاء الله أنا سأسبقك للقبر وسأتعبك وأنت تحملني على كتفك.

قاطعه أخوه فضل: ربنا يجعل يومي قبل يومك ويجعل تربيتك لبنت ابنك اليتيمة -توحيد- وبنتها في ميزان حسناتك ويا رب ما حد يحملنا أبدًا.

قاطعه فاضل: إذًا فمن الذي سيحملنا؟

يرد فضل وعينيه للسماء: الملائكة وأحبابنا، أحباب الذكر، الذين يحضرونا ونحن نذكر الله بعد القيام يا فاضل.

فاضل: ربنا يجمعنا مع أوليائه الصالحين والعارفين والأتقياء المؤمنين من

الأنس والجن.

فضل يؤمّن بصوت خاشع: اللهم آمين.

يدخل فضل وفاضل إلى الزاوية، يسند فضل أخوه الكبير فاضل ويدخلان إلى الزاوية للآذان فيؤذن فضل، ثم يقيم الصلاة بعد أن يسعى أهل قرية المنزلة المبكرين للصلاة ليصلّوا ركعتي السنة، ثم يتولى فاضل إمامة الصلاة ثم ينصرف الناس ويبقى فضل وفاضل يذكرون الله حتى طلوع الشمس.

يسير فضل وفاضل إلى الغيط المقابل لمنزلهما ويحضران الصمغ العربي وعود حطب ذرة ويدق عليه برفق حتى يصبح كالفرشة ويدهن به فروع الشجر القريبة، ويذهبان إلى منزل فاضل لتناول الفطور.

-توحيد -اسم جدتي لأمي- يا بت يا توحيد.

-نعم يا أبويا، تعالي قبلي يد أبوكِ فضل وحضري لقمة.

-أنا حضرتها من الفجر يا أبويا.

تقبل توحيد مسرعة وتقبّل يد جدها فاضل وجدها فضل وتضع الطعام.

تبدأ توحيد في إشعال الكانون وتحمية الفرن للخبيز، ويخرج الشيخ فضل إلى الأشجار ليجمع اليمام الذي التصقت أصابعه بفروع الشجر الذي غطاه بالصمغ العربي بعد صلاة الفجر، فتقوم توحيد بتنظيف الطير وتضع الطيور في أكبر أذان -حلة ضخمة جدًا- وتضع الماء، وبعد أن يغلي اليمام ويقترب من النضج تضع الأرز، وتغطيه على الكانون، وتضع قطعة سمن بلدي على وجه الأرز بعد التسوية وتغطي الحلة وتخبز عيش طري، ثم تضع كل هذا على صينية كبيرة وتحملها فوق رأسها دون أن تهتز، وتصل بها إلى مضيفة القرية

مع أبيها الشيخ فاضل وتعود للبيت فيقبل الناس ليأكل كل عابر سبيل، فقير أو جوعان، لا يصرف ولا يمنع من هذا الطعام أحد ،تمر الأيام وهما على هذه الحال، ويأتي الحتم المحتوم فيموت فاضل، ويطير الجثمان ليحلق فوق رؤوس الناس بعد صلاة الجنازة عليه في الزاوية ولا يحمله أحد حتى يستقر في موضعه الذي أراده الله له، وبعد سنوات يموت فضل فيطير نعشه بعد الصلاة عليه في الزاوية ليستقر بجانب أخيه فاضل، هكذا روت لي أمي الحكاية، تبقى توحيد -جدتي لأمي- بمفردها مع أولادها بعد وفاة الطيبين.

الثلاثاء، الثاني والعشرين من فبراير٢٠٢

أحمد وشبح الفستان الأزرق

مكنتش أتوقع إني لما أتفق مع دكتور حمادة على السفر للإسكندرية إن الأمر هينتهي كده، على العموم خلوني أحكي لكم الحكاية من الأول.

-حمادة.

-نعم.

- إيه رأيك ما تيجي نغير جو شوية ونخرج ونسافر سفر طويل؟

-فين يا كبير؟

-هو بيحب يسميني كده، حمادة دكتور جامعي عبقري في مجاله، مؤدب جدًا وراجل صاحب صاحبه زي ما بيقولوا.

-إيه رأيك في إسكندرية؟

-معاك يا كبير بس ما نباتش، أنت عارف حتى لو هنرجع الفجر مفيش مشكلة وهسافر بعربيتي عشان ما أتعبكش من السواقة.

ضحكت، كنت بحس إن حمادة بيخاف من سواقتي، هو بيحلفلي إنه عشان يريحني إنما آخر مرة كنا في بور سعيد ورجعنا بليل سوا حسيت إنه قلقان ومتلبش، عامةً أنا مبحبش أزعله، بس بخاف إني أكون بتقل عليه

بدون تردد: وماله؟ إحنا واحد.

سافرنا الساعة ١٠ الصبح وخدنا الطريق الإقليمي، كان فاضي ومريح

جدًا، دخلنا مول سان ستيفانو، إتغدينا وخرجنا إتمشينا وقعدنا لغاية العشاء في بحري، ضربنا اثنين آيس كريم عزة ومسكنا الطريق، بصراحة أنا معرفش الطريق الإقليمي بس كنا مشغلين الجي بي إس، الطريق جميل والجو أجمل، وروح حمادة الحلوة مخلية السفر مريح كان قدامنا عربية كارنز فيها شابين، قعدنا نناغشهم مرة نسبقهم ومرة يسبقونا، وخصوصًا إنها كانت نمر العربية بتبدأ بحرف ط، وإشارات وتقليب نور وجو هزار سبقونا شوية، ومن بعيد سمعت صوت فرامل شديد قوي وعلى النور من بعيد شفت عفرة ودخانة

-يا ساتر يا رب يا ساتر يا رب!

صوت حماده الخايف زاد الجو توتر.

- حاسب يا حمادة!

إدى انتظار ومكملتش خالص، شفت الكارنز الحمراء مقلوبة وعجلها بيلف والدخان طالع منها والعربية متدمرة.

قلتله: اركن بسرعة وإدي انتظار.

ركن ونزلنا جري على العربية الكارنز الحمراء ،حاولنا نفتح الأبواب وخصوصًا باب اللي بيسوق كان باين عليه إن حالته وحشة، الـAirbag ضارب بس الحادثة كبيرة، والشاب متبهدل جامد.

-حمادة معاك حاجة حديد في عربيتك نحاول نفتح بيها الباب؟

-آه، افتكرت في الشنطة ماسورة حديد.

جري جابها بسرعة حاولنا نفتح أي باب، فتحنا الباب التاني وطلّعنا أول واحد، شاب أسمر اللون في منتصف العشرينات، لابس جاكت بدلة كحلي

وقميص لبني، شديته من تحت باطه، كان باين إن دراعه مكسور بس حالته اللي شايفينها إنه أحسن من حالة الشاب اللي كان سايق سبناه علي الأرض ودخلت انا وحمادة نسحب التاني

الدم مغطي جسمه جرح كبير في راسه طلعناه بالعافية وبعدناهم عن الكارنز المدخنة

شاب أبيض وشه فيه علامة صلاة كبيرة وشه منور برغم الدم اللي مغطيه معرفش ليه حسيت إني أعرفه جامد ،الشاب الأسمر أغمى عليه جايز من الخضة أو نزيف إحنا مش شايفينه.

حمادة: هنعمل إيه دلوقتي؟

-اتصل ب ١١٢ الطوارئ هيبعتلنا إسعاف و...

ملحقتش أكمل الكلمة لقيت الشاب الأبيض صاحب علامة الصلاة بيشاور بصابعه، أنا قلت بيتشاهد على نفسه، بس لقيته رفع رأسه وبص لبعيد وشاور، بصيت لقيت بنت واقفة في اتجاه صابعه.

-حمادة روح بسرعة شوف الآنسة اللي واقفة هناك يمكن تكون محتاجة حاجة أو مجروحة.

-حمادة أتلخبط -آنسة مين ؟!

-يا عم أهي اللي لابسة فستان سهرة أزرق.

بصلي وسكت، قاللي: يا عم كانوا اتنين بس في العربية.

-يمكن كانت راكبه ورا والازاز فاميه خلفي فمشفنهاش.

-روح بس وأنا...

أشهد ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله.

-الشاب صاحب علامة الصلاة ينطق الشهادة ويصمت-

صمت تام يسود، رائحة الدم منتشرة، الدخان اللي طالع من الكارنز يزيد.

حسيت إن صوت كل حاجة وقف، الهوا وقف، الصراصير اللي بتصفر في الغيط فجأة سكتت خالص، عربية بتجري بسرعة عدت علي نورها شفت العجب، أيوة العجب

شفت الشاب اللي لسه ناطق الشهادة قدامي ورأسه على رجلي واقف ماسك إيد الآنسة اللي لابسة فستان سهرة أزرق بصيت وأصابتني حالة ذهول.

-حمادة بيهزني: مستر مستر، أنت كويس ،وحد الله -هزني في كتفي- حط الجثمان على الأرض وبنتصل بالإسعاف.

قولتله: أنت شايفهم.

-وحد الله يا مستر شايف مين؟ مفيش غيرنا.

-قاطعته وقولتله- طلع التليفون واتصل بالطوارئ ١١٢ هتلاقيها شغالة حتى لو مفيش شبكة.

-آلو مين حضرتك؟

-بلاغ حادثة.

-ده تليفونك؟

-آه

-ممكن تقوللي رقمه عشان أتأكد؟

-٠١٢...-

-اسمك بالكامل؟

-حمادة ع...

-مكانك فين؟

-لسه معدين يافطة الكيلو ** الطريق الإقليمي.

-تمام، الإسعاف هيكون عندك.

ودني بس مع حمادة وعيني مع الاتنين اللي واقفين بعيد.

أنا بس اللي شايفهم بيبتسموا لية فرحانيين قوي ،صوت الإسعاف يقترب حمادة بيدور في جيب الشاب المتوفي.

-بتعمل ايه يا حمادة؟

-فتح المحفظة-

-هصور بطاقته عشان أنشرها، يمكن في محافظته أكيد حد هيعرفه عشان أهله ييجوا

-الاسم أحمد سعيد، الوظيفة مهندس مدني ،العنوان بورسعيد، شارع طرح البحر أمام...

إداني البطاقة أرجعها في المحفظة عشان كان بيشاور للإسعاف بفتح المحفظة لقيت صورة خطوبة شعري كله وقف، قلبي دق بسرعة، دمعة نزلت مني، كان صورة الشاب ومعاه نفس البنت اللي شفتها بنفس الفستان

،حمادة شال مع المسعفين وخدوا رقم البطاقة بتاعتي وبتاعة حمادة وركبنا عربيتنا وكملنا.

-وحد الله ياكبير.

-لا إله إلا الله يا حمادة.

-أنت مالك؟ وإيه قصة البنت دي؟ أنا عارف إنك جامد ما بتخفش.

-هو كان مفكر إني خايف- أنا كنت بفكر وعاوز أعرف قصة الشاب أحمد سعيد وصاحبة الصورة اللي واضح إنها كانت خطيبته وتقريبًا ماتت ،آه ماتت، أمال جت وخدته إزاي؟ كل ده وأنا بتكلم جوايا بس نويت أنزل أعزي في أحمد وأعرف قصته إيه ،ده أقل حق ليه بعد ما مات بين إيديه وعامة بورسعيد والإسماعيلية مش بعاد، وصلت البيت وقعدت شوية أستجمع صورة الآنسة ذات الفستان الأزرق، وكانت بتدور في راسي أسئلة كتيرة قوي ،ليه جت له مخصوص؟ إيه الفرحة اللي كانت فيها لما استقبلت خطيبها؟ هل ليها دخل في الحادثة ؟ وليه خلتني أشوفها؟ هل عاوزين يبلغوني حاجة عشان أوصلها لأهلهم؟

فتحت الفيس بوك، بحثت بورسعيد، بورسعيد، آه آدي صفحة -حد يعرف بورسعيد- مفيش خبر، آدي صفحة -مباشر بورسعيد- هو ده يمكن الخبر- في حادث أليم توفى إلى رحمة الله المهندس أحمد سعيد صاحب شركة -لمى- للمقاولات وتشيع الجنازة بعد صلاة الظهر والعزاء غدًا أمام منزل العائلة- العنوان مكتوب- عملت screenshot للعنوان، ونمت على طول صحيت الصبح كان يوم جمعة صليت الجمعة وقعدت شوية مع أسرتي وركبت عربيتي وناوي السفر على بور سعيد، القرآن في العربية، وأنا باصص على الطريق ،كارتة بور سعيد قربت أوصل، أخدت الكارتة من

الشباك وأتحركت بالعربية في طريقي ،العربية مبرجلة مش مظبوطة ،مشيت خمس دقائق وبطلت، ركنت مش عارف أعمل إيه ،أروح بورسعيد أجيب كهربائي ولا الميكانيكي ولا أشاور لأي حد وأركن العربية وأنا راجع أجيب معايا حد يصلحها الوقت بيمر، قررت أشاور لأي عربية ملاكي وخلاص، شاورت، أهي هتقف، مشى وسابني ولا كأني واقف، عربية تانية -عربية سبارو ملاكي القاهرة- فيها اتنين شباب وقفولي

-خير يا حاج.

-العربية عطلت، معرفش ليه؟ ممكن تخدوني معاكم معلش؟ ظروف عزا ومضطر ألحقه.

-بكل أدب- اتفضل حضرتك.

ركبت، سمعت واحد بيقول: هي إيه ظروف العزا عند الكل النهارده؟ لا حول ولا قوة إلا بالله، الله يرحمك يا أحمد.

بصيتله وباين عليا الاهتمام.

-معلش متأخذنيش أنتم رايحين عزا أحمد سعيد

-أيوة، تعرفوا منين؟

-سكت شوية- أنا كمان رايح العزا، لو ممكن تاخدوني معاكم.

قعدت في العربية ساكت خالص بحاول أجمع معلومات عن أحمد، بس محدش اتكلم كان باين عليهم الحزن الشديد.

-قاطعت سكوتهم وبدأت أسألهم- أحمد قريبكم ولا صاحبكم ولا كنتم زمايل؟

رد اللي قاعد قدام -أصل أنا كنت راكب ورا-

-كان صديقنا وزميلنا في الكلية هندسة القاهرة.

رد واحد قاعد جنبي وقالي: وأنا كنت زميله في الماستر وكان المشرف علينا نفس الدكتور بس أحمد قدر يمنح الدرجة في سنة واحدة وشهرين ،الله يرحمه كان عبقري زمانه وأشطر دفعته وكان حافظ القرآن الكريم برواياته.

-معرفش ليه حسيت بريحة حسد-

حسيت من كتر كلامه عن أحمد وناسي إنه خلاص مات ماعدتش تفرق معاه،

وصلت العزا، دخلنا، شاب محترم ببدله يشبه أحمد تمام أول ما شافهم خدهم بالحضن وانفجر في العياط ،توقعت إنه أخوه ،قعدت لغاية نهاية العزا بس بصراحة مكنتش مع المقرئ ولا كنت في العزا ،كنت مركز على آخر كرسيين في السرادق ،كان أحمد نفسه وخطيبته قاعدين مبتسمين فرحانين ،اتشديت قوي لما شفت روح البنت جاية ناحيتي،

ما قدرت اتحرك ،اعمل إيه؟ أقف؟ أمشي؟ أسلم عليها؟ اقرأ آية الكرسي؟ مش عارف، وصلت لعندي لغاية ما شاورتلي على الشاب اللي كان بيتكلم عن أحمد بشدة كأنه كان بيحسده، العزا انتهي، مشيت ورا الشاب ده لغاية ما وصلتله ولمست ضهره -التفت-

-شكر الله سعيك.

-رد عليّ ببرود- شكرًا يا عمي.

-مسبتوش- أنت شغال فين؟

-اتلخبط وقال- ليه؟

-عاوز أعزمك تبيت أنت وزمايلك عندي في الإسماعيلية.

- مش هينفع والله يا عمي، الشركة خلاص بقت لوحدها من يوم حادثة لمى، بقي فرع القاهرة لوحده...

-قاطعته- لمى مين؟

-خطيبة أحمد الله يرحمه.

- قصدك الله يرحمهم هما الاثنين.

-لا، لمى عايشة، هي في غيبوبة من ساعة الحادثة.

-حادثة ايه؟ قصدك حادثة أحمد؟ هي مكنتش معاه.

- لأ، دي الحادثة اللي عملتها وهي راجعة بالعربية من القاهرة لبورسعيد بعد خطوبتها من أحمد بأسبوعين.

-هي في أي مستشفي؟

قالي: اسم مستشفي خاص في بورسعيد وسابني ومشي بعد ما أخد رقم تليفوني عشان يطمن عليا بعد ما صلح العربية ،بقيت محتار أرجع الإسماعيلية ولا أروح أزور خطيبته، بس اللي كان قالقني هي ليه شاورتلي على الشاب ده؟ أكيد فيه سر.

سألت على المستشفى وسألت على لمى ودخلت العناية المركزة ووقفت من ورا الإزاز أدعيلها إنها تقوم بالسلامة.

هدوء مفزع يحيط بالغرفة، الضوء الأبيض زادت شدته، برودة، حسيت بنفس جنب ودني اليمين -صوت ضعيف بيهمس-

-خد لي حقي، خد لي حقي منه، هو اللي...

انتفضت على صوت الموبايل بيرن، ده رقم الشاب اللي خد رقمي من شوية أنا حتى ما سجلتوش بصراحة محبتوش خالص، أرد يمكن فيه حاجة.

-أيوة يا عمي.

- إتفضل يا حبيبي، أأمر.

-أنت قولتلي يا عمي إن لمي مكنتش مع أحمد لما مات عرفت إزاي؟

-سكت شوية وقولتله- أنا صاحب العربية اللي بلغت عن الحادثة وأحمد مات وهو على إيدي واتشاهد و...

-قاطعني بتوتر: عمي، ممكن أسألك على حاجة؟

-إتفضل.

-أحمد ما اتكلمش وهو بيموت، يعني ما وصاش بحاجة، قالك حاجة؟ أي حاجة؟

-كان عمال يسأل وأنا ساكت خالص مستغرب من كتر أسألته وإلحاحه.

-على العموم أنا وصحابي واقفين عند عربيتك أنا هستناك عندها عشان ما تجبش ميكانيكي وتقف معاه لوحدك في الحتة المقطوعة دي.

استعجبت من شهامته المفاجئة المهم ما مشتش من عند لمى غير لما أخدت رقم كبيرة التمريض عشان أبقى أطمن عليها، الوقت كان عدى ١٢ مساءً وما لقتش حد يروح معايا عند العربية أخدت تاكسي ورحت عند العربية لقيته مستنيني.

منطقة ضلمة والعربيات كل فين وفين، وهو واقف جنب عربيتي نزلت

والتاكسي مستنيني قولتله: اركب نروح إسماعيلية وتبيت عندي وتمشي الصبح.

-لأ، خلي التاكسي يمشى أنا اتصلت بواحد ميكانيكي قريبنا من بورسعيد وهو جاي يصلح العربية، ده أقل واجب يا عمي.

-اسمك إيه يا حبيبي؟ أنا كل ده معرفتش اسمك.

-عادل يا عمي .

حاسبت التاكسي وأنا وهو ركبنا العربية وقعدنا فيها منتظرين.

-عمي هو الميت بيحس؟

-ليه السؤال ده؟

-أحمد قبل ما يموت كان حاسس إنه هيموت قاللي لمى جاتله في الحلم وقالتله استناني،

أنا سكت معلقتش.

-أحمد قالك إيه؟

-قاللي؟ قاللي إمتى ده؟ أنا ما أعرفش أحمد أصلاً.

هو بيرد بعصبية: لأ تعرفه وهو قالك على كل حاجة .

-حاجة إيه يابني؟ إيه الهبل ده.

-هو جالي في الحلم وقاللي إحنا هنقول لصاحب العربية العطلانة بعد الكارتة كل حاجة وهيبلغ عنك عشان أنت اللي...

- كمل..

بص بفزع بره العربية لقى لمى قدامه، صرخ: أنا ما عملتش حاجة، أنا ما قتلتكيش، أنتِ اللي قتلتي نفسك لما اخترتيه هو.

بكاء ونحيب وصراخ: أنتِ حبتيه ليه؟ وياخدك مني ليه؟ أنا حبيتك قبله.

لمى قربت منه أكتر خاف زيادة وبيحاول يرجع لورا، نور عربية جاي، لمى تختفي، تمر العربية، لمى تظهر :أنا كنت عاوز أحافظ عليكي، أنا مليش دعوة سواق النص نقل هو اللي زنق عليه وعليكِ.

تقترب بتمد إيديها علي رقبته، يجري (لمى).

أحمد يظهر بجانب لمى، الاثنين متجهين ناحيته، يجري ويحاول يعدي الشارع

صوت صرخة فرامل، عربية نص نقل تدوس عليه، جسمه يتفرم تحت العربية، تليفونه يطير من إيده ويقع قرب رجلي.

أنا مذهول، مصدوم، ما بتكلمش، مش قادر أستوعب، سواق النقل اللي دهس عادل يجري على الأرض ويحاول يسحبه من تحت العربية والسواق يلطم ويقول بيتي اتخرب.

أحمد يظهر ويبصلي ويقوللي كلمة واحدة "شكرًا "

يبص على لمى يقولها هستناكِ متتأخريش، تختفي لمى ويمشي أحمد لوحده، إيه ده؟ إيه اللى بيحصل؟ إيه اللَى أنا شايفه ده؟ وليه كل ده قدامى؟

تليفون عادل بيرن فوقني من صدمتي، بقول لنفسي يمكن حد من أهله هو اللي بيتصل، لازم أرد أقولهم يلحقوا ابنهم، أهله ملهمش ذنب، فتحت

التليفون صوت غليظ: حضرت المعلوم، مبتردش ليه؟ أيوة يا هندسة، إيه الشبكة الزفت دي؟ بقية الأتعاب خمسين ألف جنيه ما ينفعوش، عاوز ٧٠ ألف، وأنت حلال عليك الشركة، اسمع حضر الفلوس أحسنلك، أنت مش وش بهدلة.

قفلت التليفون ورميته في البوص اللي جنب السكة، تليفوني بيرن اتخضيت بصيت للشاشة، ممرضة مستشفى (ممرضة لمى).

رديت: ألو، ألو.

-أيوه أنا الممرضة، خبر مش هتصدقه، الآنسة لمي فاقت .

أنا بفرحة: الحمد لله، كلمي أهلها بسرعة.

-لأ، دي عاوزاك أنت، قالتلي عمو أبو بالطو طويل اللي كان واقف ورا الازاز اسمه إيه؟ ممكن تكلميه؟ أنا عاوزاه هو.

-أنا جاي حالًا

الطريق مقفول من العربيات اللي وقفت عشان الحادثة.

نسيت من اللي حصل إن عربيتى عطلانة، أحداث كتير غريبة تشتت العقل، بدور العربية وأنا ناسي إنها عطلانة، دارت ولا كأن فيها حاجة، سبحان الله.

التاسع عشر من فبراير ٢٠٢٢

تحذير من العالم الآخر

لم أكن أعلم حينها – في السادسة عشرة – أن دخول هذا العالم سيحول حياتي إلى ساحة حرب حقيقية، كان كل ما كنت أفكر فيه وقتها أنني أتمتع بقدرات تفوق قدرة البشر الطبيعية، كنت قادر على سماع من يتحدث عني مهما كانت بعد المسافات، كنت أشعر بمرورهم جنبي أو وجودهم من حولي، كنت أنظر للشخص فأعلم حقيقته مهما حاول إخفاء بواطنه، كنت أقرأ الأفكار وأسمع تفكير من يتحدث معي، بل وأكثر من ذلك بكثير، كنت أرى الأسماك أسفل المياه العكرة في ترعة الإسماعيلية فأصطادها بسهولة والصيادون من حولي لا يجدون سمكة واحدة، ولكني كنت على عهدي مع أمي الذي قطعته على نفسي حينما قالت لي: قوتك يا محمد مش في اللي عندك واللي تقدر عليه، قوتك إنك تقدر تخبي اللي تقدر عليه، هيحاولوا يا بني معاك كتير، هيحاولوا يغضبوك عشان تفقد السيطرة على نفسك، هيحاولوا يفتنوك، هيعرضوا عليك الكنوز والفلوس، هيحاولوا معاك هيقولولك خدها واصرفها على الغلابة، أوعى يا محمد، هيعرضوا عليك العلاج، وهيفهموك إن مساعدة الناس بالعلاج أولى، أبعد على طول، خلي بالك دي فتنة، أنت نفسك فتنة، فتنة لنفسك.

نصايح أمي الغالية دي كانت في سن العشرين إنما آخر كلام مع أمي قبل ما تموت كانت بتقولي: أنت عارف إني خبيتك سنتين كاملين، طبعًا أنا حكتلك يا محمد وأنت صغير عملت إيه أنا ومرات عمك علشان أنت تعيش.

بصيت في الأرض واكتفيت بهز رأسي، أمي تستكمل الحديث وهي على فراش المرض الأخير -الموت-.

-كانت كل خلفتي بنات، ساعات أسقط الحمل قبل الولادة، وساعات أولد ويموت بعد كده، وساعات يعيش سنين ويموت ما كان بيعيشلي ولاد، طبعًا أنت عارف إن أخوك أحمد مات وهو عنده ست سنين.

أنا برد بحزن: رحمة الله عليه.

أمي تتحدث بلهجة بطيئة وتنظر إلى سقف الغرفة وكأنها تشاهد فيلمًا سينمائيًا: جالي في المنام شيخ وقاللي يا فاطمة أنت حامل في ولد، عشان يعيش ما يلبسشي غير هدوم مشحوتة مقطعة ومترقعة وتنزلي تشحتي عليه ومتقوليش لحد إنه ولد وسيبي شعره يطول ولبسيه هدوم بنات وحاولي ما تظهريش فرحتك بيه، أبنك مرصود محسود.

طبعًا أنت عارف يا محمد إني لبست أنا ومرات عمك طرحة سودة ونزلتها على وشي أنا ومرات عمك عشان ما حد يعرفنا في الحتة وشحتلك لبس قديم من الناس وهدوم بنات وقعدت كده سنتين، محدش يعرف إنك ولد.

أنا برد بكسوف وهزار: خلاص بقى يا حاجة، لازم تفضحيني؟ وتقولي إني كنت بلبس هدوم بنات؟ والله أنا فاكر شكلهم لغاية دلوقتي.

-أنت عارف إني أول ما قولت للناس إنك ولد فحصل لك إيه؟

-لأ، أنت مقولتليش حاجة؟

-ما رضيت أخوفك، أنت أتشليت، وقعدت فترة تلات شهور ما بتمشيش لغاية لما جه خالك أحمد وقاللي هو محمد ما عاد بيمشي ليه؟ قولتله محمد اتكسح يا أحمد، قاللي و أنتِ ساكته عليه ليه؟ قومي معايا، وخدني

لدكتور كان فاتح في شارع سينما ليلي (مكان مزلقان السوق حاليًا في منطقة باكوس).

الدكتور قاللي احكيلي عملتي إيه في الولد عشان يوصل لكده؟

قولتله وديته يكشف في (تم إخفاء اسم المستشفى لعدم التشهير) وصرفوا له دوا *** ومن ساعة ما شربه مش بيمشي.

-عارف يا محمد الدكتور عمل إيه؟ قام من على الكرسي وضربني على وشي بعزم ما ربنا مديه قوة وقاللي الولد ده ما يروحش هناك تاني، وإداني دوا وقاللي..

قاطعتها بعصبية وغضب: وإزاي يضربك وخالي معاك؟

ابتسمت وقالتلي: طول عمرك راجل، طالع لأبوك، صعيدي حر، المهم أنا رجعت البيت وإديتك الدوا بليل، قمت الصبح بفتح عيني لقيتك ماشي في البيت.

-وعملتي إيه؟ خدت خالك ورحت أشكر الدكتور.

تاني يوم، لقيت الدكتور (سكوت من أمي وتنهيدة وترقب مني) مات، بعد ما ساب العيادة بليل بعد ما كتب ليك الدوا، الله يرحمه كأنه كان مستنيك يكشف عليك ويموت.

-طب وهو ضربك ليه؟

-أنا مش عارفه؟ يمكن تقريبًا عشان أنا وديتك لحد أذاك .

جلست مع أمي نصف ساعة تانية بنتكلم في موضوعات كتير وكنت بتعمد أنسيها مرضها ثم غابت عن الوعي، فوقتها بيرفان كان جنبها كنا

شايلينه عشان كانت بتغيب عن الوعي كتير، لقيت أمي بتبصلي كأنها مش هي، وبرقت وبصتلي في عيني وقالتلي بلهجة حادة: عاوزين ياخدوك مني زي ما أخدوا ابن خالك محمد.

(ابن خالي محمد كان اتوفى من شهر وكان شاب متزوج حديثًا.)

ثم سكتت وميلت وشها الجنب التاني بعيد عني ورجعت بصتلي تاني بس المرة دي عين أمي وصوت أمي وقالت لي: أنا كنت بقول إيه دلوقتي؟

وكأنها ما قالتش حاجة ولا سمعت حاجة.

اليوم ده كان اليوم قبل الأخير في حياة أمي رحمة الله عليها، أنا وقتها عرفت إن ده كان تحذير من العالم الآخر على لسان أمي، تحذير قبل أن تبدأ المواجهة الحقيقية وخصوصًا بعد انقطاع دعاء أمي بوفاتها، وما كنتش أعرف إن الأيام اللي جت بعد وفاتها هدخل الحروب دي كلها .

بالنهار شغل ومدرسة وعمل وعيالي وبيتي والليل حرب ما بتنتهيش، مخلوقات ما ينفعش أوصفها بتحارب ناس أنا ما أعرفهاش ثم أظهر أنا وأحارب والنتيجة تتغير، طول الليل حرب وضرب وجري ووحوش وأقوم الصبح كل حتة في جسمي متكسرة ومضطر أمارس حياتي كده وما أقدرش أحكي كل حاجة.

الحمد لله، ربنا يعين كل واحد على حاله.

تمت.

الأربعاء الثالث والعشرون من فبراير ٢٠٢٢

الشجرة اليتيمة والترعة المسكونة

خرجت فاطمة من باب الدار سارت بقدميها الصغيرتين الحافيتين ثلاث خطوات، بجوارها قطتها البيضاء، وأمسكت بيد الملعقة الصغيرة وحفرت حفرة صغيرة جدًا لا تتعدى طول إصبعها الرقيق أمام الدار ووضعت نواة المشمش التي أخذتها من العالم الآخر وابتسمت وهي ترى النواة كأنها تدور ثم تغوص في التراب، أحضرت كوزًا

-أي كوب- الزير المملوء وسكبته على المكان، وقامت.

كانت توحيد تراقب بنتها، وتراقب القطة من بعيد برغم أنها كانت تشعر أن القطة هي التي تراقبها، فإذا نظرت توحيد للقطة النائمة خلسة تجدها تفتح عينيها وتنظر إليها بعمق وتطيل النظر إليها، فتحاول توحيد أن تصرف نظرها بعيدًا عن القطة وتتظاهر بالالتفات لأي شيء آخر، حتى مرت عدة أيام، وبعد صلاة الفجر سمعت توحيد طرقًا شديدًا على الباب.

-مين؟ مين اللي بيخبط؟ اصبر، أنا جاية.

فتحت توحيد الباب لتجد معظم رجال القرية أمام الباب، فقالت في قلق: خير فيه إيه، كلكم جايين على الدار ليه؟

ابتعد الناس قليلًا وأفسحوا لها لتنظر، نظرت توحيد لتجد شجرة مشمش ضخمة جدًا تظلل بيتها، مليئة بثمار المشمش على بعد ثلاثة أمتار من البيت، أكبر شجرة مشمش رآها سكان المنزلة.

-أنت اللي زرعتي الشجرة دي يا توحيد؟

تفرك توحيد عينيها، قاطعها الناس: الشجرة دي ما كنتش موجودة إمبارح يا توحيد، إزاي طلعت في يوم وليلة؟

تذكرت توحيد نواة المشمش في يد فاطمة، ونادت: فاطمة، فاطمة.

فاطمة تحضر من السرير وتسير مترنحة من أثر النوم للباب وتسند على جانبه وتميل ناحيته وتفرك عينيها: نعم يا أمي.

أنت وديتي نواة المشمش اللي كانت في إيدك فين؟

زرعتها قدام البيت.

تتذكر توحيد كلام الشيخ المتولي، ثم ترتبك توحيد وتحاول عدم لفت الانتباه لفاطمة: إمشي يا بت خشي جوه.

توحيد للناس: ربنا قادر على كل شيء، إنتم متعجبين إن حفيدة الشيخ فاضل ربنا يرزقها بشجرة؟

أهل البلد: شِيللاه يا شيخ فاضل -عبارة تقال للأولياء أصلها إنه فيك شيء لله- مدد، مدد، ممكن يا توحيد تأذني لينا ناكل من الشجرة؟ الشجرة في بيتك وبنتك اليتيمة اللي زرعاها.

توحيد: الشجرة لله، كلوا زي ما أنتم عاوزين، بعد أذنكم هقفل الباب .

من يومها وأهل القرية سموا الشجرة دي الشجرة اليتيمة، يمكن لأن فاطمة البنت اليتيمة هي اللي زرعتها، أو لأن مفيش شجرة زيها، الحقيقة أنا وصلني اسمها بس وكنت بحاول اجتهد في سبب التسمية.

لما دخلت توحيد وفاطمة الدار وقفلوا الباب عليهم كانت القطة البيضة

اختفت ،لاحظت توحيد أن الدار أصبحت مباركة، مفيش أكل بيخلص، ولا مية الزير بتقل مهما اتشرب منها ،راحة نفسية غريبة من بعد ما أغصان الشجرة حضنت البيت كله وظللت عليه، أهل القرية حكوا حكايات كتير عن الشجرة، أغلبها حكايات ما تتصدقش، منها:

الشجرة تحتها نور بيظهر بليل حتى لو القمر مش طالع، ثمار الشجرة ما بتتقطعش طول السنة مهما أكل الناس منها، الثمار بتطلع كل يوم من جديد مع آذان الفجر، مهما كانت الريح شديدة وأغصان الشجرة ما بتتهز ولا تتحرك، نواة الثمار لو اتحطت في مكان ما يدخلش حشرة ولا برص ولا حنش -الثعبان- أنا بنقل ألفاظ آهل القرية واللي قالوه بلسانهم، أكل ثمار المشمش لمدة أسبوع تبدأ من صباح الجمعة تخلي اللي ما بتخلفش تخلف، منقوع ثمار المشمش لو اتغسل بيها جرح يلتئم، ورق الشجرة لو اتحط على جبين المحموم -اللي عنده ارتفاع الحرارة- الحمى تروح، وطحن نواة المشمش وخلطها مع زيت الزيتون تشفي من لدغات العقارب، وكتير من الحكايات الغريبة اللي أنا بعتبرها فتنة للناس، وخرافات لا يمكن أن تكون حقيقة، يمكن عشان كده شيخ المسجد الشيخ المتولي طلب من الناس قطعها، وبسبب ثقة الناس في الشيخ المتولي وبعد استشارة كبار مشايخ القاهرة، تم قطع الشجرة بعد ١٥ سنة من زراعتها والتبارك بيها، عمومًا تعالوا نسيب حكاية الشجرة ونشوف سر اختفاء القطة البيضاء.

في المساء وبعد منتصف الليل وجدت فاطمة القطة البيضة بتتمسح فيها، صحيت فاطمة والقطة سبقتها على حوش الدار ،القطة وقفت على رجليها الخلفيتين وبدأت تطول لغاية ما اتحولت للملكة ياسمين، كانت فاطمة مستعجبة من تحول القطة للملكة ياسمين برغم إنها عارفة إنها هي الملكة ياسمين، ياسمين تبتسم وهي تنظر لفاطمة: إزيك يا فاطمة؟ عاملة إيه؟

عجبتك الشجرة؟ ممكن تلعبي تحتها .

فاطمة كأنها ما سمعت كلامها: هو أنا ممكن أبقى قطة زيك وأرجع تاني كده؟

-ههههه، ليه عاوزة تبقي قطة؟

-عشان ألعب وأنط وأعاكس أحمد اخويا وآكل السمك اللي بيصطاده، وأخربشه زي ما بيشدني من ضفيرتي.

-بتحبيه يا فاطمة؟

-بحب محمد أخويا وأحمد وأمي توحيد.

-طب ابقي قولي لاخوكي أحمد السمكة الكبيرة قوي اللي بيشوفها في الترعة في القيالة -فترة ما بعد الظهر- لما بيكون قاعد لوحده ما يحاولش ينزل يمسكها ولا يقرب منها، ولو طلعتله في السنارة يبعد عنها ،عشان دي حاجة وحشة هتأذيه، ما تنسيش يا فاطمة.

تستكمل الملكة ياسمين كلامها وهي تبتسم: فاطمة، عاوزة تلعبي مع إخواتك؟

-إخواتي نايمين جوه.

-لأ مش أخواتك دول، قصدي ولادي، هتلاقيهم تحت شجرة المشمش، بيلعبوا.

فتحت فاطمة الباب بهدوء وخرجت، مرت عدة أيام وفاطمة على هذا الحال، تترك فاطمة بين أخوتها من العالم الآخر وقد انشغلت بهذا العالم الغريب، ومرت عدة أيام.

صوت إقامة المؤذن لصلاة الظهر، يدخل أحمد للمسجد يصلي، وبعد الصلاة يسير إلى الدار قاصدًا ركن الحوش، يمد يده ويمسك بالبوصة، يتأكد أن سن السنارة مشبوك في البوصة حتى لا يجرح أحدًا أو يجرح نفسه.

توحيد تسأل: رايح فين يا أحمد ؟

-رايح أصطاد .

توحيد: بلاش القيالة، إبقى روح العصر، بدل ما تاخد ضربة شمس أو تطلعلك جنية تشدك.

أحمد يعاند: لو طلعتلي الجنية هشدها من شعرها وأجبهالك.

يخرج، يظل يسير بين الحقول، حتى يصل لقناية صغيرة -ترعة صغيرة- على جانب المصرف، يمسك بعصا ويقلب في الطين، يخرج العلق -دود الأرض- يضعه في نصف زجاجة مكسورة وحدها أثناء سيره.

الساعة الثانية ظهرًا وقت القيالة -القيلولة-.

سار أحمد بجلابيته -الجلباب- القصيرة يمسك بإحدى يديه البوصة من المنتصف كأنها عكاز يساعده على التقدم بين كتل الطين الأسود الجافة على ضفة الترعة، ويمسك بيده الأخرى طرف الجلابية.

ظل يتنقل على ضفة الترعة حتى وجد غابة من البوص الطويل بينها ممر ضيق يصل لمنتصف الجرف -شاطئ الترعة العالي المنحدر-.

نزل أحمد ببطء تساعده البوصة كأنها عكاز ثم جلس في منتصف الجرف مختبئًا بين البوص حتى لا تفزع الأسماك الطافية على وجه الماء في هذا الوقت من القيلولة.

الماء ساكن، لا صياد ولا مركب، حتى النساء الذين يغسلون المواعين لا يخرجون في هذا الوقت، الفلاحون ينامون في هذه الساعة، حتى البهائم تبرك تحت ظل الأشجار تجتر ما أكلت.

أمسك أحمد بالبوصة، وضع نصف علقة في السن ورفع الغماز وحرك الشعر -الخيط الذي تربط فيه السنارة- حتى وضع الغماز على بعد متر من الشط .

راقب أحمد الغماز وهو ينزل لأسفل تحت الماء ويعلو، ينزل مرة، مرتين وبدأ الغماز يهبط ويتحرك لداخل المياه بسرعة ،كانت هذه هي الإشارة التي يفهمها الصياد جيدًا ليجذب الشعر بقوة، خرجت سمكة كبيرة من الشبار -البلطي- رفعها أحمد حتى وصلت إليه وأمسكها بيده وخلصها من السن ووضعها في مشكاك -عود من الشجر به أوراق يدخله الصياد في فم السمكة ويخرج من الخيشوم والعكس- ووضع المشكاك بجانبه، أعاد ضبط العلقة في السن ورمى الغماز في الماء في نفس المكان.

دقائق وهبط الغماز بقوة شديدة للأسفل، وأحمد يراقبه، ثم تحرك الغماز في اتجاه اليمين بقوة ثم فجأة اتجه لداخل جذور البوص تحت المياه، أحمد يجذب بقوة، السن تعلق في جذور البوص القوية، وأفلتت السمكة التي لم يرها جيدًا، حاول أحمد أن يجذب الشعر ويُخرج السن؛ لكن دون جدوى.

أحمد: اعمل إيه أنا دلوقتي؟ البوصة هتتكسر لو شدتها جامد، أمري لله، أشمر وأنزل أسلكها .

أحمد يحاول النزول دون مساعدة البوصة، الجرف منحدر جدًا، تفلت قدم أحمد فيفقد السيطرة وتنهار من تحته الرمال ،كتل الطين تسقط من تحت قدمه

يحاول أحمد التشبث بأي نباتات على الجسر، الجسر يمتلئ بالأشواك يتشبث بها تفلت يد أحمد من الألم، يقترب من الماء، يلمح ظل أسود على بعد نصف متر تحت المياه يسقط بقوة فيها، يجد نفسه يقترب من المياه العميقة، أصابع قوية تقبض على ساقه من فوق القدم، يتألم، أحمد يُسْحَب إلى الأسفل، يد قوية غليظة تشق الماء من أعلى وتمسك بزراعه، ترفعه اليد التي تجذبه لأسفل، تحاول جذبه اليد التي ترفعه أقوى، أحمد يتألم وتخور قواه ويسيطر عليه رعب قاتل فالأصابع القوية التي تحاول إغراقه تضعف وتنفك، أحمد يرتفع فوق سطح الماء، يجد مركبًا بها صياد، الصياد يجذبه بذراعه القوية.

الصياد: إيه يا ابني اللي جابك دلوقتي هنا؟

أحمد يتلعثم وقد انقطع نفسه من الرعب والخوف، اطلع يا بني فوق وما تيجي هنا تاني، يصعد أحمد الجسر بصعوبة وساقه تنزف، وأثر مخالب على ساقه، ويعطي ظهره للمركب، ويتشبث بيده، ويدفع بقدمه، ويزخف على بطنه.

وصل إلى أعلى الجسر بصعوبة، ينظر ناحية المركب في امتنان، شكرًا يا ....

أحمد لا يجد أحدًا ليشكره، الترعة خالية من الصيادين والمراكب، بوصة أحمد ملقاة على الجسر، المشكاك بجانبها، السن تم تسليكه.

أحمد بارتباك: يأخذ بوصته والسمكة ويجري وهو يعرج إلى البيت.

تمت.

السادس من مارس الأحد ٢٠٢٢.

شقة الجامعة القديمة.

-مبارك.

مدت أختي الصغرى يدها بفرحة وأخذت عقد إيجار الشقة الجديدة في منطقة الجامعة القديمة بالإسماعيلية، توجهت على الفور لاصطحاب عمال رفع الأثاث الذين قاموا برفعه إلى الدور الرابع في هذه المنطقة الراقية.

كانت العمارة مكونة من خمسة أدوار بمنطقة الجامعة القديمة الشارع رقم ** -يفضل عدم ذكر رقم الشارع حتى لا يخاف السكان- العمارة على شارعين وسكان العمارة هم فقط أصحابها ومفيش حد ساكن غير شقتهم فقط، في البداية ظننا أن تساهل أصحاب العمارة في مدة العقد والإيجار نابعٌ من حسن أخلاقهم حيث كانوا ودودين في المقابلة الأولى، ولم نكن نعلم أبدًا أن هذه الشقة هي شقة الرعب الحقيقية وأن هذه العمارة مسكونة بالكامل .

بعد أن تم فرش الشقة بالكامل دخلت من باب العمارة وهناك سلم من البلاط الأبيض على شماله سور من الحديد يصعد مع ذلك السلم المدهون باللون الأبيض الذي يرتقي بصعوبة، فتشعر أثناء صعودك في الدور الأول بالتعب، وصلت إلى باب الشقة وضغطت على الجرس وصوت أنفاسي أعلى من الجرس نفسه، فتحت أختي الصغرى الباب مبتسمة وكان ذلك منذ سبعة عشر عامًا، دخلت ولا أعرف ما سبب انقباض صدري بهذا الشكل، كانت أختي الصغرى قد تم تعينها في الجامعة فتركت بيت الضواحي؛ حيث كانت تسكن في منطقة ريفية وفضلت أن تؤجر هذه الشقة لتوفير الوقت وتكون

قريبة من عملها وطلبت من أمي أن تبقى معها في الشقة لحين عودة زوجها بعد أسبوعين من العمل، الشقة عبارة عن صالة واسعة من البلاط والحوائط بيضاء تتوسطها السفرة عليها مفرش أبيض وفازة ورد وعلى الشمال الحمام الرئيسي بعد باب الشقة مباشرة ويليه مطبخ واسع؛ حيث ستدور فيه آخر فصول القصة، تنتهي الشقة بحجرة رئيسية بحمام صغير منفصل.

أمضيت الوقت في الحديث مع أمي وأختي حتى منتصف الليل، ثم استأذنت لأتركهما وحدهما وذهبت إلى بيتي .

صوت جرس التليفون يرن في إصرار عجيب، مددت يدي متحسسًا موضع التليفون حتى أمسكته ونظرت إلى اسم المتصل، إنها أختي، كانت الساعة الثالثة والنصف قبل الفجر.

-خير يا حبيبتي فيه إيه؟ أمك كويسة؟

قاطعتنى بلهجة عالية خائف متقطعة: تعال بسرعة خدنا دلوقتي حالًا.

-يعنى ماما كويسة؟

قاطعتنى: إحنا كويسين بس تعال بسرعة.

وقفت وضربات قلبي تتزايد، لبست ملابسي لا أعرف كيف، وأخذت مفاتيح العربية انطلقت على الطريق الدائري بسرعة حتى وصلت إلى العمارة وصعدت بسرعة وأنفاسي تتلاحق وخبطت على الباب بسرعة.

-في إيه يا بنتي؟ خير؟

أختي وهي تبكي: الشقة مسكونة يا محمد.

-مسكونة إيه بس؟ أمك فين؟ طمنيني؟

دخلت: إيه يا أمي فيه إيه؟ إيه اللي حصل؟

جوه على السرير، بصتلي بصة أنا عارفها كويس، بصة معناها بعدين هحكيلك وغمزتلي دون أن ترانا أختي وقالتلي: أختك شافت حاجات في الشقة.

-شوفتي إيه يا حبيبتي ؟

-بص أنا وماما كنا نايمين وسمعنا خبط في الحمام اللي بره، طول الليل المية بتتفتح وتتقفل لوحدها.

أمي تنظر لي.

-يمكن السيفون بايظ و...

قاطعتني تستكمل: ولما فوقت من النوم وجيت أفتح عينيا لقيت كف كبير قدام وشي، فتحت عينيا وقفلتها مرتين لغاية ما راح، قمت صرخت، قامت ماما صحيت.

أختي تبكي وتستكمل: قولت لماما، أنا مش قاعدة في الشقة دي تاني.

-يا بنتي تلاقيكي بتحلمي، ولا كان كابوس ولا... وبعدين حد يخاف ومعاه فاطمة -اسم أأمي.-

-محمد أنا عارفة أنا شفت إيه ،إحنا هنلبس ونيجي نبيت عندك .

-تنوروا.

أختي اطمنت شويه بوجودي دخلت الحمام وأنا مع أمي: إيه اللي حصل؟

أمي بصوت منخفض: فعلًا الشقة مسكونة، أنا شايفاهم طول الليل بيطلعوا من الحمام ده يخشوا في الحمام التاني، وساعات يخشوا في الحيطة.

-شكلهم أيه؟

أشكال سودا ضخمة، بس أنا ما قلت لأختك ونمت جنبها من غير ما أقولها لغاية ما لقيتها بتصوت جامد فاتصلنا بيك .

-كويس إنك اتصلت، أنتم تيجوا معايا وبالنهار هنشوف هنعمل إيه.

أخذتهم قعدوا يومين وحاولت أقنع أختي إنها كانت في كابوس، قلت لنفسي بعد شوية جوزها هيجي، وأختي وجوزها بقالهم ثلاث شهور بس متجوزين ولسه ناقلين من بيت البلد، مش معقول أقول لجوزها ينقل تاني .

المهم، اقتنعت بالعافية، وجوزها جه خدها وراحوا الشقة.

تاني يوم الصبح جوز أختي اتصل بيا وقاللي: ما تيجي تشرب معانا الشاي؟

ذهبت وأنا قلبي مقبوض.

أنا بعد السلام وبعد ما قعدت: إيه الأخبار؟

بصلي وابتسم وقاللي: الشقة فعلًا مسكونة.

عامل نفسي أهبل: مسكونة إيه؟ يا راجل بجد؟

زوج أختي: السقف كله بليل بيتحول لجماجم ،فيه حاجات سوده بتمشي في الشقة.

قولتله: أنت شفت بعينك؟

قاللي: أيوة، مش هينفع أختك تقعد لوحدها لما أروح الشغل .

قولتله: الأول ننزل لأصحاب الشقة نشوف الحكاية، عشان كده إحنا

هنضطر نسيب الشقة ونفسخ العقد.

نزلت أختي لأصحاب الشقة: معلش يا طنط أنا هسيب الشقة.

الست وبناتها بيبصوا لبعض: ليه يا حبيبتي؟

-بصراحة، الشقة مسكونة.

صمت تام والست وبناتها ينظرون للأرض في حرج.

الست: إحنا زهقنا مش عارفين نعمل إيه، حالنا واقف، الجماجم في السقف، بناتي مش بيناموا من الخوف، مفيش عريس بيجي للبنات، واللي بيجي مرة مش بيجي تاني، جبنا مشايخ كتير، وقالوا العمارة مبنية في مكان معسكر كان للجيش وانضرب المعسكر كله والعساكر كلهم ماتوا، بصي يا بنتي، براحتك، فلوسك جاهزة، وسامحيني إحنا شوفناكي طيبة قولنا يمكن يسيبوكي في حالك.

-بصي يا طنط أنا قررت أنقل إن شاء الله في إجازة جوزي الجاية.

عادت أختي مع أمي بعد أن سافر زوجها في الفجر وأنا رحت جبتها من الشقة، شالت أختي كل حاجتها الضرورية في شنطتين وأغلقت أنا الباب بعد أن أغلقت الشقة جيدًا من الداخل، ومرت عشرة أيام، زوج أختي يتصل يطلب من أختي أن تذهب لإحضار ورق مهم من الشقة وسيرسل من يأخذه.

طبعًا أنتم عارفين إني أنا اللي هروح معاها الشقة، تعالوا نشوف حصل إيه؛ وضعت المفتاح وأدرته ببطء وانفتح الباب، باب البلكونة مفتوح على آخره، وأنا اللي قافلة بإيدي، مفرش السفرة مش موجود .

العجيب، بس ما تخافوش، أثر قدم شمال كبير قوي، طوله حوالي نصف متر متعاصة طين وتبن وماشية من السفرة للحمام ومطبوعة على الأرض.

أيوة، قدم شمال ماشية حوالي خمس خطوات كلها بنفس القدم الشمال، مفيش أثر للقدم اليمين، ده اللي شوفته، قفلت الشقة تاني وقولت لزوجها اللي حصل وإن أوراقه خدوها العفاريت هي ومفرش السفرة.

قارب الشهر على الانتهاء، وجاء موعد تسليم الشقة، أختي طلبت من أمي رحمها الله أن تذهب معها للشقة عشان يلموا الهدوم، ذهبت أمي وأختي في الصباح، لمت أختي الملابس وقالت أختي أنها ستذهب للجامعة لمدة ساعتين ضروري وطلبت من أمي أن تبقى وحدها في الشقة.

أمي أصلًا ما بتخافش، أقلي بطاطس لغاية ما تيجي نتغدى ونمشي.

ما سأقوله الآن نقلًا عن أمي رحمها الله.

المكان: المطبخ، الموضع أمام البوتاجاز الجزء العلوي من المطبخ، أمي تمد يدها لتأخذ الطاسة وتضعها على العين وتشعل البوتاجاز وتلتفت وتمد يدها لتحضر الزيت من رف المطبخ وتستدير لتضع الزيت فلم تجد الطاسة على البوتاجاز والشعلة مطفية.

ظنت أمي أنها نسيت أن تضع الطاسة فتركت الزيت من يدها واستدارت لتحضر الطاسة وعندما التفتت لم تجد الزيت وجدته في الرف .

أمي تتحدث: يعني أنت عفريت قلبك جامد قوي؟ طالع بالنهار ومش خايف وبتشيل الحاجة مني كل ما أدور وشي؟

طب أنا ماسكة الحاجة كلها في إيدي وهحطها قدام عيني لو أنت راجل شيلها، وحطت الحاجة قدام عينها، وحطت الزيت وولعت البوتاجاز و...

طبعًا مستنيين أقول حصل إيه، ماشي هقول، بصراحة اختفى البوتاجاز باللي عليه كله،

خرجت من أمي شهقة برغم أنها ما بتخافش، بس اللي صدمها تصميم العفاريت على تحديها وجرأة العفاريت بالشكل ده.

خرجت أمي خارج الشقة حتى عودة أختي عشان النجار اللي هيفك العفش واللي هيشيله.

الاثنين الثامن والعشرين من فبراير ٢٠٢٢.

عصا كبير الكهان.

بعد أن استعادت لمى وعيها حمدت الله ولم أخفِ دهشتي من رغبة لمى في رؤيتي والتحدث معي، لم أدرك وقتها أن هذه هي البداية، بداية حكايتي مع الشيطان.

قدت سيارتي فرحًا بعودة لمى برغم صدمتي للأحداث الدامية التي عشتها في اليومين السابقين، وجدت مساحة لركن سيارتي خارج المستشفى، كانت المساحة تكفي السيارة .

وقفت بمحاذاة السيارة التي أمامي، ثم تراجعت قليلًا حتى وصل آخر بابي اليمين نهاية السيارة، كسرت العجل بالكامل ورجعت للخلف حتى ركنت سيارتي بين السيارتين الواقفتين، شددت فرامل اليد ثم وضعت عصا الفتيس على الباركينج ونزلت من السيارة، ونظرت كعادتي إليها ثم تحركت في طريقي إلى باب المستشفى.

سمعت صوت اصطدام من الخلف فنظرت فوجدت سيارتي قد تحركت واصطدمت بالسيارة الخلفية، اكصدام السيارة الخلفية قد تهشم تمامًا برغم أن المسافة بين السيارتين بسيطة، والفرامل مشدودة ووضع الباركينج ما زال يعمل.

نظرت إلى سيارتي وتعجبت وقلت لنفسي هامسًا: ما زالت السيارة على الباركينج، غريبة إتحركت إزاي؟ مش عارف.

الغريبة إن السيارتين لم تصدرا صوت الإنذار رغم التصادم والاحتكاك

،أخرجت قلم وورقة من درج سيارتي وكتبت رقمي الشخصي ووضعتها على زجاج السيارة التي اصطدمت بها كتبت "آسف خطأ غير مقصود أدى لكسر اكصدامك، مستعد لتحمل كافة التكاليف والتعويض، رقمي هو ********** مستر محمد حمودة."

توجهت للمستشفى، كانت الساعة قاربت على الواحدة والنصف ليلًا، دخلت من باب المستشفى واستأذنت الأمن.

-السلام عليكم، على فين حضرتك؟

-عاوز أزور مريضة كانت في غيبوبة لفترة طويلة ولسه فايقة وطلبتني.

-مين؟

-اسمها لمى..

قاطعني بحدة: هو ده وقت زيارة؟ مينفعش، تعال الصبح.

قاطعته صوت كبيرة التمريض: سيبه يا أستاذ عباس، أنا اللي طلبته وبعت له.

سرت بجانبها وقد أنقذتني من هذا الموقف، كنت خايف الأمن يسألني تقرب ليها إيه؟ أو اسمها بالكامل إيه؟ وأنا معرفش عنها غير معلومات بسيطة.

الممرضة: أستاذ محمد، أنا مدخلاك على مسئوليتي، ما تطولش عشان محدش من الدكاترة يتكلم.

أنا: طبعًا مش هطول، أنا مش عارف أشكرك إزاي.

-خلي بالك هي لسه مش طبيعية .

أنا: إزاي؟ قصدك إيه؟ لسة تعبانة؟

-معرفش، عينيها وصوتها غريبين شوية، بص أنا مش عارفة بس في حاجة غريبة وخلاص.

الممرضة تفتح الباب بهدوء، لمى مستلقية على ظهرها، أجهزة القياس في أصبعها ومتصلة بذراعها ،اقتربت مع الممرضة بهدوء، قلت يمكن نايمة، فجأة نظرت إليَّ مباشرة، أرعبني التفات عنقها ناحيتى، لون عين لمى سوداء تمامًا، لا بياض، لا نني سواد مظلم، صوت حاد عميق كأنه آلة حادة يمزق أذني، إحنا مش هنسيبك، أنت ميت ميت، ياما قتلنا بشر أقوى منك، ضحكة قوية غليظة كأنها الرعد، أنت أضعف من إنك تواجهني، استعد لقدرك، جه أوان الحساب يا ابن فاطمة.

صوت صرخة الممرضة المفزوعة في ودني، ومفاجأة تلبُّسْهم لجسد لمى ربطت لساني، الأجهزة تصفر بشكل حاد، شاشة رسام القلب تقفز لأعلى وأسفل كأنها تسجل ضربات زلزال .

صوت إنذار جميع العربيات في جراج المستشفى يرتفع في هيستيريا، كأن السيارات أصابها الجنون، رائحة غريبة تملأ المكان، نور المستشفى يرتعش ،رسام القلب يتوقف، خط أفقي يظهر على الشاشة ويستمر، الممرضة تصرخ، وتفتح الباب وهي تقول "جهاز الصدمات بسرعة" وتخرج من الغرفة.

يا دكتور يا دكتور، إلحقني.

فجأة لمى تجلس معتدلة رأسها يدور ناحيتي، تمسك يدي، كأن كل كهرباء العالم في ذراعي، صوت أعرفه جيدًا يتحدث :ما تخاف يا محمد إحنا معاك،

ساعده هو محتاج ليك، ما تتخلاش عن حد قدرك يا ابني، ربنا يعينك.

إنها أمي، صوت أمي فاطمة رحمها الله.

رسام القلب لا يتحرك، الخط الأفقي مستمر.

يرتمي جسد لمى علي السرير ،المرضة لم تر لمى تتكلم وهي ميتة، الممرضة تجري وتدخل غرفة العناية ومعها فريق التمريض وطبيب.

أخرج من الباب في ذهول، أقف أمام الزجاج، أنظر لمحاولة إنعاش القلب، أرى طيفًا يلبس ملابس بيضاء يقف بجانب لمى، لا يراه غيري.

أشحن تاني، صوت الطبيب وهو يضرب صدر لمى بقوة بالصاعق، حقنة أدرينالين بسرعة، يصدمها للمرة الثانية فتنتفض، تشهق لمى، النفس يعود، تلتفت برأسها وهي تنظر لي من خلال الزجاج، رسام القلب يعود ليرسم النبضات، الطيف يختفي، يتلاشى شيئًا فشيئًا.

خرجت أنا ولم أتكلم مع أحد، سرت إلى سيارتي، فتحت الإنذار، وألقيت بنفسي على الكرسي وأرجعت ظهره للخلف وأغلقت الباب، كنت أعلم منذ حدثتني أمي وأنا في الصف الثالث الإعدادي أنني مرصود، وأنهم سيحاولون قتلي إن لم يستطيعوا السيطرة عليّ أو ضمي إليهم .

كنت أخرج من جسدي ليلًا قبل الفجر لأحاربهم وأعود قبل الآذان، أقوم لأصلي الفجر ثم أعود بعد الصلاة محاولًا النوم قليلًا قبل الذهاب للعمل، في فترة نومي القليلة بعد الفجر كنت أذهب لمجالس العلماء، فأجد مولانا الإمام الشعراوي يعطي درسًا وحوله حلقة من الشباب يجلس على الأرض بينهم يتوسطهم، يفسر ويقرأ ويشرح، كنت قد تعودت على مواجهتهم في العالم الآخر ولكنهم اليوم قد حضروا بأنفسهم إلى عالمي لتهديدي، مجرد

محاولة تهديدي في عالم الشهادة يفتح لي عالمًا من التساؤلات، لماذا؟ ما السر في محاولة إخافتي؟ لماذا تكلمت أمي على لسان لمى؟ لماذا لم تأتني في عالم الرؤيا كما كانت تفعل كلما أرادت شيئًا بعد موتها؟ من الذي تريدني أمي أن أساعده؟

كل هذه الأفكار دارت في ذهني حتى سمعت آذان الفجر، خرجت من السيارة متجهًا للمسجد.

الخميس العاشر من مارس قبل منتصف الليل ٢٠٢٢

صليت الفجر وتوجهت للإسماعيلية، كنت أقود وأنا أفكر في ذلك الشخص الذي أوصتني أمي به، من هو؟

دخلت إلى غرفتي وحاولت النوم، نمت نومًا عميقًا وجعلت المحمول صامتًا حتى لا يزعجني أحد، ويمكنني أن أعرف من اتصل بي عندما أستيقظ، استيقظت بعد آذان الظهر، جلست مع زوجتي وأبنائي، افتكرت التليفون.

-مصطفى

-نعم يا بابا.

-هاتلي التليفون ده.

نظرت فوجدت أرقامًا كثيرة بعضها لأشخاص أعرفهم، وبعضها أرقام بلا أسماء، رقم واحد فقط حاول الاتصال ٧ مرات.

أنا: خير، مين اللي بيحاول يتصل من الصبح ده؟

رنيت عليه، وفتح بسرعة كأنه كان مستنيني.

أنا: السلام عليكم، حضرتك اتصلت عليا كتير بس آسف كنت عامل التليفون صامت.

صوت امرأة ترد بتلعثم: أنا آسفة والله بس أنا اللي حضرتك خبطت عربيتها إمبارح.

-أنا آسف جدًا والله أنا معرفش اتخبطت إزاي، أنا كنت شادد فرامل اليد و..

قاطعتني: أنا مش بتصل عشان كده.

لحظة سكوت طويلة، واستغراب مني وخجل منها.

-لو حضرتك مكسوفة تطلبي حق الاكصدام، اتفضلي أنا معنديش مانع كفاية عطلتك و...

-أستاذ محمد أنا بتصل عشان موضوع تاني خالص، ممكن أقابل حضرتك؟ مش هعرف أحكي في التليفون.

أنا بتردد: خير إن شاء الله، بس أنا من الإسماعيلية ومش من بور سعيد.

هي: مش مهم، أجيلك الإسماعيلية أنا وأختي الصغيرة، معلش استحملني لغاية ما تعرف حكايتي.

أنا: طب ينفع بكره الساعة ٣؟ قدام موقف الأتوبيس، عربيتي كيا لونها *** رقمها **** هتلاقيني مستني.

-تمام.

-السلام عليكم، مع السلامة.

وقفلت، زوجتي تستغرب وتنظر لي: مين دي اللي عاوزة تقابلك؟

قلت لها: معرفش، علمي علمك .

قالتلي: أكيد مش جاية تاخد درس من بور سعيد للإسماعيلية.

بصتلها وعملت نفسي مش واخد بالي، وما رديت، مكنتش لاقي تفسير ولا رد أقوله،

ركبت عربيتي الساعة ثلاثة إلا ربع ورحت الموقف ولسه هقف لقيت آنستين أحدهما تجاوزت الخامسة والعشرين طويلة تلبس ملابس سوداء، ملابسها محتشمة واسعة فضفاضة، تضع نضارة شمس كبيرة، محجبة، وفتاة أخرى لم تتجاوز السابعة عشرة، تقريبًا طالبة في الثانوية، محجبة، تلبس جيبة أسود في رمادي وبلوزة بينك.

-أستاذ محمد حمودة، صح؟

أنا: أيوه أنا، أهلًا وسهلًا، اتفضلوا نورتم الإسماعيلية.

-ممكن نقعد في مكان عام نتكلم؟

-ممكن طبعًا.

هي ترد: أنا هاجي وراك بالعربية .

-طيب، اتفضلوا.

سقت العربية لغاية كافيتريا على الدائري، ركنت وهي ركنت ورايا، ونزلنا.

-اتفضلوا.

توجهت لمكان مفتوح، ساروا ورائي.

-اتفضلوا.

قعدوا وأنا قعدت.

-خير إن شاء الله.

الآنسة الكبيرة بصت لأختها الصغيرة وقالتلها: اتكلمي.

الصغيرة: أنا هند ودي أختي الكبيرة سحر، إحنا من بور سعيد زي ما أنت عارف، بابا عنده محل للتحف والأنتيكات في القاهرة وشقة هناك ومحل تاني في بورسعيد وشقتنا جنب المستشفى، مكان ما أنا كنت راكنة العربية اللي اتخبطت.

-آه، فكرتيني أمال العربية مجبتوهاش معاكم ليه عشان أصلحها؟

بصتلي من غير ما تعلق وكملت: من ثلاثة شهور حصل لوالدي حاجة غريبة، لما كنا في القاهرة كان بابا متعود يرجع الساعة واحدة، أتأخر مرة لغاية ٣ ومكنش بيرد علينا في المحمول قلقنا عليه، نزلنا رحنا المحل لقينا بابا واقع مش بيتكلم، وشه كان كله خوف، عينيه مفتوحة مبرقة، وجسمه بارد، طلبنا الإسعاف بسرعة وعملنا كل الفحوصات اللازمة؛ لكن الغريب إن كل الدكاترة قالوا مفيش سبب عضوي.

أنا كأني جبت التايهة: طب شوفوا طبيب نفسي .

ردت سحر: أكيد إحنا عملنا كده بس قالوا معندهوش غير صدمة عصبية شديدة وفقد القدرة على الكلام.

أنا: ألف سلامة عليه، ربنا يطمنكم عليه.

يحضر شاب عشريني ويسأل: حضراتكم تشربوا إيه يا فندم؟

أنا: تحبوا تشربوا إيه؟

بصوا لبعض بكسوف بس أمام تصميمي اضطروا يطلبوا

أنا: ممكن أعرف لو ما يضايقكوش علاقتي بالموضوع ده إيه؟

هند: بصراحة أنا حلمت إمبارح بواحدة جاتلي باين عليها الصلاح وقالتلي علاج أبوكم مرتبط باللي خبط لكم العربية، روحوا له، هو هيساعدكم، حتى إحنا ما كناش لسه نزلنا عشان نعرف إن العربية اتخبطت، نزلنا بسرعة لقينا العربية مخبوطة واسمك ورقمك مكتوبين في الورقة.

أنا بصيت في الأرض: ممكن توصفولي شكل الست اللي جاتلكم في الرؤية؟

هند الصغرى تصف وصف دقيق كأنها تراها أمامها.

-مين دي؟ أنت تعرفها يا مستر؟ وحضرتك ممكن تساعدنا إزاي؟

سكت ما عرفت أرد ،بصوا لبعض وكملوا شرب النسكافيه عشان يدوني فرصة أرد،

رديت بعد بضعة دقائق من الصمت: دى أمي وبتطلب مني أساعدكم، بس الأمور مش بالبساطة دي، عشان أساعدكم لازم تعرفوا حاجات؛ محدش يجيب سيرتي لأي حد مهما كان قريب منكم، لازم تعرفوا إني أنا سبب وربنا هو المسبب، كلنا عبيد لله لا نقدم ولا نؤخر إلا بحول الله وقوته، العالم اللي هتشوفه وتتعايشوا معاه مش عالم خيالي زي ما الناس فاكراه، ده عالم حقيقي موجود، آثاره واضحة على عالمنا، حتى لو ما صدقتوا أو ما شفتوه، عالم فيه مجموعتين؛ مجموعة تسعى للخير ومجموعة شر مطلق ورغبتها في الأذى والتدمير تفوق تصوركم، دول بنات إبليس وأعوانهم وذريتهم وسحرة

الإنس والمشعوذين وممكن الأذى يوصل لكم زي ما حصل لوالدكم، لازم من اللحظة اللي هتوافقوا فيها على شروطي، تسليم كامل لله، محافظة على الصلوات والأذكار، ومتفارقوش بعض بليل، والمهم، ما تسألونيش كتير، عشان مش كل حاجة هعرف أشرحها، ليس كل ما يُعرف يقال، لو أنتم تقدروا يبقى هنبدأ بمحل والدكم اللي لاقيتوه واقع فيه.

بصوا لبعض وسكتوا، كملت كلامي: وتستحملوا، مهما حصل لازم تستحملوا ما ينفعش تتخاذلوا وتضعفوا في نص الطريق، عامة، معاكم رقمي، بس الأهم من كل ده إن الكلام ده محدش يعرفه خالص، وماتجيبوش سيرتي طول حياتكم لحد، اوعدوني.

سكتوا وبصوا في عين بعض وقالوا: نوعدك.

سبتهم وروحت البيت، ومرت عدة أيام محدش اتصل بيا لغاية ما جالي الاتصال ده:

-السلام عليكم.

-وعليكم السلام يا مستر، أنا سحر عاوزة آخد رأيك في حاجة، ممكن؟

-خير اتفضلي، بابا كان فاقد النطق، مش بيتكلم خالص، لما رجعنا البيت بعد ما قعدنا معاك، الممرضة قالت إنه اتكلم وقعد يصرخ، وكان بيقول هقتلكم كلكم، ولما رجعنا لقيناه ساكت وبيبص بغرابة كأنه مش عارفنا، وبنسمع صوت حد بيتكلم في أوضته نخش نلاقيه خايف وبيعيط، إحنا مش قادرين نسيبه كده، ممكن تساعدنا ؟ وإحنا هنعمل كل اللي هتقول لنا عليه.

أنا بقول في سري: "وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"، توكلنا على الله الحي الذي لا يموت، قويني يا رب، بعد الظهر نتقابل قدام

المحل في مصر -يطلق أهل المحافظات على القاهرة مصر-.

فتحت سحر المحل وسابت هند مع والدها في بورسعيد، بزار ضخم، مليء بالأنتيكات والتحف، المكان بارد برغم إننا في الصيف، دخلت بعد ما سميت الله وقلت أذكاري، ورددت سحر ورايا الأذكار، تماثيل في كل مكان، تحف، كتب قديمة، سألتها: هو والدك بيجمع الكتب القديمة كمان؟

قالتلي: أنا أول مرة أشوف الكتب دي.

مسكت بعض الكتب، مجملها كتب قديمة، مخطوطات نادرة عن السحر والتحضير، مخطوطات تدفع فيها السحرة ملايين، بعضها برديات فرعونية من مقابر السحرة والكهان، بعض العصيان الفرعونية المسروقة من المقابر على شكل أفاعي مطلسمة ومربوط عليها خدام من سحرة الجن، مردة عتاة، بصتلها وسألتها: والدك بيصلي؟

قالتلي: والدي مش بيسيب فرض.

أنا في نفسي بقول: أمال إيه الكتب دي؟ فيه كذا عدة سحر لساحر فرعوني موجودة، الأدوات والأسرار والطلاسم التي يستخدمها الساحر، عدد ما يعرفش قيمتها ولا يستخدمها إلا أعتى السحرة، عدد مطلوب في بلاد المغرب بالذات.

قالتلي: والدي كان بيشتري مكتبة أثرية، مكتبة تخص جامع تحف قديم مات من ثلاثين سنة وأولاده باعوا كل حاجة إلا مكتبته، ووالدي عرض يشتريها ودفع فيها مبلغ ضخم معرفش ليه، مبلغ حوالي عشرين مليون جنيه.

سألتها: في مخزن هنا ملحق بالمحل؟

قالتلي: آه فيه، عرفت إزاي؟

فتحت باب المخزن، رفوف كتيرة كتب وتحف عليها غبار، برديات في كل مكان، كتاب واحد مكنش عليه غبار كأنه كان مستخدم من قريب، المكان مليء بالشياطين والمردة ،شفت كتير من الشياطين حراس كتب السحر موجودين في المكان، خدام السحرة موجودين بكثرة، طبعًا هي مش عارفة ومش شايفة، بصيت على عنوان الكتب، كتاب واحد لفت نظري واتقبضت منه، الكتاب مش عليه اسم، مخطوط قديم نادر، مصنوع من جلد البشر، مكتوب بدم أطفال باللغة العبرية، والشمعدان العبري عليه.

الكتاب مغلق بطلاسم سفلية تستحضر أقوى الخدام، تستحضر بنات إبليس، ملكات العالم السفلي، عصا لساحر فرعوني على شكل كوبرا، سرقت من مقبرة كبير الكهان إذا نظرت لعين الأفعى الملونة تشعر كأنها تنظر إليك وإذا أعطيتها ظهرك شعرت كأن هناك أنفاس تمر على رقبتك وتشعر بمن يضع يده على كتفك، تشعر بقشعريرة ورعشة مفاجئة.

كهنة الفراعنة وضعوا أقوى المردة في عصيانهم التي كانت لا تفارقهم، كان يكفي أن ينظر الشخص إلى عيني الأفعى لتسيطر عليه الشياطين مهما كانت قوته، يصبح جسده وعاء للمردة، فيتحكم فيه الكاهن.

-كده أنا فهمت، أبوهم حاول يفتح الكتاب، وممكن يكون حاول يبيعه لحد ،بس أبوهم مش بيعرف عبري، مين ساعده؟

فجأة وجدت العصا تقع على الأرض دون أن يلمسها أحد، عرفت أن هذه علامة، بعض المساعدة مطلوبة، دي علامة من أهل الخير إن العصا هي السبب...

المكان ده خطر، وجود الآنسة سحر بنته هنا إيذاء ليها، ممكن تتلبس هي كمان، كنت شارط عليها إنها تكون متوضية وقرأت أذكارها، وتكون صلت

الفجر حاضر عشان تكون في ذمة الله، يا رب تكون سمعت كلامي .

خرجت من المحل وسحر ورايا ،ما قالتش حاجة خالص، قلت لها: بكره هاجي لوالدك في بورسعيد.

شايف ظلال سوده تحيط بسحر ماشية حواليها.

-سحر.

- نعم.

-أذكارك، وماتخشيش عربيتك غير لما تقولي السلام عليكم، ولا بيتك غير لما تسلمي، وبعد ما تقولي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تقولي السلام علينا وعلى أهل البيت وساكنيه من الله عز وجل، حفظنا الله بحفظه وأمننا بأمنه وألاذنا بركنه الشديد، اللهم اجعلنا بعينك التي لا تنام وفي حفظك الذي لا يضام، ضروري يا سحر.

كنت عاوز أحميها هي وأختها من دخول الخُدَّام اللي حواليها والمردة المربوطين بكتب السحر لبيتها، وأنا ركبت العربية، وأنا بفكر إزاي أحرر أبوها من كل الأذى ده؟

سبحانك اللهم وبحمدك وأشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الأحد ١٣ مارس٢٠٢٢ بعد منتصف الليل

رجعت للإسماعيلية وأنا تعبان من كمية الأذى الموجود في البزار -محل التحف- كمية من أقوى أرصاد الكنوز جت مع الدفائن الموجودة في المخزن، وعدد من خدام الخواتم الفرعونية، وبعض خدام خواتم -وحيد الصايغ- اليهودي اللي كان بيربطهم وياخد عليهم العهد بخدمة صاحب

الخاتم وبعد كده يبيعه بمبالغ كبيرة قبل ما يهاجر اليهود من مصر، ومجموعة من عتاة المردة ساكنين تماثيل أثرية .

وقط متحنط، برغم تحنيطه تحس إنه حي، شعرت وأنا بقرب منه إن جسمي كله اتهز وحسيت بحركة غريبة وإن الهوا قل ومش قادر أتنفس كويس.

حمدت الله على نعمة الإسلام، وعلى كرمه وحفظه لي.

بعد أن أمضيت باقي اليوم مع أسرتي، توجهت إلى غرفتي، أطفأت النور وبدأت في الصلاة على النبي، حسيت إن جسمي تقيل مش زي كل يوم، قلت يمكن من القرف اللي في البزار، بس حسيت بحركة في الأوضة، حركة تتحس بالقلب، نظرت بجانب الدولاب، في الركن بين آخر الدولاب والحائط شوفت ظل أسود واقف هناك، ما شفتش ملامحه أو حجمه أو شكله، سواد قاتم، كان طويل قد الدولاب، ممكن يوصل للسقف، لفيت ليه وبقيت في مواجهته، ثم شاورت بصباعي السبابة بأيدي اليمين وبدأت في قراءة القرآن والدعاء، بدأ يصغر شوية بشوية لغاية ما اتحول والإضاءة كانت ضعيفة بقى عل شكل قطة، قطة ضخمة كأنها نمر صغير، عينيها لونها أحمر زي الدم ونني عينيها فاتحة طولية طالع منها الشرر، كنت شايف أنيابها وسامع صوتها، صوت يجمع بين الأنين والزمجرة وجت ناحيتي، بسرعة نطيت من على السرير وأنا بصرخ فيها،

دمك حلال، أنت اللي اعتديت، وبأقصى قوة ممكنة ضربته برجلي .

ما لقيتوش بعدها، ومش عارف ضربته ولا لأ، كل اللي أنا عارفه إنه اختفى، انزعجت، إزاي يتجرأ على بيتي برغم إني قريت الأذكار والأوراد، خرجت لأولادي عشان أطمن عليهم من غير ما يلاحظوا لقيتهم ناموا،

الحمد لله محدش حس بحاجة،

حصنت نفسي كويس، ورحت لأوضة أولادي وقفت بجانب السرير وحصنتهم من غير ما يصحوا، واستودعتهم الله ورجعت لغرفتي، حاولت النوم.

مضت نصف ساعة أمضيتها في الصلاة على النبي ثم ختمت بقولي (اللهم إني استودعتك نفسي وذريتي وزوجتي وأهلي ومالي وكل أحبابي، ربي جنابك لا يُرام وحفظك لا يُضام، ربي إني أخرج من حولي وقوتي إلى حولك وقوتك ولا حول ولا قوة لي إلا بك، يا ركني الشديد لُذْتُ بك، قلت ذلك ثم نمت.

مش عارف عدى عليّ وقت نومي أد إيه، حتى معرفهاش، وجدت نفسي ممدد على الأرض، نائم على ظهري، وسمعت صوت أقدام بتتحرك بسلاسل، أيوه جنازير، كأن اللي بيمشي مقيد بسلاسل ضخمة جدًا وجايلي، جسمي كله قرب يتشل، بس أنا ناديت بأعلى صوت، يا ركني الشديد أغثني يا ألله، أغثني فسمعت صوت ارتطام صخرة ضخمة جدًا مقذوفة من السماء على المارد العملاق فَسَوَّته بالأرض.

قمت من نومي، حمدت ربنا وبدأ منبه التليفون يرن لصلاة الفجر.

قمت واتوضيت، وفتحت باب الشقة بهدوء، اتعجبت إن السلم مضلم تمامًا، قولت في نفسي يمكن اللمبة اتحرقت، نزلت شوية سلالم وفجأة لقيت نفس القط واقف على آخر السلم، العين المبرقة اللي كلها شرار، لما تبصله تشوف كمية كره للبشر عمرك ما تتوقعها في مخلوق.

بصتله وقلتله مش هتقدر تمنعني من صلاة الفجر، والله لو جبت الجن

كله هنزل أصلي، اتحركت في اتجاهه حسيت إنه بيتقطع من الغضب، بيجز على سنانه كأنه هيكسر سنانه من الضغط عليهم، نط وجري ناحية باب العمارة، لحقته برا العمارة بس اختفى، صليت الفجر والحمد لله ارتحت والهم اتشال من على صدري وجاتلي طاقة غريبة، طاقة تخليني أتحدى الشيطان نفسه، الحمد لله حسيت إن ربنا معايا.

الظهر، أنا طلعت لشقتي وحاولت أنام، عشان كنت ناوي أسافر بورسعيد بعد صلاة الظهر، ووعدت هند وسحر إني هساعدهم، يا رب قدرني.

ركبت العربية بعد صلاة الظهر وعشان أنا عارف إن الوضع مش طبيعي وإن الهجوم ممكن يكون بوسائل غريبة، أتأكدت من البنزين والفلاتر والكاوتش وسميت الله وقلت دعاء الخروج ومشيت، الطريق سالك والجو جميل وصلت لغاية كارتة بور سعيد، وعديتها.

القرآن شغال، الطريق فاضي، مفيش ولا عربية، اضرب، خبطة في الازاز الأمامي شديدة جدًا، الازاز كله دم، غراب اصطدم بالازاز، مكنش باين خالص، هجم على الازاز من فوق .

وقفت، شيلت الغراب الميت رميته، شرخ بسيط في الازاز، مجموعة من الغربان شافت الغراب الميت، بدأت تنعق.

طلعت بالعربية بس العربية أسرع، والغربان ورايا .

الحمد لله، وصلت بور سعيد، روحت عند بيت سحر وهند، رنيت على سحر، جرس ومحدش بيرد، استنيت شوية، رنيت على هند الصغيرة.

ردت عليّ هند: أيوة يا مستر، حضرتك فين؟

-أنا قدام البيت.

-إلحقنا يا مستر، بابا تعبان قوي، رقمك مش معايا، وتليفون سحر اختفى من إمبارح بالليل.

-شقتكم رقمها كام؟

-شقة ٣٠٢ الدور الثالث.

-أنا طالع أهو.

طلعت السلم، رنيت الجرس، فتحتلي هند وباين على وشها العياط.

-السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

-السلام علينا وعليكم آل البيت من الله عز وجل، مالك يا هند؟ فين أختك؟

هند ترد بتلعثم: بتغسل وشها وبتدور على مطهر للجرح.

-خير، جرح إيه؟

لسه بسأل سمعت صوت خوار شديد (صوت الثور) يفزع وخصوصًا إن الصوت طالع من الأوضة ،فهمت الوضع بسرعة، المارد حس بتحركي من الإسماعيلية لبورسعيد، بدأت المعركة، يا رب نصرك الذي وعدت.

جت سحر ولقيت على وشها من الناحية اليمين أثر جروح، والناحية الشمال وارمة من كدمة أو ماسكة بعنف، بسرعة فكرت، المارد مرتبط بالعصا، فيها السر كله، طلبت من سحر تحاول تتصل بحد من مصر يجيب العصا المطلسمة بأسرع وقت يمكن التخلص منها يكون الحل.

-يا سحر ممكن حد أمين يجيب العصاية بسرعة؟

سحر تأخذ تليفون أختها وتتصل بواحد: آلو، عم محمود، إزيك يا عمو؟

-والله لسه تعبان يا عمو.

-ممكن أطلب من حضرتك طلب؟ ممكن تفتح البزار وتجيب العصاية الفرعونية الملونة على شكل أفعى؟

- ....

-أه، ضروري وبسرعة.

- ......

-أنا مقدرش آمن لحد غيرك يا عمو، كلنا بنثق فيك.

مستنياك، السلام عليكم.

صوت الخوار يزداد، أبوهم بيحاول يكسر باب الأوضة بس الباب قوي والكالون جامد

خوار شديد، كلام مش مفهوم، صوت كأنه الرعد يردد بقوة: حتب دي نسو،

حتب دي نسو.

باب الغرفة يتهز، البنات تصرخ .

صوتي أنا بقوة: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

رددت الآذان بقوة من وراء الباب، صوت الخوار يتحول للغة غير مفهومة، نفس الكلمة تتردد بقوة: حتب دي نسو.

الحقيقة اللي مخليني فاكر الكلمات دي إني لما حاولت أبحث عنها بعد كدا

في الإنترنت لقيت معناها القربان، يعني المارد كان عاوز قربان آدمي يتقدمله، كنوع من إظهار الطاعة للشيطان عشان يسيبهم في حالهم أو يخصهم بقدرات وخبايا العالم السفلي.

الصوت بدأ يهدأ لغاية ما اختفى خالص، مرت حوالي ٣ ساعات قضيناها في الأذكار والقرآن والصلاة على النبي .

رن جرس الباب، فتحت سحر.

-عم محمود أهلًا وسهلًا، اتفضل.

رجل نوبي سنه تجاوز الخامسة والخمسين، يلبس قميص نص كم أزرق وبنطلون قماش كحلي، علامة الصلاة واضحة في جبينه ،يحمل في يده لفافة طويلة، يظهر أنها العصا، شافني ارتبك .

-إزيك يا عم محمود؟ -أنا ببدأ الحوار للتخفيف من الموقف.-

هو: أهلًا وسهلًا بحضرتك.

ينظر لهم بعين مرتابة كأنه بيسألهم مين ده؟ إنا بستكمل: عاوزك تحكيلي كل حاجة عن العصاية دي، جت منين؟ قصتها؟ كل حاجة.

سحر بتبص له بهدوء وابتسامة خفيفة، ما تخافش يا عم محمود، المستر بيساعدنا وهو محل ثقة.

بصلها وقالها: طالما عشان الحاج هقول، هقول كل حاجة، المهم الحاج يقوم بالسلامة.

بدأ عم محمود يحكي: من ثلاثين سنة، أيام ما كان الحاج فاتح بزار في الأقصر، جالنا واحد نباش قبور كان معروف عنه إنه أشطر واحد يوصل

للخبيئة اسمه شعلان (تعمدت أن أخفي الاسم الحقيقي للشخص لعدم المساس بسمعة أولاده) وعرض على الحاج إنه يشاركه في فتح مقبرة، مقبرة مهمة قوي، أهم من مقبرة توت عنخ آمون، مقبرة لكبير الكهنة وعرض على الحاج إنه يموله بالفلوس، ويخبي الخبيئة لغاية ما يجي اللي هيشيل المقبرة كلها ويدفع، وعشان يغري الحاج قالوا إن المقبرة اكتشفها بنفسه بعد ما ترجم بردية ملكية سرقها من أحد المقابر أثناء التنقيب مع بعثة أثرية.

الترجمة حددت مكان المقبرة وإنها بتضم كل أسرار الكهنة وخصوصًا سر الشباب والقوة اللي ميغيرهاش الزمن، الحاج ساعتها استهزأ بيه وطرده من البزار، عرفنا وقتها إن شعلان راح لصاحب بزار تاني اسمه حسيب وأقنعه بطريقته، وبعد مرور ٣ أسابيع بدأت النعمة تظهر على حسيب بشكل ملفت، اشترى أراضي كتير وعرض على الحاج نفسه مبلغ كبير لشراء البزار بتاعنا، والحاج وافق وبيعناله البزار وجينا فتحنا بزار في مصر ومحل أنتيكات في بور سعيد ،الغريبة إن الحاج لما كان بينزل الأقصر يجيب بضاعة كان بيقابل الحاج حسيب، زي ما هو.

أنا: قصدك إيه بزي ما هو يا عم محمود؟

يعني مش باين عليه سنه لغاية آخر مرة شافه الحاج من ٥ سنين قبل ما يموت، كان زي ما يكون شاب في الثلاثين، وبعد ما مات أولاد الحاج حسيب باعوا البازارات والأراضي وفضل عندهم المقتنيات الخاصة بحسيب نفسه، الحاج عرض يشتريهم ودفع فيهم مبلغ كبير قوي.

أنا: إيه هي المقتنيات دي؟

-كتب سحر نادرة وتماثيل لأنوبيس، وعصاية الكاهن الأكبر صاحب المقبرة اللي قاللنا عليها شعلان، وحاجات تانية كتير.

قلتله: وتعرف إيه عن العصاية دي بالذات؟

عم محمود يرد بامتعاض وخوف: الحية (أنثى الثعبان)؟

-أيوة يا عم محمود.

عم محمود يجز على أسنانه: دي ملعونة، من ساعة ما جت والحاج اتغير.

-قصدك إيه؟

-الحاج كان بيسيب عكازه ويمسكها هي يسند عليها ،بمجرد ما يمسكها وشه يرجع عشرين سنه لورا وظهره يتفرد، ويبقى فيه قوة عشرين راجل.

سحر تقاطعه وتسأل: أمال بابا كان عادي في البيت ليه؟

محمود يرد: عشان كان بيسيبها في البزار، كان بيخاف عليكم منها، وبمجرد ما يسبها يرجع يبان عليه سنه لغاية ما عرفت اللي حصل لحسيب.

أنا أنصت باهتمام ويتقطب جبيني: إيه اللي حصل؟

-حسيب مات بعضة تعبان، تصوروا؟ الطب الشرعي قال لدغته حية، حية في أوضة نومه في قصره في الدور الثاني، لما لقوه ما كان جنبه غير العصاية دي.

-سحر ومقولتش لبابا ليه؟

-قولت له بس زعقلي وشتمني ولأول مرة بعد العشرة دي رفع إيده عشان يضربني.

دموع محمود تسيل وصوته يتهدج: ولما الحاج ساب العصاية عشان يروح، وحطها في المخزن، جالي واعتذر لي وباس رأسي وعيط، وقالي ده مش أنا يا محمود أنا عمري ما أمد إيدي عليك أبدًا، تتقطع إيدي الأول دا أنت

عشرة العمر يا صاحبي وقرر لما يجى تاني يوم إنه يكب بنزين عليها ويولع فيها.

أنا: أمتى الكلام ده يا حاج محمود؟

-قبل ما يقع في البزار بيوم.

-وأنت كنت فين يا راجل يا طيب لما وقع؟

-بنتي كانت بتولد فما روحتش اليوم ده لغاية ما ست سحر اتصلت بيا الساعة ٢ بالليل وهي قلقانة عليه.

أخذت العصاية من إيد محمود ومسكتها، دي مش عصاية دي حية، مش قصدي إنها تعبان، قصدي إنها بتنبض من جوا، أيوة، كأن فيها قلب بينبض.

-يا عم محمود، أنت هتساعدني دلوقتي وأنا عارف إنك بتحب الحاج ومش هتتأخر عن مساعدته .

-قوللي عاوزني أعمل إيه وأنا مستعد.

-هندخل الأوضة سوا ونسيب العصا الحية بره، ونحاول نقرأ عليه قرآن، والله المستعان.

آنسة سحر، وأنت يا هند خشوا أوضتكم وما تطلعوش مهما حصل ومهما سمعتم، أنا بحذركم ما تطلعوش أبدًا، واقفلوا عليكم من جوا.

دخلت أنا وعم محمود نجدد الوضوء، ثم صلينا على النبي بالصيغة النارية (١٠٠) مرة ومسكت المفتاح وفتحت تكة، تكتين ومسكت المقبض وزقيت الباب ودخلت وعم محمود ورايا، سبت العصاية بره الأوضة ودخلت وورايا دخل عم محمود.

أوضة كبيرة ضخمة مفروشة بسجادة حمراء كبيرة، الأوضة لونها لبني فاتح ما عدا ركن واحد فقط أزرق غامق، على يميني تسريحة بأعمدة من خشب الأرو عليها مراية مزركشة كبيرة بجانب التسريحة ناحية اليمين عمود خشبي ضخم على شكل شماعة –علّاقة– ملابس، عليها روب أخصر طويل، شباك من الألومنتال عريض جدًا، إذا نظرت منه تجد البحر ومسجد طرح البحر، سرير بنفس الأعمدة من خشب الأرو، خلف السرير ستارة نبيتي تقيلة تخفي خلفها ستارة خفيفة، بجانب السرير كمودينو عليه كوباية مية ودورق نصفه مليان، بجواره علبة سجاير وولاعة، على شمالي فوتيه ضخم من نفس الخشب بجانبه شزلونج وثير، بجانبه كرسي هزاز بيتحرك ويتمرجح ومفيش حد قاعد عليه، إضاءة الغرفة باهتة، الغرفة تمتلئ بدخان خفيف، بصيت على مصدر الدخان لقيت سيجارة على الكومودينو على الطرف نصها بره مولع والنص التاني على الخشب مطفي، السيجارة بتولع ويتشد منها الدخان لوحدها، بصيت ملقتش حد في الأوضة، مش شايف كويس، بصيت تاني لمحت واحد ورا الستارة النبيتي التقيلة، الكرسي الهزاز يزداد اهتزازًا، السيجارة تشتعل بقوة.

ورايا من الشمال عم محمود، صوت أجش غليظ يتكلم بهدوء بالعربي: برده جيت؟ إيه اللي جابك مش حذرتك قبل كده في المستشفي؟

ضحكت بتظاهر بالقوة وقولتله: ما أنت بتتكلم مصري زينا أهو، أمال إيه بقى شغل الفراعنة ده؟

فجأة الكرسي اللى بيتهز وقف في نص المسافة والصوت اتغير وظهر صوت أمي: محمد، محمد.

ضحكة هستيرية مرعبة: أنت صدقت إن أمك هي اللي كلمتك في

المستشفى؟ وصدقت أنها جت لهند في المنام وطلبتك تعالج الراجل ده؟ غبي، بشر أغبياء.

أنا اللي جبتك لغاية هنا، بصراحة إحنا عاوزينك من زمان، أنت الوريث حفيد فضل وفاضل، دمك أنت دورنا عليك كتير، كان لازم يكون واحد من نسل فاطمة، ومين أحسن من ابنها البكري؟ روح أمك فيك.، بس أنا هخليك تختار تبقى معانا وتتنعم بالدنيا وكلها تبقى تحت رجليك، دهب وفلوس ونفوذ وسلطان، محاربينا وكلها جيوش يتمنى هتذل الملوك وتهزم الجيوش الكل هيتمنوا رضاك، ولا تموت هنا، محدش يسمع عنك ولا حد يعرف أنت بتعمل لهم إيه؟

سكت شوية وبصيت ناحيته وقولتله، كل ده والمسافة ما بيني وبينه عند آخر السرير ورا الستارة حوالي ٤ متر تقريبًا: أنت عشان غبي بتقول كدا، ربنا وحده هو اللي جبني النهارده مش تدبيرك، يمكن مجيتي النهاردة بداية نهايتك اللي قربت.

ضحكة عالية مرعبة: نهايتي أنا؟ مش عارف البشر دول متفائلين ليه؟ مهما البشر عملوا خير بردو بضلكم نهايتكم معصية، ذنوبكم كتير.

حبيت اختبره صرخت فيه بقوة "الله أكبر" الصرخة والكلمة اللي طالعة من القلب هزته.

-الله أكبر منك ومن كيدك، ومتخليش غرورك وكبرك ينسيك إن فيه عباد ربنا اختصهم من عنده واستخلصهم من البشر، ملكش عليهم سلطان.

رد بعنف: اخرس متقولش ولا كلمة، أنت واقف قدام ملك، أنت مش شايف أد إيه الحرس والجنود حواليك؟ مين يقدر يهز عرشي؟ أنا حي من

يوم آدم لغاية دلوقتي، وآدم أبوكم مات، كل البشر ميتين.

ضحكت بسخرية استفزته: هو غرورك ده اللى طلعك من الجنة ،غرورك اللي ورثه منك كل جني كافر، الغرور ده قتل كتير من شياطينك، في كل معركة كنتم بتحسبوها بالعدد وكتر الوحوش والمردة ونسيت إن ربنا بيقوينا وربنا يبارك في إخواتي من الجن المسلم وربنا بيقوينا عليكم .

رد بعجرفة: مش مهم مات كام، ذريتي كتير، وأنا مش بموت، إحنا مش بننتهي.

رديت قولتله: أنا عارف إنك من المنذرين ليوم الوقت المعلوم، بس ممكن تتعذب لغاية يوم القيامة، شوف كام حاج حرقك بالجمرات، شوف كام مرة صغرت واتذليت مع كلمة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، شوف كام دعوة صادقة من عبد صالح دمرت مدن عندكم، وما تنساش إن النهاية قربت، وإن المعارك على الأبواب، وأنت عارف النهاية.

فجأة الصوت اختفى وظهر الصوت الفرعوني .

أنا بتكلم بسخرية: رحت فين؟ خنست لما فكرتك بنهايتك؟ هربت وسبتلي عيل من عيالك؟

شاورت لعم محمود عشان يساعدني ويكتفه معايا، ببص عن شمالي ملقتش عم محمود، سبني من الخوف وخلع وطلع بره الأوضة، وساب الباب مفتوح.

كل الكلام ده وهو واقف ورا الستارة، فجأة ظهر من ورا الستارة وتمتم بعبارات فرعونية وشاور بإيده ناحية الباب لقيت العصاية طارت من الصالة وجتله ومسكها في إيده، واتغير الصوت لصوت خوار وصراخ، كلام

فرعوني كتير ملحقتش أحفظ منه حاجة وهجم عليا، هجم عليا بقوة ٢٠ راجل، زقيت قدامه عمود الهدوم الخشب، داس عليه برغم حجمه وقوته، كسره كأنه عود كبريت.

جريت بسرعة وأنا بهتف "الله أكبر" ناحية الفوتيه ورميته قدامه يمكن يتكعبل طار من فوقيه زي الريشة، وصلت لدورق المية وكبيته في وشه، رفع العصاية ونزل على رأسي بقوة ،كان كل همي أخطف العصاية منه، مش مشكلة عندي أي حاجة تانية، مسكتها بإيدي بقت العصاية ما بيني وبينه، فجأة اتحولت لحية ضخمة، أنا ماسك ديلها وبشده كنت متوضي وقايل أذكاري، صرخت "الله أكبر" وبقوة مش قوتي، قوة من ربي نتشت الحية منه، وزقيته برجلي في باطنه، بمجرد ما مسكت الحية اتحولت لعصاية مرة تانية، وهو وقع على الأرض، لقيت عم محمود اتشجع وجه جري نام فوقه ،كان كل همي أبعد عنه العصاية لأن المارد مرتبط بيها وطول ما هي في إيده هيسيطر عليه المارد، طلعت من الأوضة جري، كان كل همي آخد العصاية برة البيت، نزلت بسرعة عديت الشارع جري وجريت من شارع الجامع ووصلت للإسعاف اللي ورا الجامع وبسرعة دخلت الشط، الناس كانت بتبصلي وانا بجري بالعصاية لغاية ما وصلت المية، دخلت بهدومي كلها، وغطستها في مية البحر المالحة، حسيت إن الحية بتقاوم قربت وشي من المية قريت عليها الفاتحة وكررتها كتير، وآية الكرسي وبعدها كررت (إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى)

فجأة، المقاومة ضعفت، والحية استسلمت لقدرها، حطيت رجلي على العصاية من نصها وشديت النص التاني بقوة الحمد لله اتكسرت، دوامة شديدة مع هبد وصوت صريخ وحد بيشدني من رجلي يسحبني لجوه الغريق، ناديت باسم الله:

يا ألله أعني، يا مهيمن، يا قادر، يا حي يا قيوم بك أستغيث، استودعتك نفسي.

فجأة كل حاجة رجعت طبيعية، طلعت من البحر بسقط مايه، ووصلت لبيتهم لقيت عم محمود بيفوق في الحاج وبيشربه ميه وسحر وهند قاعدين جنب أبوهم بيبكوا من الفرح، قضيت اليوم معاهم ورجعت تاني بليل بعد ما دفنت العصاية في مكان معزول وحطيت عليها شوال ملح.

تمت.

في الخميس السابع عشر من مارس ٢٠٢٢.

سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك وأشهد أن لا إله إلا أنت.

فيلا الساحل الشمالي.

السنة اللي فاتت، صديق عزيز على قلبي دعاني أقضي في فيلتهم في قرية من قرى الساحل الشمالي ثلاثة أيام.

القرية قبل مارينا ،تحركت الظهر بالعربية ووصلت هناك على المغرب أنا وزوجتي وأحمد ومصطفى أولادي، والمفروض إن أختي وزوجها وأولادها هيلحقونا بعد منتصف الليل، الفيلا رائعة، دورين وروف، جنينة كبيرة خاصة، حمام سباحة خاص بالفيلا ،دخلت وركنت العربية، أولادي وأنا شلنا الشنط ودخلنا الفيلا، الدور العلوي، (معلش مضطر أقول كل حاجة، مش فشخرة، عامة إحنا كان مبصوص لنا فيها، يلا (غرفة ماستر بالحمام وغرفتين وحمام منفصل، طبعًا المدام كانت عاوزة تاخد الغرفة الماستر بالحمام الخاص ،أنا دخلت الأوضة دي، تقدر تقول عرفت إنها مسكونة، من غير دخول في تفاصيل إزاي عرفت ،قولت لزوجتي: بلاش دي.

- ليه بقى؟

-مش هتعرفي تنامي فيها هتتخنقي بليل.

الستات دول، المهم ما اقتنعتش بس ما رضتش تزعلني وسابت الماستر لأختي وزوجها وإحنا خدنا الأوضة التانية، أنا بصراحة قلت أختي تقدر تسيطر على الوضع أكتر من مراتي، تقدر تتعامل لو ظهرت حاجه ليهم وتقدر تحصن غرفتها كويس، أصلها شاربة مني شوية أو إحنا الاتنين شاربين من أمي قوي، أولادي دخلوا في أوضتهم ادتلهم ريموت التكييف ،وقولتلهم:

أنا على الروف فوق.

-روف ايه يا بابا؟

-يعني السطح يا بهايم، اتمدنوا بقى أنتم جنب مارينا.

طلعت وسبت ابني مصطفى وأحمد يلعبوا والمنظر فوق في الروف -السطح- رائع

شوية والأولاد طلعوا، قعدنا سوا في الهوا والنجوم ونزلنا، عشان ننام يا معلم، أنا بصيت على الأوضة، مش قصدي بصيت بعيني عادي، لأ؛ أنا قصدي بشوف فيها حاجة من خلق الله التانيين ولا لأ، عامة كان فيه بس أنا قلت لمراتي أقري أذكارك وحصني نفسك، زوجتي مش من النوع اللي بتعتقد في الأمور دي ومعتقدة إنها طالما بتصلي وتصوم وتسبح إن مفيش حد هيأذيها .

النوم سلطان، وزوجتي نامت وألقى اللي جايلي، خير يا عم؟

لابس لبس قاضي محكمة وقالي: أنا جاي أشتكيلك من ابنك مصطفى.

-ليه بس؟

-عاملنا إزعاج وبيتنطط كتير.

-حاضر هخليه ميتنططش، معلش ده عيل ومش قصده.

الصبح كانت أختي وصلت على الساعة السادسة في الصبح، أتأخروا عن ميعادهم،

حطوا شنطهم في الغرفة الماستر ودخلوا يناموا، صحينا كلنا على الساعة الثانية عشر ظهرًا.

وناديت على مصطفى: تعالى، أنت عملت إيه إمبارح؟

-ولا حاجة يا بابا.

-يا ابني قولي.

-ولا حاجة يا بابا.

زوجتي: في إيه يا محمد هو عمل إيه؟

-آنت اتنطط امبارح؟

-آه؛ قصدك لعبت تمارين؟ آه جنب الحمام اللي تحت شوية ركلات يا بابا وكام نطة.

-يخرب بيتك، تلاقيك فعصت حد منهم عشان كده بيشتكوا.

أنا بقول في سري عشان مش عاوز حد من أولادي يقلق أو يتأذي، المهم بدأ التطفيش،

أختي قامت من النوم تبصلي جامد ومش عاوزة تقول، وأنا مش عاوز أقولها يمكن ما تاخدش بالها والمصيف يعدي، بس على مين يا جدع؟ خلينا في المفيد.

جبنا غدانا، كنا جايبينه معانا واتغدينا وقولنا ننزل حمام السباحة يعني على الساعة خمسة أو ستة كنا غيرنا وطلعنا على البحر، جالنا ضيوف قعدوا معانا.

أولادي وأولاد أختي عاوزين يروحوا الفيلا، عاوزين الحمام والضيوف لسه قاعدين معانا على البحر، وصلتهم الأربع أولاد، كبار مش صغيرين وقولتلهم خليكوا في الجنينة محدش يخش الفيلا وأخذت المفتاح بتاع الباب،

سبتهم من الساعة الثامنة رجعنا الساعة الثانية عشر.

-بابا.

-نعم يا حبيبي.

-كان في حد جوة الفيلا بينادي علينا صوته مرة زيك، ومرة زي ماما، فكرناكم جيتوا.

-طيب اسكت.

-بابا مين ده؟ يا بابا.

-صدى الصوت يا حبيبي بتاعي وبتاع ماما وإحنا على البحر.

-صدى الصوت يا بابا يجي من البحر يعدي ٣ شوارع ويخش الفيلا ويطلع من الفيلا؟

-عيل رخم بجد، ليهم حق يزهقوا منك.

-مين دول يا بابا اللي زهقوا مني؟

مش هرد هسكت أحسن.

المهم، جوز أختي طلع ينام وأنا ومراتي وأختي في الجنينة، أختي رفضت تطلع.

-إيه يا بنتي؟

تبصلي وساكتة قلت لها: قولي اخلصي مراتي عارفة.

-بصراحة الفيلا فيها حاجات وحشة.

-طيب ما أنا عارف.

مراتي تبصلنا، قالتلها: محمد قال كده أول يوم بس أنا فكرت بيقول كدا عشان يديكوا الأوضة، معرفش إنه بجد! الكبيرة.

تعالوا بقى نحكي المواقف اللي حصلت لنا جوا؛ موتور المياة ليه مفتاح كهربا تحت في الدور الأول كل لما نيجي ندخل الحمام في الدور التاني حد يقفل المفتاح من الدور الأرضي، ننزل نلاقي المفتاح مقفول نفتحه ونطلع يتقفل تاني، كل ريموتات التكييف اختفت عشان ما نشغلش التكييف، كل المحابس طلعت في إيد الأولاد وهما بيفتحوها،

أوكرة الباب طلعت في إيد اللي بيفتحها، طب أعمل إيه؟ لازم أتصرف، نزلت الأولاد في الجنينة وطلعت غرفة أتكلم معاهم:

إحنا ضيوفكم والضيافة ثلاثة أيام، في آخر يوم هنمشي، بس عاوز كل الريموتات تطلع وتصلحوا الحاجة البايظة، عشان أسلم الفيلا لصاحبها.

في اليوم الثالث الصبح الأولاد قاموا لقوا كل الريموتات، ولقوا المحابس اتصلحت

بس الطامة الكبرى؛ تليفون زوجتي مش موجود، عارف هتقولوا "رن عليه" عملنا كده، مفيش صوت، لغاية ما زوجتي سمعت نغمة خفيفة، دورنا لقيناه جوه ضلفة الدولاب اللي صاحب الفيلا قافل عليها بالقفل عشان متعلقاته الشخصية، ومش في أي حتة، الدرج التحت جوه في الآخر، مراتي جريت من الفيلا بسرعة وأنا طلعتهم كلهم بره وأنا اللي شيكت على الفيلا، طبعًا في حاجات كتير ما قلتهاش عشان الأمانة في نقل القصة، وآخر حاجة بقى، عربية زوج أختي رافضة تدور نهائي.

الحمد لله، بعدتهم عن العربية وسميت الله دارت، ورجعنا، الحمد لله بعد

فشل المصيف، الحقيقة أنا شفتهم، قصدي اللي بالي بالك، مركزين مجهودهم جنب الحمامين الأرضي وده الشر كله، وحمام الماستر، الحمد لله إن ربنا نجانا وأولادنا.

قطار بور سعيد.

وقفت في الصف الطويل أمام شباك تذاكر محطة سيدي جابر بالإسكندرية، وصلت أخيرًا للشباك: تذكرة ثالثة التل الكبير.

أعطاني موظف الشباك التذكرة، أخذت التذكرة ووقفت على الرصيف، الساعة أربعة وربع العصر، صوت صفارة القطر من بعيد، الرصيف بيتهز من حركة القطر، صوت صفير احتكاك الفرامل الحديدية على العجل الحديد

بسرعة شلت الشنط والكراتين، ودخلت في أول باب قابلني، أول كرسي جنب الباب، دخلت بسرعة، ناس كتير دخلت ورايا، العربية اتملت، القطر بدأ يتحرك ببطء، زادت السرعة، الناس حطوا الشنط وبدأ كل واحد يستعد لرحلته، القطر ده عالم لوحده، مولد وصاحبه غايب، بياعين وعساكر وطلاب وموظفين.

قعدت جنب واحدة ست كبيرة عندها حوالي ٥٥ سنة وأنا كان عندي ١٦ سنة وقتها، الست باين عليها الطيبة والجدعنة، عباية سودة وطرحة حرير طبيعي، ابتسامة طيبة، وش منور باين عليه الصلاح، سامعها عمالة تستغفر وتدعي وبصت ناحيتي وابتسمت وقالت: أنت مسافر لوحدك يا حبيبي؟

-أيوة يا أمي.

-ربنا يحفظك يا ولدي ويفديك، ويكفيك شر اللي على غفلة، رايح فين يا ابني؟

-مروح يا أمي كنت بجيب التموين من إسكندرية أصل إحنا لسة ناقلين إسماعيلية.

-إسماعيلية! ياه مسافتك طويلة يا ولدي، هتوصل في العتمة، ربنا يحفظك.

-هتنزلي فين يا أمي؟

-طنطا، شلّاه يا سيد يا بدوي.

-لو تحبي أبقى أساعدك وأنت بتنزلي حاجتك قوليلي.

-كتر خيرك يا ضنايا.

دعت لي، قعدت لغاية طنطا حاسس إني ما بين أهلي، كلامها ونظراتها مريحة، بصراحة معرفش ليه حسيت إن ريحتها ريحة أمي، القطر بيهدي وقرب يقف في طنطا، شيلت معاها الشيل ونزلتها، ورجعت قعدت على الكرسي بتاعى، بصيت من الشباك لقيتها بتشاور لي، والقطر بدأ يتحرك، قالتلي بصوت واطي مش سامعه كويس: متقعدش لوحدك.

-بتقولي إيه؟ مش سامعك كويس.

القطر مشي وهي كانت بتشاور لي على حاجة ورايا، أنا بصيت ملقتش حاجة، بتشاور ناحية الباب اللي ورايا، قلت يمكن بتشاور لحد تاني أو بتقولي خد بالك وأنت نازل من الباب، حركة القطار، صوت التكتكة، وصوت الفلنكات، وهزة القطر خلتني أستسلم للنوم، نوم متقطع نوم مش طبيعي، مش مريح، كأن فيه حد ماسك قلبك جوه صدرك، تقل في عيني بغمض وافتح أشوف ناس بتنزل وناس بتطلع كأني متخدر، فتحت عيني وسألت حد قدامي وكان الوقت بعد المغرب "إحنا فين؟"

قالي داخلين على الزقازيق، بصيت بالعافية من بين رموشي شفت العربية قربت تفضى ونور بسيط جاي من آخر العربية، عيني تقيلة قوي نمت، قمت على صوت باب بيخبط ويرزع وصوت ازاز بيتكسر ،فتحت عيني لقيت العربية فضيت خالص والدنيا ضلمة قوي، حتى اللمبة الصفرة اللي كانت منورة في آخر العربية انطفت والناحية بتاعتي ضلمة يا دوب شايف أشباح بتتحرك مش باين معالمها، جفني تقل، فتحت عيني مش شايف حاجة في العربية، لقيت راجل واحد بس قاعد جنبي.

أنا بسأله: هو فاضل كتير على التل؟

بصلي وقالي: أبو حماد عدت، إحنا داخلين على محطة المحجر، وبعدها التل الكبير.

أنا بكلم نفسي: خلاص بقى يا حمودة، صحصح كده أنت قربت.

حاولت أصحصح نفسي، وأتكلم مع اللي جنبي.

-هي العربية ظالمة كده ليه؟ مش كان فيه لمبة منورة من شوية؟

رد وقالي: انطفت، مسافر لوحدك ليه؟

-كنت بجيب التموين أصل إحنا نقلنا من إسكندرية للإسماعيلية وأنا أول كل شهر بنزل أجيب التموين من إسكندرية، وأرجع تاني للإسماعيلية..

(بصراحة كنت وأنا صغير رغاي قوي.)

قالي: انا بشوفك أول كل شهر .

استغربت: هو حضرتك بتركب القطر على طول؟

رد وقالي: كل يوم رايح جاي.

قلت في نفسي: شكله موظف.

سكت شوية وقمت وقفت وعدلت هدومي وبتحرك عشان أطلع من الكرسي وبعدي من جنبه وكنت قاعد ناحية الشباك في آخر كرسي وورايا باب القطر وبعديه الحمام ،فرد إيده ومدها كأنه بيمنعني إني اعدي.

أنا باستغراب: فيه حاجة حضرتك؟

-رايح فين؟

-رايح الحمام، بقالي فترة ماسك نفسي، بس تعبت عاوز أروح الحمام.

-بلاش.

-بلاش إيه؟

-بلاش أحسن تقابله.

-أقابل مين؟ قصدك الكمسري؟ أنا قاطع تذكرة مش مزوغ .

-لأ، مش قاصدي الكمسري.

-أمال بتتكلم على مين؟

-عفريت الحمام.

ضحكت بسخرية: عفريت إيه بس؟ إوعى يا عم الحاج.

قالي: على العموم، روح براحتك بس ما تقولش إني ما قولتش.

وقفت مكاني وباين عليا الارتباك والتردد قولتله: أنت بتتكلم بجد؟

-طبعًا، أنا هخوفك ليه؟ أنت بتركب القطر كل شهر وما سمعتش حد بيتكلم عليه؟

-لأ، محدش قالي، بعدين العفريت هيطلع في القطر ليه؟

رد وقالي: عشان اتقتل فيه.

-اتقتل إزاي؟

-كان فيه واحد بيسرح ببيبسي من طنطا اسمه فايز وكان متعود يركب قطر بورسعيد يسرح فيه، وفي يوم دخل سريح تاني نفس القطر شدوا مع بعض، كلمة من هنا، وكلمة من هناك، قامت الخناقة، ضرب بالأزايز من كل ناحية، وشدوا بعض لغاية لما وصلوا للمكان ده، وشاور ناحية الباب اللي ورايا،

السريح التاني طلع مطوة قرن غزال وضرب بيها فايز، وكان ساعتها القطر دخل محطة الزقازيق، وقع فايز سايح في دمه والدم وصل لغاية الحمام.

أنا بسأله باهتمام: والقاتل مسكوه؟

-لأ، نط من القطر على الرصيف وساب كل حاجة، ومن يوميها كل ما القطر يعدي على الزقازيق العربية دي بالذات تتعفرت، وفايز يطلع يدور على اللي قتله، لغاية ما القطر يوصل بور سعيد.

أنا بخوف: تتعفرت إزاي؟

-البيبان تترزع والنور يقطع وصوت تكسير الإزاز وحاجات تانية كتير.

معجبتنيش نبرة صوته وهو بيقول وحاجات تانية كتير.

-الحمد لله كل ده مقدور عليه إنما العفاريت تطلع؟ دي مشكلة.

رد ببرود وقالي: بتطلع لو أنت لوحدك في العربية.

قولتله: الحمد لله أنا مش لوحدي، أنت موجود أهو.

ضحك بصوت مستفز وقالي: من حظك.

فجأة قام من جنبي وقعد في الصف الثاني، نور كشاف جاي من بعيد، كنت لسه هسأله "قمت ليه؟"

صوت الكمسري: تذاكر، تذاكر.

نور كشاف الكمسري يدخل العربية من الآخر ويمد بسرعة كأنه بيجري لغاية ما وصل ليه، أنا بقول له: اتفضل التذكرة.

بصلي في ارتباك ومخدش التذكرة وقالي: نازل فين؟

-التل.

قالي: وقاعد لوحدك في الضلمة ليه؟ روح عربية منورة، ما تقعدش لوحدك يا بني الله يهديك، مش كل أسبوع نلاقي واحد، وسكت مكملش كلامه.

وشاور لي بإيده إني أقوم وجري دخل العربية الثانية، الغريبة إنه ما سألش الراجل الناحية الثانية على التذاكر ولا بصله خالص .

أنا قولت لنفسي لسه هقوم وأشيل حاجتي من الرف؟ خلاص أنا قربت، مفرقتش كتير، وبعدين الراجل اللي قصادي ونس أهو، الراجل قام ناحية باب العربية اللي ورايا ورجع تاني، رجع قعد في الكرسي جنبي، جفني تقل ومش قادر أقاوم، ما بين النوم والصحيان، حسيت بحرارة طالعة من ناحية الراجل اللي جنبي، سلسلة ظهري منملة، إيد بتتمد بتمسك جنبي جامد، مش قادر أتحرك، الإيد بتترفع لغاية رقبتي كأنها بتسلخ في جسمي ما بين الجلد واللحم، شلل تام، نفس سخن في رقبتي من ورا، شعر رأسي كله وقف، إيد ماشية عليا من قفايا لرأسي من فوق، بتنزل شوية بشوية، الأيد

اتلفت على رقبتي

بتخنقني جامد، بحاول أقرأ آية الكرسي بس لساني تقيل، مديت إيدي بحاول أفك الإيد اللي على رقبتي معرفتش، روحي هتطلع ،وش كله دم قدام وشي، أيوة شفته كويس برغم إن الدنيا ضلمة، سنانه صفرة مش عارف بيضحك ولا بيجز على سنانه، بحاول أتشاهد ،فجأة لقيت الست اللي كنت قاعد جنبها ونزلت في طنطا واقفة وجت وقفت ما بيني وبينه وبتقوله بلغة عربية: ليس لك على ابن فاطمة سلطان، اذهب بلا أذى، اذهب ولا تعتدي، قد أنذرتك، الأيد اتفكت، بدأت آخذ نفسي من تاني، بفتح عيني لقيتها اتحولت لملكة لابسة التاج، حواليها حراس، وذئاب وأسُود ببص كويس لقيتها الملكة ياسمين، وقالتلي: ما تخافش أنت في أمان، أنا مش قولتلك يا محمد ما تقعدش لوحدك هنا؟

-أنا مكنتش أعرف إن الست اللي قاعدة جنبي هي أنت.

ترد بابتسامة: يعني ما حسيتش؟

بصراحة حسيت إن الست دي كأنها أمي، ضحكت وقالت: يا ابن فاطمة، فاطمة مننا وإحنا منها وأنت ابنها ده العهد القديم يا محمد وإحنا ما بنخلفش عهد، يا محمد خلي قلبك دليلك، قلبك يا ابن الناس الطيبين مش هيخدعك،

ربنا معاك، بسم الله الرحمن الرحيم (وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) صدق الله العظيم.

صوتها في تلاوة القرآن جميل، هي بتقوللي: المحطة جاية، مش هتشوفنا دلوقتي، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

صوتها وطريقتها في السلام وقت الحضور والذهاب كان جد خالص.

اختفت، وصفين الجند اللي حواليها اختفوا، والذئاب والأسود اللي واقفين جنبها بردوا اختفوا، القطر بيهدي، صوت صفارة احتكاك الفرامل، بسرعة نزلت حاجتي ونزلت من الباب اللي جنبي، المحطة فاضية خالص، القطر بيطلع بالراحة، سرعته بتزيد .

بصيت لقيت اليافطة "محطة محجر أبو حماد"

-الله دي مش التل الكبير! طب هعمل إيه؟ مش عارف، سكة العربيات بيطلعوها منين؟ أنا شايف نور محطة التل باين من بعيد قوي، وأنا مش معايا فلوس عشان اركب مواصلة زيادة، ومش عارف فيه قطر تاني جاي ولا ده آخر قطر، طب والعمل؟

كل ده بكلم نفسي.

خلاص، توكلت على الله، همشي على الفلنكات لغاية ما أوصل التل الكبير، محطة محجر أبو حماد، مفيش حد عليها خالص، يظهر مفيش جنبها غير الجيش.

توكلت على الله (بقول لنفسي) شلت كل حاجة على كتفي، والشنطة لبستها في ظهري.

"يا مسهل" الظلط الأسود على الفلنكات صعب قوي، المشي عليه متعب، يا مهون.

نور محطتي بيقل، بيختفي، صوت نباح الكلاب بيزيد، دخلت على الضلمة، زلط أسود ليه حروف (عرفت بعدين إنه كسر بازلت مش زلط) صعب المشي عليه، مشيت تقريبًا كيلو كده، لقيت خيالات بدأت تظهر،

حاجات زي الدخان الأسود بتتحرك على شمالي.

بص لقيت الذئاب اللي كنت شايفها مع الملكة ياسمين ماشية جنبي يمين وشمال، لقيت التقل بتاع الشنطة والكراتين خف خالص كأن فيه حد شايلهم معايا، ما خفتش، أكيد جنود ربنا اللي قالتلي عليهم الملكة ياسمين لما قرأت القرآن، عدت ساعتين وأنا ماشي، نور محطة التل بدأ يزيد، الذئاب بدأت تختفي، دخلت المحطة، قعدت ارتحت شوية، عديت المزلقان وركبت العربية النص نقل من فوق، لغاية القصاصين، ومن هناك عربية تانية لغاية المحسمة. الساعة دخلت على الثانية عشر ليلًا.

خبطت على باب البيت، أمي رحمة الله عليها ابتسمت وحضنتني وبصت حواليا وابتسمت وشاورت لحد ورايا أنا مش شايفه وقالت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، أخوة طيبين، بارك الله فيكم وعليكم، وبعدين دخلت البيت .

-جعان يا محمد؟

-هموت من الجوع يا أمي والله.

-يا حبيبي، أنا مسخنالك الأكل أهو.

ضحكت إنها مسخناه ،جابتلي لقمة عل ما قسم، أكلتها وحمدت ربنا.

أنا بقولها: دي كانت ليلة.

ولسه هحكي ردت وقالتلي: واحد حب يؤذيك في القطر، وبعتلك أمي ياسمين ،وحرسوك لغاية ما دخلت البيت، أنا كنت شايفاك لحظة بلحظة لغاية ما وصلت دلوقتي.

أنا ما استغربتش إن أمي كانت شايفاني عشان أنا كمان كنت بشوفها واسمعها وأنا بعيد.

قلت لها: ليه عاوزين يؤذوني؟ أنا ما عملتش حاجة وحشة في حد.

بصت في الأرض وقالتلي بحزن: ده مش آخر واحد هيحاول ولا آخر مرة

هيحاولوا يؤذوك في جسمك وعيالك وبيتك وإخواتك ومالك.

أنا: ليه يا أمي؟

طبطبت على وشي بكفها الحنين وقالتلي: عشان خايفين منك.

-مني أنا؟ ليه؟

ضحكت وقالتلي: لما تكبر كمان شوية هتعرف كل حاجة وأنا هحكيلك كل حاجة، من أول جدودك لغاية دلوقتي، بس مش كله مرة واحدة عشان تقدر تستوعب وتتحمل.

أنا بقولها: أنا بحب الملكة ياسمين قوي.

ضحكت وقالتلي: بالنسبة لينا تبقى ماما ياسمين أو الحاجة ياسمين، هي بتحب الاسمين دول وبتحب وتفرح قوي بماما ياسمين أكتر.

قلت لها: ماما إزاي؟ وهي مختلفة عننا خالص .

سكتت أمي وردت وقالت: هي أمي بعد أمي.

أنا بقول: أنا قابلتها خمس مرات بس الصراحة من كتر هدوءها وصوتها المريح والمسك اللي بيفوح منها لما بتيجي وطيبتها أنا بحبها قوي وبتوحشني.

ردت عليا وقالتلي: فكرتني بنفسي وأنا بلعب تحت شجرة المشمش وإخواتي ولاد أمي ياسمين بيلعبوا معايا، وفجأة أمي توحيد طلعت من الباب تدور عليّ لما لقتني مش نايمة جنبها .

رديت وقلت لها: ده كان في المنزلة، لما قولتلنا عن الشجرة اللي طلعت فجأة والكنز اللي لقيتيه هناك.

ابتسمت وقالتلي: يلا نام، عشان أصحيك تصلي الفجر.

طب حصل إيه هناك تحت الشجرة؟

ردت وقالتلي: نام يا محمد، هحكيلك بعدين.

تمت.

الخميس ٢٤ من مارس ٢٠٢٢.

الملكة ياسمين

إضاءة خافتة تلقي بقليل من الضوء على الجدران الطينية باهتة اللون، سرير قديم تحاول ألواحه السقوط من الوهن لولا حبل قديم قد رُبط بقطعة يابسة من شجر الليمون وقد جُدل الحبل ليجمع عارضتي السرير ليمنع انفتاحه من ثقل الأجساد المتعبة الملقاة عليه، ملاءة زرقاء حالكة اللون فوق مرتبة مملوءة بقليل من القطن الذي تسرَّب معظمه من تآكل في جانب المرتبة، ثلاثة أجساد ملقاة يغطون في نوم عميق وقد تداخلت الأجساد والتصقت من البرد الذي لا يدفعه هذا الغطاء الهزيل، أم وحيدة قد ألقتها المشاق، يحتل جسدها الضعيف جزءًا قليلًا من الجانب الأيمن من هذا السرير البالي في محاولة غير مجدية لترك أكبر مساحة لأولادها الصغار، وقد ارتدت كل ملابسها في محاولة يائسة لدفع ذلك البرد القارس الذي يفترس كثيرًا من الأسر الفقيرة في هذه القرية المسالمة، صوت (تزييقة) السرير الناتجة من محاولة انسلال أحد الأفراد من هذه الأجساد الصغيرة.

طفلة صغيرة تنزل من جانب السرير -لا يُعلم لون ملابسها من شدة ظلام هذا الجانب من الحجرة- تخطو ببطء فوق أرض بلا فرش أو بقايا حصير، كانت تتحسس طريقها في شعاع النور الخافت الذي انطلق من لمبة جاز نمرة خمسة بفتيل متآكل فضيعت من الضوء أكثر مما أضاءت، موضوعة في وسط كوة (مساحة عميقة في قلب الحائط الطيني كأنه رف محفور) تخرج الفتاة الصغيرة المتسللة ليلًا باحثة عن طعام في جوف الليل بعد أن أيقظها الجوع لعلها تجد في المشنة عودًا من السريس (نبات يخرج مع البرسيم يجمعه

الفلاحون ليطفئوا به حرارة المش) مع قليل من المش والجرجير، وقد قامت من شدة الجوع فقد نامت مبكرًا ولم تتناول لقيمات العشاء، ترى منظرها وهي تخطو بهذه القدم الصغيرة خارج غرفتها إلى وسط الدار المعتمة معتمدة على ذاكرتها حينما رأت آخر مرة المشنة في ذلك الركن من الدار، سارت متجهة إلى وجهتها ولم تنتبه إلى هذا الكائن الضخم شديد السواد بشعره الأجعد المنكوش كأنه هو الظلام نفسه .

تقدمت بخطوات بطيئة واهنة إلى ذلك الركن، يقترب هذا الكائن المخيف منها دون أن تشعر أو ترى، كاد أن يمد يده الغليظة كثيفة الشعر ليجذبها، فإذا بامرأة تظهر فجأة من الظلام لم ترها الطفلة جيدًا واعتقدت من فرط براءتها أنها أمها (توحيد) وتقف بينها وبين ذلك الكائن الذي لم تره الطفلة، تضاءل هذا الكائن أمام هذه المرأة فتراجع ببطء مخليًا المكان لهذه المرأة الغامضة ذات الهيبة والوقار.

فاطمة تتحدث إلى المرأة: أنا جعانة يا أمه.

فتناولها هذه المرأة المشنة، فتجلس فاطمة للأكل وقد ارتخى جفنها قليلًا من النعاس الذي غلبه الجوع فلم تتبين من يجلس أمامها، أفزعها صوت أمها توحيد الذي يأتي من خلفها عند باب الحجرة قائلة: بتعملي إيه يا بت يا فاطمة في الوقت ده وقاعدة عندك ليه؟

صرخة فاطمة المذعورة بصوت متلعثم: باكل يا أمه.

-بتاكلي دلوقتي؟ مش أنا قلتلك متطلعيش بره الأوضة بليل يا بت؟

فاطمة ترد: كنت جعانة يا أمه وقمت آكل عود...

قاطعتها توحيد: السريس خلص، أخواتك خلصوه بليل يا فاطمة .

فاطمة ترد: السريس والعيش كتير أهو يا أمه .

-سريس إيه وعيش إيه؟ المشنة فاضية جوة في الأوضة تحت السرير يا فاطمة، جبتي المشنة دي منين؟

-أنت اللي اديتهالي دلوقتي يا أمه.

-أنا؟

تداري توحيد قلقها وخوفها وتاخد بنتها من يدها وتدخلها الأوضة، تدخل فاطمة الطفلة الصغيرة لتنحشر بين أجساد أخويها محمد الكبير وأحمد الصغير وتغط في نوم عميق.

كانت هذه العائلة تعيش بمفردها بعد أن مات أبوهم أحمد أبو إسْد أحمد، بعد أن أمضى أيام شبابه القليلة في الكيد للعمدة الذي استولى على أرض العائلة ووضع يده عليها وترك هذه العائلة في هذا الفقر الشديد واليتم القاسي بعد أن أوهم العائلة أن أراضيهم عبارة عن بركة مياه لا تصلح للزراعة فأخذ هذه المساحات الشاسعة التي منحها محمد علي لجدهم الأكبر الذي كان يعمل ضابطًا في الجيش عندما سرح محمد علي الجيش المصري.

أخفت توحيد خوفها ولم تنم بقية الليل حتى أذن الفجر وقامت وصلت فرضها وأيقظت ابنها محمد .

-يا محمد، يا محمد، قوم الترحيلة هتمشي وأنت نايم، قوم يا ابني.

(الترحيلة مجموعات من الشباب والأطفال والرجال بينقوا دودة القطن وينتقلوا من بلد لبلد ويقيموا في مكان عملهم بأجور زهيدة.)

محمد: حاضر يا أمه.

كان محمد هو الابن البكري لتوحيد حفيدة الشيخ فاضل رحمة الله عليه، قامت فاطمة من النوم وأكلت قليلًا من الخبز مع الجبن الفلاحي الطري والمش.

وقام أحمد من نومه وبعد أن أفطر ذهب ليصطاد ويلعب كعادته على شط الترعة.

توحيد لفاطمة التي لم تتجاوز الرابعة: شفتي إيه يا فاطمة أمبارح في الصالة وأنتِ قايمة تاكلي؟

-شفت اللي شفتيه يا أمه، شفتك وقفتي قدامي ولما طلبت آكل ادتيني المشنة ومديتيلي إيدك، بس إيدك كانت طويلة يا أمه.

-شفتي وشي أنا يا بت؟

-مكنش باين يا أمه.

توحيد تسرح في خواطر من الخوف والقلق يقطع ذلك صوت داخلي يهمس في أذنها متخافيش على عيالك يا توحيد (صوت يشبه صوت جدها فاضل)

-ربنا معاهم ومعاك.

أسلمت توحيد أمرها لله وأسلمت أولادها اليتامى له فهو لن يضيعهم.

مرت بضعة سنوات، واضطرت توحيد للخضوع لعادات القرية التي ترفض أن تبقى شابة أرملة دون زواج وأن تقبل أن تتزوج من رجل آخر حتى تتمكن من مساعدة أطفالها والإنفاق عليهم، وبعد أن أتمت زواجها رفض ابنها الشاب الصغير محمد أن يذهب إلي بيت زوج أمه وقرر أن يبقى

هو مع أخوته في الدار وينفق عليهم.

كان محمد يخرج من شروق الشمس للعمل في الأرض يزرع ويعزق ويجمع، وأحمد أخوه الأصغر يخرج للصيد واللعب، ويترك فاطمة وحدها في المنزل لتقوم بأعمال البيت برغم صغرها، وتوحيد تتردد بين البيتين بعد أن أنجبت أم هاشم من زوجها الجديد.

لم تتوقع فاطمة أن هذا اللقاء السريع مع الحاجة ياسمين سيغير حياتها، وأن هذا اللقاء سيكون بداية أقوى علاقة يمكن أن تنسج بين عالمين، عالم البشر والعالم الآخر، ذلك المجهول.

لم تعتقد هذه الطفلة الصغيرة فاطمة (أمي) أن هذه المرأة التي ظهرت لها ليلاً داخل البيت هي كائن آخر غير البشر ،عاشت الطفلة قرابة الشهر بعد لقائها الأول ولم يحدث شيء .

وذات مساء، في منتصف الشهر العربي، ليلة الجمعة وبعد أن نام كل من في البيت، أحست فاطمة أن يدًا حانية تمسح لها على شعرها، اعتقدت فاطمة أنها أمها توحيد وبدأت تفتح عينها ببطء وتراخ وكسل ومدت يدها لتمسك بهذه اليد، ولكنها لم تجدها، انتبهت الطفلة وقامت من نومها لتنظر من خلال ذلك الضوء الخافت لتجد امرأة ليست أمها تقف على باب الحجرة وتشير لها أن تأتي إليها.

لم تكن فاطمة خائفة فلقد أعطتها هذه المرأة المشنة وبها الطعام من قبل، خرجت فاطمة والمرأة تسير أمامها متهادية حتى وصلت المرأة إلى ركن من أركان البيت، توقفت فاطمة وبدأ الحديث:

-أنتِ مين يا خالة .

-أنا جارتكم في البيت.

-بس أنا مش بشوفك عندنا.

-عشان أنا بقعد في الضلمة بس، فمحدش بيشوفني يا فاطمة.

-أنتِ أخت أمي؟

-كلنا أخوات يا فاطمة، كلنا خلق الله.

-أنتِ شاورتيلي من بعيد كنتي عاوزاني؟

-أنا جيبالك أكل هيعجبك، وقولت أدهولك .

-أكل إيه؟ الله أنا جعانة.

المرأة تمد يدها بثمار من المشمش.

فاطمة: الله مشمش! المشمش بتاعك كبير وطعمه حلو قوي يا خالتي، هو أنت اسمك إيه؟

المرأة: خالتك ياسمين.

فاطمة: هسلم لك على أمي بكره وهقولها خالتي ياسم...

المرأة تقاطعها: متقوليش لحد يا فاطمة إن أنا هنا.

فاطمة بطفولية وزعل: ليه يا خالتي؟ أنا حبيتك خالص .

-محدش هيشوفني غيرك، أنتِ بس يا فاطمة هتشوفيني على طول، ولو ملاقتنيش وعاوزاني، فكري فيا، هتلاقيني ظهرت، بس لما أظهر ما تبقيش تبصيلي كتير عشان مش عاوزة حد يعرف إني هنا يا فاطمة، وأنا كل يوم بليل هصحيكي وأقعد معاكي وأجبلك الأكل اللي أنتِ عاوزاه، ولو طلعتي

شاطرة وسمعتي كلامي هجبلك بنتي تلعبي معاها.

فاطمة بفرح: مش هقول لحد خالص.

في الركن الآخر من الدار في الجزء العلوي قريبًا من السقف في الظلام الحالك تظهر عينان واسعتان حمراوان وبهما بريق نار، تنظر إلى فاطمة بغضب شديد ثم يخرج ظل أسود حالك يتشكل ليصبح كائنًا أكبر من الغوريلا له شعر كثيف يغطي كل جسده وأصابع غليظة تنتهي بمخالب حديد على جانبيّ الوجه أذنان كبيرتان طويلتان يصلان إلى قرب الرأس، رأسه ضخم يشبه رأس الثور، يظهر نتوءان بارزان في مؤخرة الرأس من أعلى كأنهما قرنان لعجل صغير، ينتهي الجسد بقدمين لهما حافران كحوافر البهائم، تخرج أنفاسه الكريهة كصوت الخوار .

يتقدم باتجاه فاطمة والمرأة .

فجأة يخرج من جوار المرأة رجلان ضخمان وبيد كل منهما سيف عريض منقوش عليه كلمات، ويتقدمان إلى ذلك الكائن بسرعة رهيبة رافعين السيفين فيختفي في لمح البصر، تدخل الحائط كفأر مذعور لجأ إلى جحر.

فتصرخ الطفلة من الخوف والمفاجأة (العجيب أن من في البيت لم يستيقظوا كأنهم لم يسمعوا شيئًا.)

فتمسك المرأة في هدوء يدها وتقربها منها وتقول: متخافيش يا فاطمة، محدش يقدر يعمل لك حاجة.

فاطمة: مين الرجلين دول يا خالتي، ومعاهم سكينة كبيرة قوي ليه (تقصد السيف)؟

المرأة: دول الحرس يا فاطمة، وبيدافعوا عني وعنك.

فاطمة: بيدفعوا عني ليه؟

المرأة: من أي حد عاوز يعمل لك حاجة وحشة.

فاطمة: بس أنا ما شفتش حد بيعمل لي حاجة.

المرأة: بعدين لما تكبري شوية هقولك كل حاجة، روحي نامي دلوقت يا بنت الكرام.

استدارت فاطمة ومشيت ببطء إلى جانب السرير فوجدت مكانها ما زال دافئًا، فوضعت يدها تحت خدها وضمت ساقيها إلى صدرها وأغمضت عينيها واستسلمت لنوم عميق.

-فاطمة، فاطمة، اصحي يا بت.

-أنا صحيت يا خالتي.

-خالتك مين يا بت يا فاطمة؟ أنت بتحلمي؟ اصحي، أنا أمك توحيد يا بت.

-توحيد (جدتي أم فاطمة) تمسك فاطمة من يدها لتهزها، فتشعر بشيء ضخم في يدها، تنظر توحيد فتجد نواة مشمش ضخمة.

-إيه ده يا فاطمة؟ جبتي نواة المشمش دي منين؟

فاطمة تسكت وتنظر إلى باب الغرفة كأنها ترى أحدًا ولا تجيب.

-بت يا فاطمة، مالك؟

فاطمة لا تتحدث وتنظر ناحية باب الغرفة ولا تحرك عينيها عنه وتبتسم ولا تجيب .

توحيد تنظر إلى باب الغرفة فلا تجد أحدًا، ثم تجد قطة بيضاء كبيرة لم ترها من قبل في الدار تدخل من باب الدار.

توحيد: بس، بس، بس.

القطة لا تتأثر بوجود توحيد كأنها لا تراها وتتقدم وهي تموء وتتمسح بقدم فاطمة، وتمد عنقها لتتمسح في قدمها أكثر، ثم تقفز القطة على السرير، وتستدير حول نفسها لتنام في نفس مكان فاطمة وهي تنظر لتوحيد، تسكت توحيد، وتأخذها رهبة من هذه القطة التي تمد رأسها وتغلق عينيها وتنام.

ظلت توحيد تفكر في هذه الزائرة البيضاء (القطة) وكلما تذكرت عينيها تأخذ توحيد رجفة لا تعرف لها سببًا، وبعد تفكير قررت أن تزور الشيخ متولي إمام المسجد وشيخ الكتاب .

-السلام عليكم يا شيخ متولي.

-وعليكم السلام يا توحيد، إزيك يا بنتي؟ يا بنت الكرام.

-تسلم يا شيخ متولي.

-خير يا توحيد؟ شايفك قلقانة.

- فاطمة .

-مالها؟

-قلقانة عليها .

-ليه إيه اللي حصل؟

-بتصحى بليل وبتتخيل حاجات .

-حاجات إيه؟

-مرة قالت لي إني أنا كنت في حوش الدار بليل وإني إديت ليها المشنة تاكل، والغريب إن كان معاها مشنة فيها أكل وعيش وجبنة.

-يمكن يا بنتي بتقولك كده عشان متزعقيش ليها إنها خلصت الأكل و...

توحيد تقاطعه: ما كنتش مشنتنا، مشنتنا إحنا كانت تحت السرير فاضية.

اعتدل الشيخ المتولي وظهر عليه الاهتمام وأمسك بسبحته وتحركت يده بعفوية وسرعة تسبح، وقال لتوحيد: أنت يا توحيد شوفتي حاجة؟

-أنا ما شفتش غير المشنة، والنهاردة وأنا بصحيها لقيت نواة مشمش في إيديها.

-مشمش؟ مشمش إيه؟ ده مش أوان المشمش.

-ده اللي حصل يا شيخ، وأنا مش عارفة أعمل إيه فيها وفي قطتها و...

قاطعها متولي بحدة واهتمام: قطتها؟ قطة إيه يا توحيد؟ القطة دي قطة لونها أبيض يا توحيد؟

-أيوة.

الشيخ متولي يكمل بهدوء وعينه تنظر إلى باب داره: وجت البيت فجأة؟ قطة كبيرة شوية ومفيهاش أي لون تاني؟ لونها أبيض خالص؟ أبيض زي اللبن؟ وبتمشي براحتها كأنها مش خايفة من حد؟

توحيد: في إيه يا شيخ متولي؟ قلقتني .

يغمض الشيخ متولي عينه ويأخذ نفس عميق، ويلف جسمه كله ناحية

توحيد ويهمس ويقول: قولتي لحد يا توحيد على بنتك والقطة؟ ردي.

-أنت أول واحد أقول له والله.

تنهيدة طويلة وصمت لبرهة يقطعه صوت الشيخ بحزم: اسمعيني كويس، إوعي حد يعرف حاجة عنك وعن بنتك، فاهمة؟ والقطة يا توحيد، محدش يهينها ولا يزعلها، ما تتكلميش عن بنتك، وإوعي الواد أحمد ابنك يضرب القطة، ومتخليش بنتك تفارق عينك، وبليل لو قومتي من النوم لقيتي بنتك في حوش الدار متطلعيش ليها على طول، نادي وقولي بصوت عالي "السلام عليكم أهل الدار، أيها الطيبون الأخيار."

ثم سكت، وأشار بظهر يده إليها أن تذهب، وسرح وهو ينظر للأرض لدرجة إنه لم يسمع السلام، ولم يرده.

تسحبت فاطمة من تحت الغطاء رويدًا رويدًا، واستندت على ذلك الحائط الطيني تتلمس خطاها في ذلك الضوء الخافت بقدميها الصغيرتين العاريتين حتى خرجت إلى صالة الدار الفسيحة ،كانت تعرف طريقها جيدًا، فهي تفعل ذلك كل ليلة.

انطلقت إلى خارج الدار، لتجد ذلك النور الجميل الذي تجده عندما تزورها الملكة ياسمين تحت الشجرة، الشجرة اليتيمة.

جلست فاطمة مع إخواتها من العالم الآخر، تلعب ببعض الدمى والشخاشيخ، تضحك وتلهو وتجري حول الشجرة، وتتدلى لها بعض الأغصان لتمسك بها وتتمرجح وتتأرجح فترفع قدميها عن الأرض فترفرف بهما كأنها فراشة في عالم من الخيال، لا تعرف سر خفتها وهي تتأرجح، هل لأن الملكة ياسمين أشارت إلى الغصن فتدلى؟ أم لأن أختها (ميسورة) كانت

تلمس ظهرها بلمسة حانية فتندفع في الهواء خفيفة مرحة؟ كانت تعرف أن صوتها مهما كان عاليًا لن يسمعها أحد، فهي في عالم آخر، بُعد آخر، كانت تسمع أمها ياسمين تقول لها أن الحجاب مستور، ومن كثرة تكرار هذه الكلمة (العبي يا فاطمة الحجاب مستور) فهمت فاطمة ذات الضفيرتين الصغيرتين أنها متوارية عن الأنظار.

كانت توحيد (جدتي) تراقب فاطمة بعد أن تعودت فاطمة أن تنام معظم النهار، فإن أيقظتها توحيد رغمًا عنها ظهر عليها الإرهاق والتعب وعادت سريعًا مستغرقة في نوم عميق.

قررت توحيد أن تتظاهر بالنوم في تلك الليلة الموعودة، وقد أيقظت نفسها بالقوة، تحاول أن تمسك جفنيها لتفتحهما بالقوة فلقد كانت كلما نوت أن تفعل ذلك كان يغلبها نوم عميق لا تستيقظ منه إلا على آذان الفجر.

رأت توحيد ابنتها وهي تتسحب من تحت الغطاء القديم فانتظرت حتى فتحت ابنتها الباب وخرجت منه لخارج الدار.

شجعت توحيد نفسها قائلة: مالك يا بت يا توحيد؟ خايفة تطلعي ليه؟ يعني هيكون إيه اللي بره؟ اطلعي شوفي بتّك بتعمل إيه.

هذا ما قالته توحيد لتشجع نفسها، سارت ببطء وكانت قدميها ثقيلة كالجبل، كانت تجرجرهما في صعوبة حتى وصلت لمزلاج الباب (قطعة قوية من الخشب مثبتة في ظهر الباب بقفل خشبي) شعرت بقشعريرة هائلة تسري في جسدها كله، مدت يدها للمزلاج الخشبي، حركت القفل الخشبي (العصفورة) وسحبت المزلاج وخرجت، لحظات صمت طويلة، فغرت توحيد فاها (فتحته دون وعي عن آخره كأنها لم تعد تتحكم فيه) وجحظت عيناها، تيار من الهواء البارد لامس وجهها.

أغصان الشجرة العالية نهارًا أصبحت قريبة من الأرض وتمسك هذه الفروع الصغيرة بيد فاطمة، كانت الأغصان الصغيرة كأنها أصابع تمسك فاطمة بقوة حانية وشدة لينة، وفاطمة تعلو في الهواء حتى تتساوى في علوها مع سطح الدار، وفاطمة تضحك بلا خوف ثم تهبط بقوة فترتفع ضفيرتاها الصغيرتان لأعلى وتطير أطراف الثوب من الجانبين كأنهما جناحان من القماش، فاطمة تضحك بعفوية وتصرخ من الشغف والفرحة.

كانت توحيد لا ترى (ميسورة) وهي تدفع فاطمة لأعلى في الهواء.

كانت تسمع فاطمة وهى تقول "تاني تاني يا ميسورة، لفوق كمان" وتضحك .

(ميسورة ابنة الملكة ياسمين)

كل ما كانت تراه أنوار تتحرك حول الشجرة، صوت يأتي من خلف توحيد من جهة اليمين :اطمنتي دلوقتي يا توحيد؟

قشعريرة كأنها وخزات الإبر وشلل تام تملّك جسد توحيد من الفزع، وخرجت من توحيد صرخة رعب عفوية، لم تسمع توحيد صرختها برغم أنها نطقت بها بشدة، كانت كأنها محاطة بعازل من الهواء المضغوط الذي يدفع الصوت ليعود إلى الحنجرة مرة ثانية، الصوت يستكمل: أنا سبتك النهاردة تخرجي عشان تطمني على فاطمة، ده حقك يا توحيد، أنت أمها.

بدأت توحيد تشعر أن شلل جسدها يزول وأن تيار الهواء قد توقف وأنها تستطيع الكلام.. بدأت توحيد تتكلم متهتهة متلعثمة "بسم الله الرحمن الرحيم" ثم قرأت آية الكرسي، ولم تصدق فسمعت الصوت الذي يحدثها يقول "صدق الله العظيم ".

التفتت توحيد إلى مصدر الصوت لتجد امرأة في غاية الجمال تلبس ثوبًا أبيض فضفاضًا وتضع تاجًا لم تتخيل أو تسمع عن مثله ،تاجًا مرصعًا بأحجار خضراء وفي وسطه ياقوته حمراء تشع نورًا، نظرت توحيد لها ولم تتكلم من هيبتها.

ردت الملكة وقالت: السلام عليكم يا توحيد يا بنت فاضل وفضل، يا بنت الناس الطيبين، والأحباب الصالحين.

توحيد تحاول بصعوبة رد السلام: وعليكم السلام.

الملكة ياسمين تتحرك فيظهر لأول مرة الحراس الأشداء حولها وخلفها، فأشارت إليهم بالتوقف، فاختفوا عن الأنظار: ما تخافيش يا توحيد، إحنا أهل، أيوة أهل، والدي الملك (لم أرغب أن أذكر اسمه هنا لأسباب تخص العالم الآخر وطرق التعامل مع أسماء الملوك.) كان أخ لأبيك فضل وفاضل، كان الأول بيسمعهم بيذكروا الله في خلوتهم، ثم بدأ يحضر معاهم مجالس الذكر، وكان والدي عاشق للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، صلوات الفيوضات والتجليات، وكان فضل وفاضل ليهم صيغة عجيبة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، صيغة تفتح لهم ما كان مغلقًا، تزال بها الحجب، وتتكشف بها المشاهدات، فعرفهم وعرفوه، وأحبهم وأحبوه، ومن كتر حبه ليهم أعطاهم عهد الأخوة والأمان، عهد ينتقل من جيل لجيل، وتظهر التجليات مع كثرة الصلوات، أنا حبيت بنتك اليتيمة فاطمة وخصتها دون إخوتها بعهد خاص (يظهر لما تكبر، وجبينها بالصلاة ينور) ما تخافيش على عيلتك يا توحيد، إحنا بإذن ربنا معاكم مش بنسيبكم.

بصت توحيد بطرف عنها ناحية فاطمة، وفاطمة بتلعب، ضحكت الملكة ضحكة هادية جميلة خلت توحيد ترتاح.

-يا توحيد إحنا بنختار منكم الموعودين، أنت سمعتي قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم (وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا) خدتي بالك يا توحيد من قوله تعالى وكان تحته كنز لهما؟ لهما يا توحيد، يعني ربنا كاتبلهم في الكتاب منذ الأزل إن الكنز لهما، مش لحد تاني، حتى لو كان وقع الجدار يا توحيد مكنش حد قدر ياخد الكنز؛ لأن ربنا حكم خلاص إن الكنز لهما مش لحد تاني وكل اللي عمله طيب الذكر، عالي القدر، أخينا الخضر إنه كشف لموسى عن بعض تدابير ربنا في الكون حتى لا يظن أحد من البشر أن رحمة ربنا وعلمه للأنبياء بس، وما تنسيش يا توحيد إن فاطمة من الموعودين، ولما يجي وعدها، ما تدخليش يا توحيد، سيبيها لعظيم لطف الله، يلا يا توحيد سيبي فاطمة تلعب مع إخوتها.

توحيد استغربت من كلمة إخوتها، ردت الملكة بحنان: مش قولتلك إني حبتها قوي بقت زي بنتي؟ وهما كمان بقوا إخوتها، يا توحيد عاهديني إنك ما تحكيش عننا لحد أو تسألي فاطمة عن حاجة تخصنا.

توحيد: عهد الله ما بيني وبينكم.

-يلا يا توحيد خشي نامي، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اختفت الملكة ياسمين، وفضلت توحيد للحظات تبص لفاطمة وهي بتلعب وتضحك، فتحت توحيد الباب ومشيت ناحية السرير خفيفة هادية، كأن فيه حد شال كل همومها وغسل صدرها، ومجرد ما حطت رأسها على المخدة نامت، نامت وصحيت على صوت آذان الفجر.

في السابع والعشرين من مارس ٢٠٢٢.

الكنز المرصود

لم يكن ذلك اللقاء السريع بين توحيد والملكة ياسمين إلا بداية قصة جديدة، قصة الموعودة "فاطمة" مرت الأيام وفاطمة تمرح وتلعب في ذلك العالم الغريب، وقد جعلت من بنات الملكة ياسمين أخوات لها وزاد الحب بينهم ونست هي وتناسوا هم الفرق بين الطبيعتين، البشر والجن النوراني ،كانت تراهم كل ليلة تلعب وتلهو، وفي النهار كانت وحدها تراهم، تراهم بجانبها، يجذبونها من شعرها فجأة فتضحك، أو يلمسون خدها بقشة فيدغدغها إحساس القشعريرة المفاجئ، أو يهمسون في أذنها بكلمات تسمعها، تسمعها هي فقط فتبتسم، نترك فاطمة في منزلها، مع إخواتها الأميرات الصغيرات الضاحكات اللاعبات.

الهمس يسري في المجالس والخِلوات، يتحول الهمس لأخبار سرية، ثم لإشاعات تدور وتدور لتصل كل بيوت القرية، أنه قد حان الأوان .

عرف الشيوخ (كما كان يسميهم الناس وقتها وحتى وقتنا هذا) المرتبطون بالعوالم السفلية، والمطلعون على كتب السحر القديمة، أن هناك كنزًا في قرية المنزلة يُفتح كل ألف عام، كنز الكنوز، كما هو مدون في كتبهم، كنز من كنوز قارون، استطاع أحد السحرة الفراعنة بعد هلاك قارون أن يجلبه من باطن الأرض بسحره العظيم منذ عصور، وخبأه هنا في قرية المنزلة وأقام عليه أقوى الأرصاد، ذبح لاسترضائهم مائة طفل، وأن أوانه قد حان، وأنه سيفتح على يد طفلة صغيرة لها قوة غريبة، يهرب أمامها المردة، ويضغف أمامها سحر السحرة، هي المختارة منذ الأذل، تأتي في آخر الزمان قرب

انتهاء الأجل، طفلة موعودة مسعودة.

جنَّد السحرة والشيوخ أعوانهم من الخدام والشياطين لعلهم يعرفون من هي، فيخطفونها ويلازمونها حتى الساعة الموعودة، ولكنهم لم يستطيعوا فقد كانت محاطة بعناية غريبة مهيبة ففشلت كل محاولاتهم. الأيام تمر والكل ينتظر، عيون العوالم السفلية تترقب، العلم محجوب، لا يستطيع أقوى المشايخ أن يعرف من هي، ولا يستطيع أحد أن يحصي الأطفال في هذه القرية الواسعة.

ضاق الحال بأسرة توحيد، كان محمد الأخ الأكبر لفاطمة يذهب مع الفلاحين للعمل في الأرض، يعزق ويفجج الأرض (يشق الأرض للزراعة) ويقعد على النورج (آلة بدائية مثل المحراث تجر بالثيران) ويحش البرسيم لبهائم الأغنياء، يرفع الأحمال، يردم الأراضي، يجمع الدودة مع عمال التراحيل، يسافر لشهور، يعود ومعه قليل من القروش المعدودات، كان محمد فتى غض الشباب في مقتبل العمر، اتكأ على ساعده القوي الذي ورثه عن والده، لم يتجاوز الرابعة عشر من العمر ويغلب أشد الرجال.

كانت علاقة فاطمة بالعالم الآخر تخفف عنها ما تجده من مشقة الحياة وضيق الحال وصعوبة العيش، وكانت توحيد ابنة الأكرمين تتستر بالحياء وتتجمل بالقناعة فلا تطلب مساعدة من أحد، كانت راضية محتسبة تُعوِّد أولادها على القناعة وتغرس فيهم الشكر، كانت راضية بالكفاف، أقل القليل يكفي، والبركة في القليل تكثره.

خرجت فاطمة قبل المساء تلعب خارج الدار، سارت بين الأشجار القريبة، تجري وراء فراشة، تصنع زمارة من بعضٍ أعواد البرسيم، تطارد الضفادع على جوانب القنوات، جلست قليلًا لتستريح، فغلبها النعاس،

فنامت، نامت دون أن تشعر، اقترب العشاء والأسرة تبحث عنها، فظلمات الليل مقلقة، ومخلوقات الليل غادرة.

أفاقت وقد أرخى الليل عليها أستاره وأسدل عليها حجبه، تلمست طريقها للدار، ومرت في الطريق بجوار مسجد القرية، لفت انتباهها نور ساطع بجوار المسجد، اقتربت بخفة ظنًا منها أنها أمها ياسمين أو أخواتها الأميرات، فقد تعودت على مثل هذه الأنوار التي تسبق ظهورهن.

رائحة غريبة تنبعث، النور يزداد، السكون يطبق، أصوات حشرت، وهوام الليل قد ألجمت كأنها قد أُجْبرت على السكوت، صوت الصمت يطبق.

اقتربت فاطمة فتحة صغيرة في الأرض يشع منها النور (أسمتها أمي وهي تحكي لي طاقة نور) نظرت فاطمة بدافع الفضول للنور، تلال من الذهب في غرفة كبيرة مدخلها هذه الفتحة الصغيرة التي تكفي لمرور جسد فاطمة فقط، نامت على بطنها وزحفت للداخل حتى دلفت بجسدها كله ونظرت في الغرفة، كان منظر الذهب ولمعانه هو ما جذبها، فقبضت قبضتين بكفيها الصغيرين الرقيقين وزحفت خارجه (قالت لي أمي أن الغرفة كانت مليئة بكثير من المجوهرات الحمراء والخضراء) أسرعت لبيتها.

-أمه، أمه.

توحيد ترد: كنت فين يا بت؟ أخوكي أحمد ومحمد بيدوروا عليكِ، دا أنا هقطعك، تعالي هنا، إيه اللي في إيدك ده يا بت؟

فاطمة: شوفي لقيت إيه في الأرض يا أمه؟

توحيد: وريني يا بت، ده دهب! جبتيه منين؟ أنت دخلتي بيت العمدة

وسرقتيه؟

فاطمة: لا والله يا أمه أنا لقيته في حفرة في الأرض جنب الجامع.

-أنت بتكذبي يا فاطمة، حفرة إيه اللي هتلاقي فيها الذهب ده؟

-والله يا أمه لقيته، وفيه منه كتير.

توحيد تسكت لحظة تفكر وتقول: طب لو أنت بتكلمي بصدق، روحي هاتي تاني.

ذهبت فاطمة بسرعة وعادت بكفين مليئين بالذهب.

توحيد مستغربة: مش معقول، قومي معايا يا بت وريني.

نسيت توحيد من المفاجأة تحذير الملكة ياسمين اللي قالت لها "لما يجي الوعد متدّخليش يا توحيد سيبي فاطمة للطف الله ."

اقتربت توحيد من الجامع، نور يشع من الأرض فاطمة تجري وتترك إيد أمها، وتشاور على الفتحة، هي دي يا أمه الفتحة، بصي يا أمه، كل ده جوه.

تقترب توحيد لتنظر فتجد تلالًا من الذهب، وأشياء أخرى لامعة، ولكن فجأة تضيق الفتحة، تمد توحيد يدها بسرعة داخل الفتحة في رد فعل عفوي، تنغلق الفتحة، تسحب توحيد يدها بسرعة، ينطفئ النور، يعم الظلام، تجلس توحيد تبكي، تأخذ فاطمة مسرعة إلى الشيخ المتولي، محل الثقة الوحيد لتوحيد، وشيخ الكتاب، تدق توحيد الباب بقوة، يفتح الشيخ متولي الباب متوشحًا عباءته ملتفًا بها كأنه قد لبسها معجلًا.

يقول الشيخ متولي موجهًا كلامه لتوحيد: فيه إيه يا بنتي، خير؟ -ينظر لفاطمة في يدها ويخاطبها- مالك يا فاطمة؟

توحيد: فاطمة لقت الكنز يا با متولي.

-كنز إيه يا توحيد؟

-الكنز اللي الناس بتقول عليه، اللي بيفتح كل ألف سنة .

تريه توحيد بعض قطع الذهب، وتستكمل قائلة: الكنز قفل على إيدي يا شيخ متولي، بالله عليك تعالى افتحهولي.

متولي ينظر لها بغيظ: رحتي ليه يا توحيد؟ لو سبتي بنتك كانت حولتلك الكنز كله، ليه روحتي معاها؟ ده مش مكتوبلك أنت، ده كنز فاطمة، ده للموعودين .

متولي ينظر بشفقة وحسرة وغيظ ويقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، قدرك كده يا فاطمة، محدش عارف، يمكن بركة ربنا تحل في القليل يا بنتي، روحي يا توحيد، ومتقوليش لحد إن الكنز اتفتح لبنتك، فاطمة مش ناقصة، كفاية العيون اللي حواليها، بنتك لولا ربنا وجنوده حواليها كانت ضاعت منك ومش هتلاقيها، بنتك وذريتها مرصودة محسودة، وحسدهم وغيظهم يا بنتي يفلق الحجر، والشر عندهم أصيل بيزوده كرههم للبشر، هقولك إيه بس يا توحيد؟ مش كل اللي يتعرف يتقال ولا كل اللي يتشاف يتنال، روحي يا بنتي، روحي وأنت لسه الحجاب على بنتك مسدول.

وصوته إتغير كأن فيه حد غيره بيتكلم: امشي قبل ما فاطمة تتنظر، والمكتوب يبان، ويتذاع الخبر.

مشت توحيد ودموعها على خدها، تبص للسما تناجي ربها، وفاطمة في إيديها .

التاسع والعشرون من مارس ٢٠٢٢.

حرب الشياطين.

-آلو.

-السلام عليكم.

-وعليكم السلام.

-مستر محمد حمودة؟

-أيوه يا فندم، مين حضرتك؟

صوت متقطع متوتر: أنا عم محمود.

-عم محمود مين؟

-عم محمود بتاع البزار.

-أيوة افتكرت حضرتك، أزيك يا عم محمود؟ عامل إيه؟

-إلحقني يا مستر، أبوس أيدك .

-خير يا عم محمود؟ قلقتني مالك؟ الحاج حصلوا حاجة تاني؟ طمني؟

-مصيبة يا مستر، مصيبة .

-خير؟ اتكلم .

-الكتاب، الكتاب يا مستر.

أول ما قال الكتاب، قلبي وقع في رجليا: إوعى يا عم محمود يكون

قصدك الكتاب ال...

مالحقتش أكمل الكلام، رد بسرعة: أيوة هو، الكتاب اللي أنت حذرتني منه، وقولتلي أخفيه خالص، إوعى يقع في إيد حد، إوعى أي ساحر يلاقيه، الكتاب اللي حذرتني إنه يتباع مهما كان الثمن.

-حصل إيه للكتاب؟

عم محمود بيكمل كأنه ما سمعنيش: اللي قولت عليه ده خطر، مش عليكم أنتم بس، ده خطر على الناس كلها.

-ماله؟ حصله إيه؟ أنت مش قولتلي إنك خفيته ودفنته؟

-حصل والله، بس، مش عارف اقولك إزاي؟

-يا عم محمود، حرام عليك اتكلم على طول.

عم محمود بيرد بخوف: أنا، أنا كنت دفنت الكتاب في التُرَب، عملت نفسي إني ببني تربة أبويا بعد ما حتة منها وقعت، ودخلت بنفسي ولوحدي، ولميت عضم أبويا، وحفرت تحته في الأرض، حوالي نص متر، ولفيت الكتاب بكيس أسود، ودفنته.

-أيوة وبعدين حصل إيه؟ كمل.

-أبويا جالي من أسبوعين في الحلم، وعاتبني وقالي "يا بني مش عارف أنام، مش مستريح في تربتي، تعالى يا ابني، وشيل الأذى اللي حطيته" بصراحة قلبي أكلني على أبويا، أخدت كشاف ورحت التُرب بليل لوحدي، فتحت على أبويا تربته، وزحزحت العضم، حفرت لغاية ما لقيته، أخدت الكتاب تحت باطي، وطلعت رأسي من القبر ولسه هطلع، فجأه حد خبطني على

رأسي، دوخت ما فوقتش غير والشمس طالعة، وما لقيتش الكتاب ولما بصيت في التربة ما لقيتش أبويا، عضم أبويا اختفى، معرفش راح فين، خفت أقولك وقتها لغاية لما حصل اللي حصل.

-هو لسه فيه اللي حصل؟ (أنا بكلم نفسي بقلق وخوف).

-حصل إيه؟ أبوس إيدك كمل، حرام عليك.

-أبويا بدأ يظهر في البلد .

-أبوك؟ يظهر! يظهر إزاي؟

-والله زي ما بقولك كدا، كذا واحد من صحابه القُدام شافه.

-قصدك عفريت أبوك.

-معرفش، اللي شافوه، قالولي إنه أبويا؛ بس متغير شوية.

-متغير إزاي يعني؟ -أنا بسأل بعصبية.

-ريحته وحشة، وملوش عينين.

-عينيه ممسوحة يعني؟

-لأ عينيه مفقوعة، مكان العينين فاضي ،وبصراحة القرية كلها فيها حاجات غريبة بتحصل (عم محمود بيكمل كلامة كأنه هيعيط من الخوف) القطط والكلاب اختفت كلها من القرية، النسوان في البلد بتسقط، اللي في شهر، واللي بتسقط في شهرين، واللي بتسقط في الخامس والثامن، مفيش واحدة حبله غير لما سقطت في الأسبوعين دول

حتى اللي كان ميعاد ولادتها، ولدت طفل ميت، عيال البلد الصغيرين بيقوموا من النوم بيتفزعوا ويصرخوا من غير سبب، البلد بقت كلها صوات

وعويل، والرجالة مش عارفين يعملوا حاجة، فيه ناس من البلد جابت شيوخ، كل شيخ جابوه كان بيجيله صرع من أول طريق القرية.

-صرع إزاي يعني؟ (أنا بسأله بحاول أفهم.)

-يقع في الأرض وعينيه تغرب وتبقى بيضه خالص ويطلع رغاوي من بقه، ويفضل يرفس برجله، ويخبط رجليه في الأرض، ويلف إيده على رقبته كأنه بيخنق نفسه، ولما نجري عليه ونفك إيده، يقوم يبصلنا بخوف ويبص ناحية البلد، ويصرخ، يصرخ لغاية ما يغمى عليه ،ولما يفوق، يجري بعيد عن البلد وهو بيبص وراه وما يتكلمش ولما نحاول نتصل نطمن عليه نلاقي تليفونه مقفول، لغاية إمبارح لقينا الشيخ اللي جبناه وقام جري بره البلد، وما لحقناهوش، لقينا جثته في المصرف اللي على طرف البلد، إلحقني، أنا عارف إن الكتاب السبب بس مش عارف أقول إيه للناس، محدش هيصدقني، ولو صدقوني هيقتلوني لإني أنا السبب في اللي بيحصلهم، انجدني أبوس إيدك.

لحظات صمت مش عارف أقول له إيه.

-الكتاب، المهم الكتاب، حد في البلد لقاه؟ -أنا بسأله بخوف وقلق-

-مش عارف، أنت كنت قولتلي إن الكتاب مقفول بطلسم غريب، يعني حتى لو حد لقاه مش هيعرف يفتحه، صح؟ مش صح كده؟

-لأ، مش صح يا عم محمود، ممكن اللي ضربك وخده يكون ساحر ويقدر يفك الطلسم لو جمع السحرة والجن والخدام ويبدأ يستخدمه.

عم محمود بيسأل: هو الكتاب ده صعب قوي كده؟

مقدرتش أرد عليه، محدش هيفهم خطورة الكتاب غيري، أنا اللي شفته وشفت قوته وكم الخدام اللي بيحرسوه، عمري ما شفت العدد ده ولا الأنواع

دي من الشياطين والأبالسة غير مع الكتاب ده، دول مجرد حرس بس، أمال الكتاب نفسه فيه إيه؟ الكتاب مخصص لاستدعاء أقوى ملوك الجان القديمة بعشائرهم كلها، الملوك اللي فروا من حرب الملائكة والشياطين من زمن خلق آدم، فروا وسكنوا البحار والكهوف والوديان وباطن الأرض، كل عشائر الجن القديمة اللي مجرد ذكرها بس كفيل يرعب أي ساحر مهما بلغت قدرته وعهوده وخدامه، الأسماء الموجودة داخل الكتاب لو اتقرأت صح بالعزيمة المطلوبة وفي الوقت المخصص مع القربان المطلوب، ممكن تستحضر الشر المطلق، شر أقدم وأقوى من الشيطان نفسه، ممكن تفتح بوابات ما ينفعش تتفتح ،عشان كده الكتاب مقفول بطلاسم قوية، صعبة ولغتها قديمة قوي، واللي بيحكي عنه عم محمود في القرية ده نقطة في بحر الشر، وده بيدل إن فيه حد بيحاول يفتحه.

كل الحوار ده كان داخل نفسي، مقدرتش أتكلم، كل اللي على لساني "لا حول ولا قوة إلا بالله، لله الأمر من قبل ومن بعد".

أخدت من عم محمود العنوان، العنوان كان في الصعيد، قرية من قرى الصعيد جنب أسوان، مش عارف أفكر، الموضوع كبير وصعب، حاجة داخلية قالتلي "مفيش حاجة كبيرة على ربنا، الملك ملكه، مفيش حد يحكم في ملكه إلا بإذنه."

قمت الصبح قدمت على إجازة اعتيادي ثلاثة أيام، زمايلي افتكروا إني رايح أشوف خالي في إسكندرية، كانت ليلة طويلة من التفكير، هعمل إيه؟ مش عارف الأمور هتمشي إزاي.

قلت لنفسي: دع الملك للمالك، صليت ركعتين بنية قضاء الحاجة، وقعدت بعدها أصلي على النبي وقلت الصيغة اللي جت على بالي.

(اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ونبيك محمد الحبيب المحبوب الشفيع المشفع. الكريم المُكْرَم، المُكَرَّم صلاة تفك بها الكَرْب، وتفتح لي بها في الحرب) بسم الله الرحمن الرحيم (وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) وعلى آله وصحبه وسلم، عدد كل معلوم لك يا ألله ياَ حي يا قيوم.

وختمت دعائي: يا قهار، اقهر عدوي بحولك وقوتك فلا حول ولا قوة إلا بك يا الله يا علي يا عظيم.

ونمت، نمت نوم عجيب كأني واخد منوم، قمت صليت الفجر في المسجد ودعيت في سجودي اللهم إني استودعك قلبي ونفسي وروحي وعقلي وجوارحي وجسدي وما خفي مني، اللهم إني أستودعك ابن حمودة وآل بيته، توكلت على الحي الذي لا يموت.

أخدت عربيتي وطلعت طريق الجلالة العين السخنة لغاية ما وصلت الزعفرانة، دخلت الريست، شربت الشاي وفولت العربية وكملت طريقي للغردقة .

كنت أول مرة أشوف طواحين الهوا المنتشرة على الطريق، اللي عرفته بعد كده إن المنطقة دي فيها أقوى طاقة رياح، كنت ماشي على سرعة كبيرة، الطريق فاضي، صحرا على يميني والبحر على شمالي، المنظر جميل قوي، منظر البحر ولونه الرائع خلاني مبسوط قوي، كأني بشحن طاقتي من الطريق ،دوامة تراب بتقرب، عادي، العربية واخدة سرعتها وشقت الدوامة وعدت، بس لقيت ورقة لزقت في إزاز العربية، قدام عيني بالضبط، خلتني مش عارف أشوف، ومع السرعة الورقة لازقة مش بتقع ولا بتطير، إديت إشارة وواحدة واحدة ركنت على يميني واديت انتظار، ونزلت، شلت الورقة من على الإزاز، لقتها ورقة من المصحف معرفش جت إزاي ،طبقتها

وحطتها في جيب القميص، وكملت، عملت رست في مدخل الغردقة بعد كمين الإحياء، وكملت طريق الصعيد، وصلت الساعة أربعة بالضبط، طبعًا تهت شوية، وسألت شويتين لغاية ما وصلت، وكان عم محمود مستنيني في قنا على حسب اتفاقي معاه.

-السلام عليكم يا عم محمود.

-وعليكم السلام يا مستر، كتر خيرك مش عارف أقولك إيه، ربنا يباركلك.

-آمين، ولك أمثاله يا عم محمود ،اسمع يا عم محمود أنا حبيت أقابلك بره البلد عشان عاوز أسألك عن شوية حاجات كده.

-اتفضل يا مستر، تحت أمرك.

-الكتاب يا عم محمود.

-ماله يا مستر ما هو ضاع .

-مش قصدي، مين اللي يعرف إنك شايل الكتاب في التربة؟

اتلخبط شوية، وسكت.

-الوقت مش وقت سكوت، لازم نعرف الكتاب فين، ومين اللي خبطك وخده، وهل هو عارف قيمته؟ وهل هيبيعه ولا هيستخدمه؟

عم محمود بيرد: ما أنا لو كنت أعرف كنت أخدت حقي منه وكنت كسرت ضلوعه .

أنا بتكلم: بص أنت هتسبقني وتقول في العيلة إن في ضيف جايلكم بكرة، زبون من البزار، كان جي يشتري كتاب بمليون جنيه، بس للأسف

الكتاب ضاع، وقولهم الضيف بايت النهارده عند قرايبه في قنا في بهجورة، وقولهم إن تليفونك ضايع ومش عارف تتصل بيا، وإنك هتروحلي بكره على قنا عشان تستأذن ولاد عمي وتعزمني عندكم، وقوللهم اسمي واسم عيلتي، وإن شاء الله اللي خد الكتاب هيحاول يوصل لي قبلك، ويقولي إنه من طرفك وهيحاول يبيعلي الكتاب، وهو هيطمن إني مش هعرف أتصل بيك عشان أسألك، وهيطمع في الفلوس وهيكشف نفسه.

عم محمود يرد وعينيه بتتحرك بسرعة يمين وشمال وصوته اتغير، وكبش بصوابعه الجلبية بتاعته كرمشها: أنت بجد ليك قرايب هنا في قنا؟

-أيوة يا عم محمود، عيلتي كلها في بهجورة وكلهم ناس محترمة يشرفوا.

عم محمود: هو حمودة ده اسم أبوك؟ ولا اسم جدك. (عم محمود بيتلجلج)

-مالك يا عم محمود؟ بتتلجلج ليه؟ ده اسم العيلة.

-أنت من عيلة حمودة في بهجورة؟

حاول بصعوبة وافتعال يغير طبقة صوته، تحس إنه بيحاول يداري حاجة.

عم محمود بيكمل كلامه: يعني إيه تروح على قنا؟ أنت ضيفنا وجايلي مخصوص، علي الطلاق لتيجي معايا وتنزل عندي في الدار ضيف وبعد ثلاثة أيام أبقى روح لقرايبك.

-يا عم محمود ما ينفعش ولاد عمي يزعلوا أنا مبلغهم إني جاي من إمبارح.

سكوت طويل من عم محمود، ونبرة جادة وصوت واطي، ورأسه نزلت

لتحت كأنه بيبص على جزمته.

-أنت قولتلهم إنك جاي عندينا؟ ولا قولتلهم إنك جيلهم زيارة؟

-لأ، طبعًا الموضوع بتاعنا سر، مقولتوش لحد.

صوت عم محمود رجع طبيعي وبان عليه الراحة: طب علي الطلاق بالثلاثة، لأنت متعشي معايا الليلة وبعد العشا هروح معاك عند الناس الزينة دي، إحنا نتشرف بعيلة حمودة الأجواد، وبعدين دا أنتم ليكم جزيرة كاملة باسمكم، جزيرة الحمودية، بالجودة يا أبو حمودة، بالجودة يا راجل يا طيب.

مش عارف ليه حسيت بحاجة غلط، يمكن عيلتهم ليها تار عند عيلتنا، بس عيلتنا ما عليهاش تار، كان أولاد عمي نبهوني وأنا جاي، طب فيه إيه؟

قلت في سري "ربي إني استودعتك نفسي فاحفظني بحفظك العظيم"

مع حلفان عم محمود بالطلاق ما كنش فيه حل غير إني أتحرك معاه على بيته، ركب عم محمود معايا لغاية ما وصلت الأقصر، معرفش ليه كلامه مش موزون، كأنه بيفكر في حاجة وهو بيكلمني .

وأنا على الطريق واحدة ست لابسه أسود واقفة تبيع أنتيكات للسياح، وقفت جنب العربية، ونادت عليّ.

-يا حاج محمد، والله لتشتري مني، نفّعني أنا ما بعتش حاجة من الصبح.

بصراحة أنا استغربت إنها قالت حاج محمد، قولت لعم محمود هي تعرفني منين؟

ضحك وقالي هي بتقول لأي حد نفس الاسم أنت عارف إن اسم محمد وأحمد مالي الصعيد معرفش ليه صعبت عليا الست ووقفت.

عم محمود: وقفت ليه كمل يا بوي، دول كل يوم كده مزهقينا.

-معاكِ إيه يا حاجة؟

-معايا، عليقات وتماثيل رخام، وعِقاد خرز.

بصيت لقيت سلسلة فضة فيها دلاية على شكل قلب متفرغ فيها كتابة، ملحقتش أقرأها من استعجال عم محمود.

عجبتني، مع إني ما بلبسش سلاسل، اشتريت واحدة عشان أراضيها وقولت جبر الخواطر لله، وكملت الطريق، لغاية ما عديت (إسنا) بشوية، عمي محمود بدأ يدخلني في طرق فرعية وسط الزراعات، يمين في شمال على طول .

لف ودوران كتير، لغاية ما لقيت نفسي في طريق متطرف وسط الغيطان وبعد الغيطان صحراء وجبل، قالي "وصلنا خلاص، حمد لله على السلامة، اركن بقى العربية تحت الشجرة دي ".

ركنت العربية، وكانت الساعة وصلت حوالي سبعة بليل، قعدنا ماشيين فترة لغاية ما شاور لي على بيت بعيد قوي لوحده، مش حواليه بيوت، بيت ظاهر عليه كآبه وسواد من بعيد كأنه شجرة ناشفة وسط أرض بور.

-آلو، أيوة يا حسني، إحنا داخلين عليكم حضروا الخروف، عشان نكرم المستر. (عم محمود بيتكلم في التليفون.)

-إيه ده يا عم محمود؟ خروف إيه؟ هو ده وقته؟

-ده أقل واجب ليك يا مستر، أنت غالي علينا جوي (اللهجة الصعيدي مختلفة شوية.)

كان في إيدي الشمال شنطة صغيرة فيها غيار، وجلابية بلدي وشبشب والمحمول في إيدي اليمين، ومفاتيح العربية معلقها في عروة البنطلون من الناحية الشمال، وخفت السلسلة تقع من جيبي وما أشوفهاش من الضلمة فلبستها مؤقتًا، قولت لغاية ما أروح بيت عم محمود أشيلها في الشنطة، قربنا على البيت لقيت ثلاثة رجالة جايين علينا.

-يا مرحب، يا مرحب بالضيف، يا مرحب يا بو عمو، نورت ال (يفضل عدم ذكر اسم البلد).

محمود عرفني عليهم، حسني، طويل ورفيع وأسمر قوي، وعليوة، مليان وطويل وأسمر، وكامل، شكله مختلف أبيض وطويل ولابس قميص وبنطلون ولهجته مش صعيدي ولمحت إن لبسه اللي لابسه كله ماركات غالية، والساعة اللي في إيده ساعة رادو، مش باين عليه من طريقة لبسه وكلامه إنه من البلد دي، قابلوني كويس ووصلت لغاية باب الدار وفتحوا الباب وقالولي "اتفضل بيتك "

مديت رجلي ودخلت فجأة عليوة كتفني من ورا ولف دراعه اليمين والشمال كله حوالين ظهري ووسطي وذراعي ومسكني جامد كأنه هيقطم وسطي.

-إيه؟ في إيه؟ -بحاول أفك نفسي- يا أولاد الكلب.

خبطة من ورا على رأسي بكلوة إيدين مشبوكة في بعض، دخت ووقعت ما حسيتش بنفسي غير وأنا متكتف، جزع نخلة مقطوع طوله مترين، الجزع ثابت في الأرض وأنا مربوط عليه، حبل خشن لافف عليا من أول رجلي لغاية كتافي ومشدود جامد، إيدي جنبي مفرودة ومتكتفة مع جسمي، فتحت عيني على خفيف كأني لسه مغمى عليّ والألم بيزيد، شفت محمود

عطيني ظهره وبيكلم واحد وبيقوله: أنا جبتهولكم أهو لغاية عنديكم، والكتاب معاكم، عاوز الفلوس كاملة، عشرين مليون، عشرة للكتاب وعشرة للمستر، بس لما تدبحوه ابقوا قطعوه أرباع أرباع وارموه في الجبل للديابة عشان طلع من الصعيد وليه عزوة وناس كبيرة جوي مش هتهمل دمه واصل، وخايف حد يكون نطرني معاه (يعني شافني) والحمودية كتار يا بوي ما هيسكتوش على دمهم .

صوت من ناحية ضلمة بيرد: ما تخفش على فلوسك، اطلع أنت ورجالتك بره الدار خالص، ابعدوا عن هنا، خليكم على مسافة كيلو في وسط القصب، ما تجوش غير لما أتصل بيكم، الفلوس في الشنطة دي يا محمود، خدها وسبنا لوحدنا.

محمود بياخد الشنطة وهو فرحان قوي ويشاور للبغلين اللي معاه ويمشي ،طلعوا من الباب، خمس أشخاص بيتحركوا في قلب الدار، بيولعوا نار.

صوت تاني بيقول: حضروا البخور والعزيمة، وهاتو الخنجر المطلسم الملفوف في القماش الأبيض ومحدش يلمس الخنجر ده غيري.

شفت كامل جايب خرقة بيضة مسكها باهتمام قوي،صوت من ورا خالص بيقوله: فوَّقه، صحيه.

رد كامل: أوامر معاليك يا باشا.

قرب مني، كب كباية مية على وشي، فتحت عيني، وقولتله: أنا فايق ،أنت مين؟ وعاوز إيه؟

قالي: عاوز منك حاجتين ،محمود قالي إنك عارف الكتاب كويس، وحذرته منه، يعني المفروض أنت ساحر أو معاك خدمة جامدة، بس علامة

الصلاة في وشك بتقول غير كده، وما شفتش حواليك حرس ولا خدام، بالعكس أنت لوحدك، وشكلك راجل غلبان، بس في نفس الوقت اللي بيقوله محمود عنك غريب، وإنك قولت قدامه إنك دخلت معارك كتير، وقتلت من الشياطين كتير، وهزمت المارد خادم عصا كبير الكهان لوحدك، أنا مستغرب، ده معناه إنك عندك قدرة أكبر من أي ساحر، أنت إيه بقى؟ نوراني؟ ولا معاك علم قديم، ولا معاك قوة الاسم الأعظم، ولا قطب متخفي زاهد في الدنيا، ولا إيه؟ حاولت أكشف عليك وأنت نايم، مفيش جن ولا شيطان قدر يقرب منك، الغريب إنك عادي خالص، لا خدمة ولا عهود ولا صحبة، والأغرب إن كل خدام الكتاب ده وحراسه أجمعوا إنك القربان الوحيد، كلهم عاوزين قلبك، لازم قلبك يطلع من صدرك وأنت حي، نشقه بالخنجر ده ،شوفت أنت غالي علينا إزاي؟ الخنجر ده ما اتعملش منه غير اتنين، واحد في مقبرة توت عنخ آمون محفوظ في المتحف، والتاني ده، خنجر صنعته الجن من نيزك خطفه مارد من السما بعد ما كان هيتحرق بسببه، الخنجر ده الوحيد اللي يقدر يقتل أي جني؛ لأنه مصنوع من الشهاب الثاقب، طبعًا أنت عارف الآية، فمهما كان اللي معاك وأنا مش شايفهم ولا عارفهم، واللي بيساعدوك خلاص، اعتبرهم ماتوا يا حمودة، أنت لوحدك دلوقتي، جيت لقضاك، هنفتح صدرك، وأنت حي وهنطلع قلبك، ونعصره على الكتاب، بعد استحضار ملوك الجان.

بصيت لقيت البيت اتملى بخدام الكتاب وحرسه والمردة، ولأول مرة في حياتي أشوف مخلوق من(الحِن) أنا كنت فاكرهم انقرضوا بعد حربهم مع الجن قبل نزول آدم عليه السلام، بدأ يستدعي كبار الملوك، البخور مالي المكان، وفك الخنجر ومسكه في إيده، قرب مني ودخان البخور مالي المكان ومسك الخنجر وقالي: أنت ميت ميت، بس أنا هديك فرصة عمرك يمكن

تستغلها، مين عارف؟ يوضع سره في أضعف خلقه؛ بُص يا سيدي لو تقدر تفتح الكتاب من غير قربان بشري، يبقى أنت فديت نفسك بنفسك واتكتب لك عمر جديد.

ضحكت: أنت فاكرني مين؟ كل سحرة الجن اللي واقفين جنبك دول وبتطلب مني أنا أفتحهولك ؟ محدش يقدر يفتح الكتاب ده، الكتاب مش هيتفتح خالص، وكل الخدام دول بيضحكوا عليك، حتى لو قتلتني وغرقت الكتاب بدمي بردو مش هيتفتح، أنا زي أنت ما قلت شخص عادي زي أي حد وأقل من أي حد.

مسك الخنجر ورفعه لفوق وعاوز ينزل بيه على صدري ناحية قلبي، قولت بسرعة "لحظة" لما سمعني بقول كده نزل الخنجر وقالي "على الله تكون عقلت؟"

قلتله: ممكن أعرف أنت مين؟ وعاوز تفتح الكتاب ده ليه؟ يمكن أقدر أساعدك في اللي أنت عاوزه من غير دم ولا فتح الكتاب.

رد وقالي: أنا حسيب.

-حسيب؟ أنا سمعت الاسم ده قبل كده .

كمل وقال: أنا صاحب المكتبة اللي البزار اشتراها وكان فيها عصا كبير الكهان.

أنا برد باستعجاب: بس أنا عارف إن أنت مت .

ضحك وقال: أنا طلعت الإشاعة دي لما لقيت الناس بدأت تتكلم إني ما بكبرش في السن مبتعبش أبدًا، فكان لازم أبعد عني الشك وأثبت لهم إني شخص عادي ومليش في السحر، فطلعت الإشاعة بموتي، أما سبب

إني عاوز أفتح الكتاب ده؛ لأني قريت إن آخر واحد امتلك الكتاب ده كان قارون وكان بيستخدمه في تحويل أي معدن لذهب حتى الحجارة، كان بيحولها لذهب والذهب يعني نفوذ واقتصاد وحكم، يعني تقدر تقول زعامة وهيمنة على العالم كله.

ضحكت وقولتله: كداب، أنا سامع عنك إنك من أغنى تجار الآثار ومش محتاج لفلوس ولا ذهب ما تقولي على طول عاوز إيه من الكتاب؟

بصلي وقالي: بما إنك ميت ميت، هقولك الحقيقة؛ لما الكتاب يتفتح هيتفتح معاه البعد الخامس، البعد اللي فيه ملوك الأرض القديمة، كل المخلوقات اللي مجرد وجودها كفيل بتغيير العالم.

رديت وقولتله: قصدك جنود الدجال.

بصلي جامد بحقد وقالي: زمن الدجال خلاص، جه وأنا اللي هبشر بيه، وأنا اللي هبقى وزيره، وهو هيضمنلي إني هعيش على طول، وممكن يحولني لواحد من المخلوقات دي، ربنا مديه القدرة بكدة وأنا خدامه وهو هيكافئني أكيد.

ضحكت ضحكة بصوت عالي غصب عني وقولتله: أنت فاكر لو فتحت البعد الخامس كمية الشر والكائنات اللي هتدخل حياة البشر دي هتسيبك تعيش؟ أنت بالنسبة لهم وسيلة لفتح الممر، والطلاسم اللي جوه الكتاب أقوى من أي بشر، أنت نفسك هتتبخر بمجرد ما يتفتح الكتاب، هتتبخر قبل ما عينيك تشوف الموجود جواه، جسمك جسم بشري ضعيف ما يستحملش.

بان عليه القلق وقالي: أنت عرفت كل الكلام ده منين؟ وإيه اللي يخليني

أصدقك؟ أنت مين؟ لو قولتلي بصراحة أنت مين؟ وجبت العلم ده منين؟ يمكن أسيبك تعيش، بس المهم إني أصدقك وتكون بتقول الحقيقة.

ضحكت وقولتله: أنا نفسي مش عارف أنا مين، ولا بعرف إزاي؟ كل اللي أنا أعرفه عن نفسي إني بحب الخير للناس كلها وبحب ربنا، وبحب رسوله، هتصدقني لما أقولك أنا مش عارف أنا إيه؟ ولا مين؟ وليه أنا بالذات؟

كان صدق كلامي واضح في نبرة صوتي؛ لأن الحقيقة ببساطة إني معرفش عن نفسي حاجة خالص غير اللي قالتهولي أمي (فاطمة) وأنا صغير لما سألتها "أنا حاسس إني مش زي أي حد" ضحكت وبصتلي وقالتلي "أنت أقل من أي حد بس أكبر من أي حد، وأضعف من أي حد وتقدر تغلب أي حد وضحكت قوي وحضنتني ففكرتها بتقول فزوره من فوازيرها الغريبة.

سكت وقالي: على العموم هنعرف دلوقتي أنت مين.

كل الكلام ده و كل الجن والحرس والخدام ماليين البيت، حتى الكائن الغريب اللي من الجن واقف بعيد بيسمع كلامي وباين عليه الاهتمام ،الحقيقة أني كنت بحاول أفتح حوار يمكن أقدر أطول الفترة قبل ما يشق صدري بالخنجر زي ما قال.

نزل فجأة بعزم ما ربنا مديه بالخنجر على صدري، منظر الخنجر وهو بيشق الهوا ونازل ناحية قلبي مرعب، فجأة وهج ونور شديد قوي كأن فيه شمس نزلت جوه البيت، وشفت الحبل اللي أنا متكتف بيه بيتحرق بسرعة رهيبة زي الفتيل بتاع القنبلة لما النار بتمشي فيه، لقيت نفسي اتحدفت على الأرض بشدة على جنبي اليمين وشفته هو طار لورا واترزع في الحيطة، واترمى على الأرض قريب مني وفي إيده الخنجر لسه ماسكه، كانت لحظة

الضوء الساطع الشديد ده كأنها لحظة انفجار، كل اللي واقف طار لورا، بصيت عليه، لقتني نايم مغمى عليّ واقع على الأرض، وإيدي ممدودة جنب رأسي وجسمي مرمي، إزاي ببص على نفسي وأنا واقع في الأرض في حالة إغماء؟ أمال أنا مين اللي بيبص؟ بصيت لنفسي لقتني راجل طويل عجوز ليه دقن لونها أبيض طويلة شبه الناس الفلاسفة أو العلماء بتوع زمان، راجل له هيبة وسطوة وقوة، جسم مفرود طويل لدرجة إني شايف كل الجان والخدام والحرس تقريبًا واصلين لنص جسمي، حاجة خلتني أبص لإيدي اليمين، لقيت سيف كبير قوي واصل للسما مكتوب عليه (لا إله إلا الله) والناحية الثانية (محمد رسول الله).

أنا مين؟ مش عارف، أنا الجسم المرمي على الأرض على جنبه وإيده ممدودة جنب رأسه على الأرض؟ ولا الراجل الطويل جدًا العجوز أبو دقن لونها أبيض وطويلة؟ وإزاي أنا بفكر بعقل محمد وبشوف بعين محمد وأنا هو؟

كل التفكير ده خد مني أقل من طرفة عين وبدأت أضرب بالسيف بقوة لدرجة إن الكائنات دي كانت بتطير من هوا السيف من غير ما يلمسها، افتكرت الكتاب، مديت إيدي الشمال مسكته عشان محدش ياخده، لقيت الجن ماسكه من الطرف اللي قدامي، بسرعة رفعت السيف ونزلت على إيده، سحب إيده بسرعة من الخوف، جت الضربة على ثلث الكتاب، اتقطع من الضربة بس لسه مقفول كأنه كتله من الصخر المصمت، بس من الجلد، حاجة خلتني أبص ناحيتي وأنا فاقد الوعي، لقيت حسيب بيزحف وعاوز يضربني بالخنجر وأنا واقع، ضربت بالسيف ناحيته، الهوا حركه بعيد عني، بس شفت نصل الخنجر راشق في كتفي اليمين.

الكتاب في إيدي الشمال والسيف في اليمين، وأنا واقف بدافع عني وأنا فاقد الوعي على الأرض، شفت الجِن خد ثلث الكتاب المقطوع ونزل في الأرض، والأرض اتشقت، أيوة اتشقت بجد ونزل فيها واتقفلت تاني كأن الأرض مجوفة ودخل فيها، جريت بسرعة، قصدي الراجل اللي ماسك السيف اللي هو أنا برده، جري بسرعة ورشق السيف كله في المكان اللي نزل فيه الجن وسمعت صرخة شديدة، بس الأرض ما اتفتحتش تاني ولا ظهر ثلث الكتاب.

بصيت لقيت الخمسة البشريين واقعين على الأرض، وأنا واقع بردو، بس في الناحية التانية من البيت قدام النخلة اللي كنت مربوط فيها، في لحظة لقيتني بفوق وبقوم من على الأرض، ولما فقت لقيت الكتاب في إيدي الشمال والسلسلة الفضة في إيدي اليمين والخنجر جزء منه في كتفي طلعته بسرعة ورميته وما شفتش جرح مكانه، سندت بأيدي وقعدت شوية آخد نفسي وحبيت أطمن على صدري وقلبي، بصيت لقيت ضربة الخنجر اللي نورت جامد جدًا جت في جيب القميص اللي ناحية قلبي، مديت إيدي لقيت ورقة المصحف اللي لقتها على إزاز العربية وشلتها في جيبي وكنت ناسيها خالص، فردتها لقيت الضربة جت في الآية (١٣٧) من سورة البقرة ونصل الخنجر معلم عند كلمة فسيكفيكهم الله، ببص لقيت الآية نورت نور شديد (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) ولقيت صفحة المصحف اختفت من إيدي، سبحان الله.

أخدت الكتاب وشجعت نفسي واتحاملت عليها لغاية ما وصلت للعربية ودورتها لغاية الطريق الأسفلت ومنه لكمين الاقصر، واستأذنت الكمين إني أبيت في العربية جنبه عشان أبقى في أمان لغاية الصبح لأني مش قادر أسوق .

الصبح لقيت أولاد عمي بيصحوني وأنا في العربية، إستغربت، عرفتم إزاي إني هنا؟

قالولي إنهم قلقوا عليا لما غبت واتصلوا بالبيت في الإسماعيلية، وأخدوا رقم العربية ومن خلال المعارف قدروا يعرفوا إن عربيتي واقفة في الكمين، فبسرعة جم يطمنوا عليّ.

ما رضيتش أقولهم حاجة عن اللي حصل، عشان ما أعرفش حد قصة الكتاب، بعد ما رحت معاهم وأخدت واجب الضيافة وقفت بالعربية في مكان محدد وشلت الكتاب بنفسي وأخفيته تمامًا في الجبل لأني عارف إن الكتاب ده ما بيتحرقش، واستغربت لما السيف قطعه، لإني كنت عارف إنه ما بيتقطعش، بس سبحان الله قوة السيف ده غريبة، أو يمكن الإيد اللي كانت ماسكة السيف.

أنا معرفتش الراجل صاحب اللحية البيضة مين؟ واختفى فين؟ وإزاي؟ بس اللي عرفته لما روحت إسماعيلية إن السلسلة الفضة كان مكتوب عليها (امض حيث شئت فإنك منصور).

الغريب إني لما بحثت عن الجملة دي في جوجل لقيتها إنها جملة خاتم النبوة اللي كان مطبوع على كتف النبي بالشعيرات الدموية ،اللهم صل وسلم وبارك عليك يا سيدي يا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تمت.

الأربعاء ٢٠ من إبريل ٢٠٢٢.

شقة باكوس.

-إن شاء الله، حاضر يا مصطفى، خلاص هقضي معاك اليومين دول، تمام إن شاء الله، هوصل إسكندرية بكرة الساعة ١٢ في أتوبيس شرق الدلتا.

لأ، ما تخدش إجازة، روح الشغل عادي وأنا هنزل اطمن على عمي وأقابلك بليل أنت وياسر، ماشي يا هندسة، هنسهر سوا وأبيت عندك، في شقة باكوس.

قفلت الخط بعد ما سلمت عليه وشكرته، قمت الفجر صليت وركبت الأتوبيس من الإسماعيلية، قضيت الوقت وأنا بحاول أتغلب على الدوخة اللي بتجيلي لما بركب الأتوبيس، لغاية ما وصلت الموقف، أخدت تاكسي لعمي، قضيت العصرية وقبل المغرب كنت متقابل أنا وياسر ومصطفى.

كنت وقتها في الجامعة، شاب صغير، بحب الخروج والسفر كتير، قعدنا على البحر، لغاية الساعة واحدة ونصف وياسر راح على بيته و أنا ومصطفى رجعنا شقة باكوس،

شقة مهجورة تقريبًا، مصطفى اتربى فيها قبل ما أبوه يتوفى، ويشتروا أرض في ضواحي إسكندرية ويبنوا بيت هناك ويسيبوا الشقة مقفولة سنين.

مصطفى: بص يا حمو (حمو؛ ده أنا بلغة إسكندرية) لو سمعت خبط أو رزع في الشقة ما تخافش، ممكن تكون فيران، الشقة بقالها فترة مقفولة، ولو سمعت الماية بتتفتح وتتقفل، عادي المحبس بايظ ،أنا هنام على الكنبة دي وأنت يا عم حلال عليك السرير كله في الأوضة التانية اللي جنب الحمام، لو

قمت ومش لاقيني ما تقلقش يمكن أنزل اشتري حاجة من تحت.

أنا هروح الشغل من بدري وهقفل عليك الباب من بره بالمفتاح، أنت عارف إن أصحاب العمارة رافعين قضية عشان ياخدوا الشقة ومستنيين فرصة، أنا هروح الشغل أقدم على نص يوم النهاردة، وآخذ يوم إجازة كمان عشان نقضي يوم في البحر.

شكرت مصطفى على حسن ضيافته.

مصطفى وياسر أصدقاء العمر الجميل، من ابتدائي وإحنا مع بعض، دخلت الأوضة، كان هواء البحر جميل، دوخني وكنت عامل زي المسطول ،نمت زي القتيل، الساعة ثلاثة بالضبط مش عارف ليه لقيت نفسي فتحت عيني لوحدي، اتقلبت وحاولت أغمض عيني تاني وأنام، ما عرفتش، قلت أقوم أفتح الشباك اللي في أوضة مصطفى وأتفرج شوية، سندت علييالسرير وقمت لبست الشبشب اللي مصطفى ادهولي، فتحت باب الأوضة، ومشيت بالراحة خالص جنب مصطفى لغاية ما وصلت للشباك، فتحت الإزاز، فتحت حتة صغيرة من الشيش، الشارع فاضي والناس نامت، مصطفى متغطي خالص، حاطط بطانية عليه وبيشخر، معرفش إزاي مستحمل البطانية في النار دي.

مصطفي بيقولي من تحت الغطا: اقفل الشباك.

ضحكت وقولتله: أنت حاسس بحاجه أصلًا؟ أنت متغطي كللك بالبطانية حتى وشك، يا راجل أنت عارف تتنفس إزاي؟

المهم قفلت الشباك والإزاز، مصطفي بيقولي: أنت قلقان؟ ايه اللي مصحيك الساعة دي؟

رديت وقولتله: مش عارف ليه حسيت إني فوقت فجأة، فقلت آجي أقعد جنب الشباك في الهواء.

قام من النوم وقعد على السرير ولسه متغطي، ومغطي وشه، قالي: أنت عارف إن الشقة دي مسكونة؟

ضحكت وقولتله: حتى لو مسكونة بتقولي ليه؟ أنت عارف إني ما بخافش.

ضحك ضحكة مش بتاعة واحد لسه صاحي من النوم خالص ضحكة غريبة تحس إنها مستفزة.

قالي: أنت عارف إن فيه واحد مات في الشقة دي؟

أنا: مات إزاي؟ ومين هو؟ أنا عارف عيلتك كلها ومتربي معاك، أنت بتهزر؟

رد وقالي: كان فيه كهربائي بيصلح الغسالة، وحب يجرب الغسالة والأرض كانت مبلولة والغسالة كانت بتكهرب، الكهرباء مسكته ومعرفناش نعمل له حاجة، مات متكهرب في الحمام بتاعنا ده.

سكتت وبصيت ناحيته: أنت بتتكلم بجد؟

قالي: مالك خفت ليه؟

أنا بثقة: أنا ما بخافش، بس مستغرب إنك ما قولتليش الكلام ده قبل كده.

ضحك ورجع ظهره على السرير وحط رأسه على المخدة، ونام وشخر في ساعتها، كل ده وهو بعيد عني حوالي مترين، أنا جنب الشباك المقفول قاعد

بدور على نسمة هوا، وهو نايم على السرير جنب باب الأوضة، جسمه كله متغطي، حتى وشه وشخيره عالي قوي.

أنا: مصطفى، مصطفي. -مبيردش خالص-

قولت يمكن نام، أو يمكن اللي قاله ده كان بيقوله وهو نايم، فيه ناس كدا بتتكلم وهي نايمة، مشيت وعديت السرير، رحت لأوضتي، كانت جنب الحمام، حاولت أنام بس صوت الماية اللي بتتفتح وتتقفل ما خلانيش أعرف أنام .

فتحت عيني، لقيت حد قاعد على الكرسي اللي قصاد السرير، أنا بقول لنفسي "أكيد مصطفى، لأ مش مصطفى، صوت شخير مصطفى جاي من الأوضة التانية" بصيت جامد وضربات قلبي بتزيد، كان اللي قاعد عاطيني جنبه، جسم راجل طويل لابس بنطلون وقميص، وشعره باين عليه منكوش.

الإضاءة ضعيفة، وشه بيبدأ يتحرك ناحيتي ببطء، لغاية ما وشه بقى قصادي، وشه وقف عن الحركة، بقى قدامي وبصلي، أنا رفعت إيدي، وشاورت ناحيته وبدأت أقرأ آية الكرسي.

فجأة، قام وقف في نص الأوضة، اتحرك ناحية الحيطة اللي على يميني، مد إيده طلع حاجة من جيبه، بحاول أركز، طلع إيه؟ إيه ده؟ ده مفك، واتجه ناحية الباب وطلع من الباب، دخل الحمام.

لمحته وهو معدي، شاب في الثلاثين، وشه أزرق تقريبًا، ريحته ريحة مسحوق الغسيل، هدومه باين عليها مبلولة، عروق كفه باينة، وعروق رقبته زرقة.

-مصطفى، مصطفى -أنا بنادي بأعلى صوت.-

مصطفي مبيردش، صوت شخيره بيزيد، صوت الغسالة في الحمام بيشتغل، أنا في حالة ذهول، بردد "بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم، اللهم ربنا، يا رب كل شيء ومليكه، يا من أنت آخذ بناصية كل شيء، ولا يعجزه شيء، أجرني من شر كل شيء، إن ربي على صراط مستقيم، يا ملك، أنت مولاي، وأنا عبدك، فاحفظ عبدك، استجرت بك فأجرني، استجرت بك فأجرني، استجرت بك فأجرني، استودعتك نفسي يا ألله، يا قيوم السماوات والأرض."

صوت الغسالة وقف، حمدت ربنا، صرخة مكتومة في الحمام، صوت حاجة بتتهبد على الأرض، أنا بنادي بأعلى صوت، مش عارف صوتي اللي أصبح ضعيف ولا مصطفى اللي مش سامع، خفت على مصطفى يمكن حصل له حاجة، قررت أقوم أروح لمصطفى اطمن عليه، وأصحيه وننزل من أم الشقة دي، بس إزاي؟

أنا عشان أروح له لازم أعدي على الحمام، طب أعمل إيه؟

جمدت قلبي وروحت لغاية مفتاح الكهرباء، عشان أنور نور أوضتي على الأقل، مديت إيدي بفتح المفتاح، لقيت المفك اللي كان في إيد الشبح اتحدف على المفتاح بقوة، ضرب في الحيطة، دب.

خطفت إيدي بسرعة وجريت ناحية السرير تاني ،إيه ده إحنا فينا من الحدف؟ أول مرة تحصل لي إن عفريت يحدفني بحاجة، قلت في نفسي، يمكن معاه عدة تانية، المرة دي بيحدف بمفتاح، يا عالم المرة الجاية إيه؟ طب مش هنور الكهرباء، هتسحب بالراحة، وأروح أصحي مصطفى، ونور النور ونلبس هدومنا ونطلع بسرعة.

مديت رجلي بره الأوضة، ومشيت بالراحة، بالراحة خالص، مش حذر، لأ ده خوف، خوف كان مكتفني كأني مش قادر أتحرك.

خطوة، خطوة، خطوة، بقيت قدام باب الحمام، رجلي وقفت لوحدها، كأنها اتشلت، ما بتتحركش خالص، حاولت أنادي على مصطفى، صوتي مش طالع.

صوابع إيد بتتحرك زي حركة العنكبوت على الأرض خارجة من الحمام، كف أزرق بيقرب من مشط رجلي، الصوابع بتمسك رجلي اللي تقريبًا اتشلت من الخوف، بتقبض على وش رجلي، قشعريرة وسخونية ماشية في جسمي كله، الأيد بتطلع على رجلي، بصيت بصعوبة لقيت جثة مرمية على بطنها وجنب وشها باين، إيديها على الأرض والأيد التانية هي اللي ماسكة رجلي، الجثة في الحمام وإيدها ممدودة بره الحمام مكتفاني، حاولت أقرأ آية الكرسي، بدأت بتهتهة من الخوف بس بعد شوية لقيت نفسي بقرأ بصوت قوي وواضح، شوية لقيت رجلي اتحركت، بعزم ربنا ما يديني من قوة سحبت رجلي وجريت على أوضة مصطفى.

مصطفى، مصطفى، إصحى.

ولسه هشيل البطانية من على وشه، لقيت باب الشقة بيتفتح، قمت بسرعة جريت ناحية الشباك بتاع أوضة مصطفى، بصراحة قلت آخر حل إني أنط من الشباك، المسافة مش بعيدة كنا في الدور الثاني، لسه هفتح الشباك لقيت حد مد إيده ونور النور .

ببص لقيته مصطفى، بصلي وقالي: أيه يا محمد اللي مصحيك دلوقتي؟

أنا ما رديتش، بصيت بسرعة على السرير .

لقيت البطانية متطبقة، ومفيش حد على السرير أصلًا، ما ردتش عليه وكان باين عليه الخوف، قرب وقالي: مالك يا محمد فيه إيه؟

قولتله: أنت مش كنت نايم هنا دلوقتي؟

رد قالي: لأ، أنا نزلت رحت للفطاطري من ساعة كده، قولت أجيبلك فطيرة بالسكر واللبن عارفك بتحبها، عشان لما تصحى تلاقي الفطار.

بصيتله تاني وقولتله: هو في كهربائي مات في الشقة دي؟

اتسمر من المفاجأة وسكت وقالي مين اللي قالك؟

أنا ما ردتش عليه: كل اللي قولته كلمة واحدة وفضلت معلق عليها وما غيرتهاش "أنا عاوز أمشي من هنا."

يكلمني مهما يكلمني، هي كلمة مبكررش غيرها، أنا عاوز أمشي من هنا، دخل معايا أوضتي ولبست وأخدت شنطتي، حاول يفهم، سيبته من غير ولا كلمة، وشاورت لتاكسي، حجر النواتية يا اسطى؟

-اركب.

قفلت الباب بتاع العربية، وكل اللي بعمله ماسك رجلي كأن فيها نار ماسكة صوابع العفريت ده، قصدي شبح الكهربائي، حمدت ربنا إن ربنا بفضله خرجني من شقة باكوس بخير.

تاني يوم مصطفي اتصل بيا وحكيتله كل اللي حصل، سكت ما اتكلمش، كل اللي قالوا "حقك عليا، والله معرفش إن الأمور هتوصل لكده، الجيران قالولي وأنا ما صدقتش."

بعد شهور عرفت إن مصطفى اتنازل لصاحب العمارة عن الشقة الإيجار

القديم من غير ولا مليم، ياسر صاحبي كان مستغرب إن مصطفى فرط في الشقة بالساهل وقال "لو كان قالي كنت خدتها منه" ودفعتله فلوسها، سكت، ما رديتش عليه، مرضتش أقول له أحمد ربنا إنك ما أخدتهاش، كان زمانك نايم جنبه في الحمام.

ليلة الجمعة.
السابع من رمضان
الثامن من ابريل ٢٠٢٢.

(بين الترعة والرشاح)

حياة الريف جميلة، خضرة، هوا نضيف، ومساحات واسعة، ترع ومصارف وجناين وشجر، وما بين كل قرية وقرية طريق طويل يقطع الأراضي، ويعدي مصارف وترع، وكنت أنا غاوي أزور صحابي في العزب اللي جنبنا، وأسهر في الصيف معاهم نضحك ونحكي ونتكلم لغاية بعد نص الليل .

كنت صغير بعد ما جيت من إسكندرية بسنتين ثلاثة كده، وسكنت في قرية في الضواحي.

حكاوي جميلة، وقاعدة حلوة على الرملة قدام البيوت، ساعات نحكي وساعات نلعب، وأحلى كوباية شاي على الحطب، ويا سلام لو رغيفين عيش يتسخنوا على النار وحتة جبنة قديمة! ولا كوزين درة مسكرين! (دي حياة الريف)

الساعة عدت واحدة بعد نص الليل.

-عاوز حاجة يا عبده؟

-رايحين فين دلوقتي؟ بيتوا معايا.

-لأ، تسلم يا حبيبي، هنروح، يا دوبك نروح .

عبده يرد: مع السلامة يا حمودة، مع السلامة يا حسن.

سلمت على عبده وأبوه، وشكرتهم على القعدة الجميلة والسهرة الحلوة،

ومشيت أنا وحسن لغاية نص العزبة لقيته بيقولي "عاوز حاجة يا حمودة؟"

أنا برد باستغراب: حاجة إيه؟ أنت مش مروح معايا ولا إيه؟

-لأ، أنا هبيت عند أختي النهاردة في العزبة هنا، أختي مستنياني أبيت معاها، هي متجوزة هنا، ولما عرفت إني عند عبده عزمت عليّ أبيت وأنا قلت لها إني هعدي عليها.

أنا بخنقة: ما قولتليش ليه كدا من الأول؟ مكنتش سهرت لغاية دلوقتي.

ضحك وقالي: إيه؟ أنت بتخاف ولا إيه؟

رديت عليه وأنا مداري خوفي: عيب عليك، أنت معاك حمودة .

سابني صاحبي الندل وخلع، ومضطر أمشي نص ساعة على الحد (الحد: فاصل بين الغيطان، عرضه حوالي نص متر) ما بين غيطان الدرة وأعدي الرشاح (ترعة لمياه صرف الأراضي مشهورة بظهور الجنية عليها) وأوصل لغاية الترعة الكبيرة وأركب الصال (الصال مركب حديد ضخمة تتحرك في الماء بجنزير ضخم مربوط ف.ي الضفتين، تتحرك بشد الجنزير)

أنا بكلم نفسي: ماشي يا حسن يا بن ال***

أمرك لله يا حمودة، أنت أقعد سبح ربنا، وصلي على النبي، وهتعدي إن شاء الله.

وصلت لغاية أول غيط درة، واستلمت الحد ما بين الغيطين، وماشي عمال أسبح،

صوت الكلاب، والضفادع، وصفارة الصراصير، ووصلت لغيط تاني مكشوف ما فيهوش درة ،الحمد لله .

من بعيد لمحت فلاح ماسك فاس بيسقي الزرع، اطمنت شوية (ما أنا عارف إن الفلاحين ساعات بيسقوا بليل عشان الحر) همشي على حسه شوية، على الأقل ونس، أي حد صاحي يلحقني لو حصل حاجة، كان ما بيني وبينه حوالي ١٥٠ متر، ساب الفاس وقام مشى قدامي، قلت لنفسي بس تمام، يبقى خلص السقية وهيروح، خليك ماشي وراه لغاية لما يوصل للبيوت اللي على الرشاح، وما تمدش يا حمودة عشان ما تضطرش تعديه، فضلت ماشي، ماشي لغاية ما قربت للكوبري الخشب القديم اللي يعدي الرشاح، الحمد لله الراجل طلع ساكن الناحية دي، خلاص أمد شوية بقى أنا وصلت أهو للأمان، بس معرفش ليه الراجل جه في نص الكوبري ووقف، أنا بكلم نفسي بشجعها؛ ما تحطش في بالك يا حمودة، يمكن هيطلع سيجارة يولعها، قربت، فجأة بيتدور وبصلي ونط في المية، طششش، الكلاب كلها مرة واحدة بتعوي.

أنا اتلبشت، وقفت في مكاني كأني إتسمرت، مش عارف أعدي الرشاح ولا أقف، الله يخربيتك يا حسن، أنت السبب في المصيبة السودا دي، لو أطولك دلوقتي! بقول لنفسي ما تكنش دي الجنية اللي بيقولوا عليها؟ ما يمكن عاملة راجل؟ أيوة أكيد هي.

عينيَّ برقت ونظري ثبت على الكوبري، أعدي؟ طب افرض عديت شدتني؟ وافرض وقفت؟ هقف لأمتى؟ ولو مشيت هروح فين؟ أرجع تاني؟ أرجع إزاي؟ ده ورايا غيط الدرة وهي أصلًا جاية منه .

الكوبري ما كنش ليه سور، مجرد كام لوح خشب متمسمرين على عرقين خشب مدقوقين في نص الرشاح، مسكت ديل الجلبية بإيد، وقلعت الشبشب عشان ما يكعبلنيش ومسكته في إيدي التانية.

سميت الله، أخدت نفس، وطرت على الكوبري جري، صواريخ، جريت لمدة خمس دقائق، من غير ما أبص ورايا، أبص إيه هو أنا أهبل؟

عديته الحمد لله، قربت أوصل لغاية الترعة وأعدي الصال ،الحمد لله، شفت الصال من بعيد، أنا اطمنت، بعد ما أعدي الصال، هعدي الشارع الأسفلت، بقيت كده في شارعنا، قربت من الصال، حوالي ٥٠٠ متر تقريبًا.

يظهر فيه صياد قاعد على الصال بيصطاد، قربت ٣٠٠ متر، شكله مش باين ليه؟ قربت ٢٠٠ متر .

دي واحدة، قاعدة على حرف الصال ومادة رجليها في الميه، شعرها طويل قوي، عينيها زي الشق بالطول، يا وقعة سوده! دي الجنية! المبروكة اللي بيقولوا عليها.

أنا سمعت من عمي لما كان بيخوفني عشان مروحش اصطاد لوحدي، كان بيقول عينيها شق وشعرها طويل مغطي جسمها وضوافرها طويلة زي المخالب وكانت بتخطف الشباب اللي بيعوم بليل في الترعة، وياما شدت ستات من اللي بيغسلوا المواعين على الشط، أيوة هي، زي ما عمي قالي، أعمل إيه يا ربي؟ آه، أرجع بظهري بالراحة؟ هي أكيد مش شايفاني، وطيت ظهري واتسحبت لورا، وبصيت في الأرض عشان ما أشوفهاش ولا تشوفني.

قولت في سري آية الكرسي، رجعت بظهري حوالي ٢٠ متر، أروح فين؟ ورايا الرشاح وقدامي الترعة، على يميني غيط بطيخ، فيه خُص (خشب منصوب على شكل أوضة صغيرة، تكفي شخص واحد متعرشة بالبوص)

أنا عارف إن صحاب البطيخ بيبيتوا في الغيط يحرسوه عشان ما يتاكلش

من الشباب اللي بيعدوا على الغيط بليل.

اتسحبت بالراحة، لغاية ما قربت أوصل للغيط ،الحمد لله وصلت، مشيت على طراطيف صوابعى من غير الشبشب، منا كنت ماسكه من ساعتها في إيدي عشان أعرف أجري وقت اللزوم، صوت من جوه الخص، تعالى يا ابني خش، مالك بتنهج ليه؟ خايف ليه يا حبيبي؟

الحمد لله، ربنا أنقذك يا حمودة.

أخيرًا لقيت بني آدم يطمني، دخلت، لقيت راجل كبير، شعره أبيض، لابس جلابية وطاقية شبيكة وماسك سبحة في إيده، سألني "مالك يا بني؟"

-أنا شفتها.

-هي مين يا حبيبي؟

-المبروكة.

هو بيكرر الكلام: مبروكة؟ آه، قصدك الجنية اللي ساكنة الصال ؟

-هي ساكنة فيه يا حاج؟

-أيوة يا ابني، ده بيتها، هي وعيالها الخمسة.

سكت شوية وفكرت وقولتله: الخمسة؟ أنت شفتهم يا عم الحاج؟

-أيوة يا ابني، ما أنا أبوهم، تعالوا يا ولاد سلموا على حمودة.

بصراحة؟ معرفتش إيه اللي حصل جوه الخص ، أنا من الرعب نطيت لفوق وصلت للعرش، نزلت على رجلي، وجريت بعزم ربنا ما يديني، بقيت أقع على وشى وأقوم أجري وأدوس على البطيخ، مش عارف أروح فين، ولا أهرب إزاي، آه لو أطولك يا حسن! لحد ما لقيت نور عربية نص نقل جاية

من بعيد لما قربت لقيتها بتاعة واحد من البلد، كان مسافر يودي نقلة بطيخ إسكندرية ولسه راجع، جريت عليه ووقفت قدامه، ضرب فرامل.

-مالك يا محمد؟ فيك إيه؟

وقعد يكلمني لغاية ما هديت، ووصلني للبيت وقالي إن مفيش حد بيحرس الغيط ده، بالذات عشان بيخافوا يبيتوا جنب الصال المسكون، بصيت في إيدي وزعلت قوي، الشبشب وقع.

(فكاهة الرعب – رعب الفكاهة)

الجمعة، ١٨ مارس بعد منتصف الليل.

المارد.

لم أكن أعلم حينما اشتريت هذه البندقية أنها ستدفعني لخوض هذه التجربة المرعبة، كنت دائمًا هاويًا لصيد الأسماك، أجد من الصيد هواية وخلوة لقضاء بعض الوقت مع نفسي على ضفة ترعة الإسماعيلية، ولا أعرف ما السبب الرئيسي الذي دفعني لشراء بندقية لصيد اليمام .

كنت أجيد التصويب لدرجة مذهلة، كنت أستطيع أن أصيب عود الكبريت دون منظار من مسافات بعيدة.

ولأنني كنت جاهلًا بفن صيد اليمام، خرجت عصرًا على طريق المزرعة لأصطاد اليمام لعلي أرجع بغداء يسر القلب، ولكن للأسف فشلت، كان اليمام يطير بسرعة قبل أن أصوب عليه.

رجعت إلى البيت دون عصفورة واحدة.

لا أعرف سبب الفشل حتى عرفت الحقيقة، حقيقة طريق مزرعة الصاوي، المزرعة التي استُدْرِجْتُ إليها، تكلمت مع صديقي الذي أخبرني أن صيد اليمام يكون ليلًا، لأن اليمام لا يتحرك، فيمكنك بسهولة اصطياده.

لم أسأل صديقي هذا عن الكيفية أو شروط الصيد ليلًا، للأسف هذا ما حدث، الوقت؛ ليلة شتوية من آخر شهر ديسمبر، المنبه يدق، الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، قمت نشيطًا ولبست ملابس ثقيلة ولم أخبر أمي، أردت أن أفاجئها باليمام، وأمسكت البندقية والكشاف الصغير وتوجهت إلى الجبل.

طريق رملي طويل ينتهي بمزلقان وبعد عبور المزلقان تسير في قلب الغيطان لتصل إلى طريق طوله حوالي ثلاثة كيلو، على جانبيه شجر كبير من الكافور الذي يتجاوز عمره ثلاثين عامًا، ينتهي الطريق بمزرعة دجاج، المزرعة على مشارف منطقة جبلية تخلو من البشر لمساحة شاسعة، المزرعة مهجورة من سنوات لا نعرف السبب، والطريق مظلم حالك، ألقت أشجار الكافور بفروعها الضخمة فوقه فظللته نهارًا وأعتمته ليلًا، كانت أشجار الكافور هي مقصدي لصيد اليمام.

-يلا يا أبو حميد، ورينا الهمة.

الهدوء تام، محدش بيتحرك، هتلاقي اليمام قدامك زي ما قالولك، تنور الكشاف وتحطه تحت ماسورة البندقية وتدور على اليمام، هتلاقيه ثابت ما بيتحرك، طلقة واحدة، هتقع، تحللها بالموس لو لسه حية -تقول بسم الله وتذبح- أو تحللها وأنت بتسمي الله أكبر وتضرب.

(ده كان كلامي لنفسي، كنت مفكر الدنيا بالسهولة دي.)

مشيت بين الغيطان مسافة كبيرة. بعدت بيها عن البلد خالص، دخلت لطريق مزرعة الصاوي، البندقية متعمرة، الكشاف شغال، مش لاقي حاجة خالص، لا يمام، ولا غربان، ولا عصافير، ولا حتى ديل يمامة .

قولت لنفسي: طب خش في الطريق كده، كيلو ولا اتنين كيلو، يمكن اليمام معشش جوه في قلب الشجر بعيد عن الحركة، مشيت فضلت ماشي، وصلت لنص الطريق ،ضربت الكشاف على الشجر، مفيش حاجة خالص، نزلت الكشاف ولسه هرجع وأنا بنزل الكشاف النور جه ناحية المزرعة، نور الكشاف ضعيف، بس وراني على بعد كيلو شكل راجل جاي ناحيتي، وأنا صغير كنت جرئ قوي وما بخافش خالص وواخد الدنيا بصدري، مهما

خوفوني كنت ما بخافش، كنت دايمًا حاسس إن ربنا معايا وحارسني.

المهم مأخدتش ولا إديت واتحركت لقدام، يعني رايح في اتجاه الراجل، قلت لنفسي؛ أكيد اليمام معشش جنب المزرعة، يعني بياكل من أكل الفراخ -بحاول أقنع نفسي-.

بضرب الكشاف بالصدفة قدامي، لقيت الراجل اللي كان عادي، كبر بشكل ملحوظ، إيه ده؟ ده كبر كمان، إيه ده؟ ده بيكبر لسه.

الملامح من بعيد ما كنتش باينة بس اللي سمعته حرك جوايا الخوف، صوت حديد بيخبط في حديد، الصوت شد انتباهي، ضيقت دائرة إضاءة الكشاف عشان يبقى أشد وينور لبعيد، لقيت جنازير حديد في ضخامة جنازير السفن الضخمة، متصلة بحلقات حديد مربطة إيده ورجله، كبر قوي طوله وصل تقريبًا أكبر من عشرة متر، المسافة اللي ما بيني وبينه تقريبًا نص كيلو.

وش أسود عريض، مناخير فاطسة ضخمة، ودان زي ودان الحمير كبيرة وطويلة، بقه -ده لو ينفع اسميه بق- بينزل ريالة. أيوه شوفت سنانه، كبيرة وغليظة ومبططة كأنها مخصصة للطحن، طحن العضم، دراعه ضخمة، كلها شعر، شعر أسود واقف زي المسامير، ليه أربع صوابع قصيرين بالنسبة لكف إيده، إيه ده؟ هو اللي أنا شايفه ده صحيح ولا تخاريف خوف؟ لأ، مش تخاريف ،رجليه رفيعة بالنسبة لضخامة جسمه اللي فوق، حجم خمس رجول من البشر متجمعين مع بعض، ملهوش أقدام، ليه حوافر، حوافر زي الثور بس أكبر مرتين ثلاثة، صوت الجنازير بيزيد وهو بيقرب، أنا مش قادر أتحرك، الكشاف متثبت عليه، إيدي بتترعش جامد، النور بيبعد ويقرب منه، فيه حاجة بتظهر وبتختفي وراه، إيه ده؟ ديل؟ أيوة ليه ديل، ديل كله شعر،

أخره حتة حمرا يمكن جلد أو لحم مش عارف.

اللي بقوله وصف واحد خايف، بيوصف بليل على نور الكشاف، يمكن فيه حاجات أنا ما شفتها أو حاجات شفتها بطريقة مختلفة، بس ده اللي شفته أو اللي اتخيل لي إن أنا شفته.

المسافة قربت حوالي ١٠٠ متر، ريحة نتنة، صوت الحديد كأنه بيتكسر، الصوت بيتضاعف، الريالة في بقه بتزيد، يا ليلة سودة يا أولاد! ده بيريل! عشان عاوز ياكلني ده ولا إيه؟ صوت الحديد يتضاعف، جرجرة الحديد في الأرض سامعها كأنها ورايا، ضربت الكشاف بسرعة ورايا، لقيته ورايا، بقيت مش عارف هو ورايا ولا قدامي ولا أنا اللي ما بينهم؟ بينهم؟ بينهم إيه؟ هما كام واحد؟ (بكلم نفسي.)

بصيت وراء وقدام واتأكدت، أيوة هما اتنين، تقريبًا لما اتلبخت في اللي قدامي كان فيه واحد شبهه بالضبط كأنه هو من ورايا.

الله يرحمك يا حمودة، هتعمل إيه؟ شريط ذكرياتي كله مر عليَّ في لحظات .

قدامي واحد وورايا واحد، وعلى يميني قناية صغيرة وغيطان وعلى شمالي غيطان وجنينة جوافة، كنت عارف المنطقة، ما أنا جيت هنا كتير، وكنت بتمشى كتير على الطريق ده العصاري لما كنت بذاكر، كنت بخرج أنا وأصحابي وأنا في أول الثانوية نذاكر العصر وإحنا بنتمشى.

الكشاف بيتهز، الصوت بيقرب كأن فيه حدَّاد بيضرب على سندان (قطعة من الحديد الصلب تستخدم للطرق عليها لتشكيل الحديد) الريحة المعفنة بتزيد، فكرة إنه زي الحداد جاتلي فجأة، بس جاتلي إنه بيفك الحديد عشان يأكلني، يأكلني إيه؟ قصدي يبلعني، يهرسني، يطحنني، ده قدي على

الأقل ١٥ مرة.

افتكرت البندقية، أرزعه واحدة ياض يا حمودة (من غبائي بقول لنفسي) ونشن كويس، أنشن إيه؟ ده زي العمارة، أي ضربه هتيجي فيه، ضربته ودوست على الزناد، جدع يا حمودة، بلا جدع بلا زفت، ده طلع صوت كأنه أسد، اشمعنا دلوقتي لما ضربته طلع الصوت ده؟ يمكن زعل، والله يا عم ما تزعل دي اتضربت لوحدها (أنا بتكلم جوايا) مسك الحديد اللي في إيده كسره من الغضب.

نور الكشاف بيتهز، صوت زئيره بيزيد، صوت تكسير الحديد يصحي محافظة، أمال الناس مش سامعة ليه؟ الريحة بقت لا تطاق، الريالة نزلت من صدره لرجله، فتح بقه بانت سنانه كأنها شواكيش من عظم، كل سن عامل زي الماسورة العضم اللي أمي بتعمل عليها شوربة، شوربة إيه بس أنت في إيه ولا في إيه؟ بدأ يقرب ليا، يقرب خمسة متر تقريبًا بيمد إيده، غمضت عيني، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله.

معرفش إيه اللي حصل، أنا فتحت بعد ثواني ملاقتش حاجة خالص، كل اللي لاقيته ديبين، كل ديب واقف في جنب واحد يمين وواحد شمال.

شفتهم، ما اتكلمتش، لفيت وفضلت ماشي وهما ماشيين جنبي، لغاية أول طريق البلد، ببص لقيتهم اختفوا، وصلت البيت كانت الساعة ثلاثة ونص، لقيت أمي صاحية وأنا كنت بترعش معرفش من البرد ولا الخوف ولا الصدمة ولا كل ده، أمي بصتلي وقالتلي أول ما دخلت عليها من غير ما أحكيلها: ما قرأت آية الكرسي ليه؟ ما دعيت ربنا ليه؟ ليه ما أذنت بصوت قوي؟ أنت مش عارف إن الآذان بيدمر أي عدو؟ أنا مش معلماك قوة (الله أكبر)؟ أنت بخوفك ده كنت هتضيع نفسك.

إحمد ربنا إن ربنا حفظك، وبعت لك اللي يحفظك.

ومن ساعتها وأنا اتعلمت، اتعلمت إن مهما كان عدوك ضخم، مهما كان شرس، مهما كان كبير، فالله أكبر.

الخميس ٣١ من مارس ٢٠٢٢.

(مذكرات إبراهيم بسيوني)

-الحقوني، أنا بغرق، بغرق.

نطيت في الميه بسرعة، عُمت بسرعة، الحمد لله لحقته على آخر لحظة، مسكته من ورا وحاولت أرفعه، لف بسرعة ومسك في رقبتي جامد، بيخنقني، بيحاول يغطسني، بحاول أفك إيده، ضربته في وشه، مسك إيدي، كتفني مش عاوز يسبني، ركب فوقي وغطسني، بحاول أتنفس مش عارف، روحي بتطلع، صوت خبط جامد، بحاول أقاوم، بيحاول ينزلني لتحت، صوت الخبط بيزيد، فتحت عنيا بالعافية: إيه ده، الحمد لله، ده كان كابوس مرعب.

صحيت من الكابوس ده على صوت الخبط على باب الشقة، اتشاهدت وقمت قعدت على السرير باخد نفسي بصعوبة وبنهج جامد، ضربات قلبي عالية قوي، صوت الخبط مستمر.

-الحمد لله الذي أحيانا بعد أن أماتنا وإليه النشور.

مديت رجلي أخدت الشبشب، وقمت وقفت على رجلي بالعافية، بحاول أمشي بس دايخ ورجلي متكتفة، لسه تقيلة ومنملة، بتحرك بصعوبة، مديت إيدي بحاول أساوي شعري، وعدلت هدومي، ومشيت لغاية باب الشقة، وفتحت.

شاب في العشرينات: صباح الخير.

-صباح النور.

-أستاذ محمد أحمد؟

-أيوه أنا، خير؟ مين حضرتك؟

-فيه طرد لحضرتك.

-طرد؟ من مين؟

-ممكن بطاقة حضرتك؟

-آه، لحظة واحدة.

قفلت الباب ودخلت جبت المحفظة من جيب البنطلون، طلعتله البطاقة، مسك البطاقة وخدها، نقل الرقم وقال: امضِ بالاستلام.

مضيت واداني كيس مقفول جاي من مكتب البريد، قفلت الباب بعد ما شكرته، ومسكت الكيس، تقريبا جواه كتاب، مهتمتش، رميت الكيس علي المكتب، ودخلت الحمام، وطلعت على المطبخ، حطيت الكاتيل وسبته عشان يغلي، ودخلت مسكت الطرد، فتحت الكيس، لقيت كراسة كبيرة، غلافها أسود. فتحت أول ورقة مكتوب في أول صفحة في النُص بخط الايد (مذكرات إبراهيم بسيوني).

سمعت صوت الكاتيل بيغلي جامد، رميت الكراسة على المكتب، ورحت المطبخ لقمت الشاي، أيوة الكباية الكبيرة بتاعتي، معلقة إلا ربع شاي خرز وباكيت سكر دايت، قلبت وأخدت الكباية في إيدي، ورجعت لأوضتي، مددت على السرير بعد ما أخدت الكراسة وحطيت الكباية جنبي، وفتحت تاني صفحة.

سطرين فاضيين من فوق،

السطر الثالث: "صديقي القديم العزيز"

أنا بستعجب، صديقك مين يا عم؟ أنا معرفكش، بس الاسم ده مش غريب عليا، أنا سمعته قبل كدا، المهم كملت قراءة.

-طبعًا أنت مستعجب من إني بناديك صديقي، أيوه أنت صديقي، هفكرك؛ فاكر إسكندرية، مدرسة صقر قريش الابتدائية، قدام الترام.

أنا بسترجع الذاكرة بسرعة، وبقول لنفسي معقول ده يكون إبراهيم بسيوني اللي بندور عليه بقالنا سنين؟ رجعت كملت قراءة

-يارب تكون افتكرتني، أكيد افتكرتني، أنا إبراهيم اللي أبوه نقله في الصف الثالث لما أمي ماتت وأخدنا كلنا وروحنا البحر الأحمر نعيش هناك.

(أنا مش مصدق نفسي)

أيوه يا محمد، بالحق أنت سميت نفسك ليه محمد حمودة؟ مش كنا بنقولك محمد عبد الحميد؟ أنا عرفت أوصلك من البوست بتاعك اللي نزلته من سنين، وحكيت قصتنا إحنا الأربعة؛ أنا وأنت وياسر ومصطفى، يارب يكونوا بخير، أنا عارف إن البوست ده كان من سنين، بس معلش كان عندي ظروف ملخبطة هتعرفها لما أحكيلك حكايتي.

أنا بفتكر البوست اللي كتبته، فعلا أنا قُلت إن كان لينا صاحب اسمه إبراهيم بسيوني وسافر وهو صغير مع والده لما أمه ماتت، وكنا بنروح لجدته (أم أمه)، كانت ست عجوزة ساكنة في شقة أرضي، كنا بنعدي كل يوم نسألها إبراهيم رجع ولا لأ، قعدنا على كده سنتين لغاية لما روحنا لقينا الباب مقفول والناس قالولنا إنها ماتت، وافتقدنا إبراهيم اللي عمرنا ما نسيناه، ثم جاتلي

فكرة بعد سنين طويلة إني ممكن أوصل لإبراهيم عن طريق الفيس بوك، فكتبت البوست ده وطلبت من الناس تشير يمكن نلاقيه، والناس ساعتها استغربت إني بدور على واحد سبني من ٣٧ سنة تقريبًا (كان عمري وقت ما كتبت البوست تقريبا ٤٣ سنة)

الشاي! نسيته. أخدت رشفتين ثلاثة من الشاي وكملت.

حكايتي تبدأ يوم ما جالي خبر وفاة صاحبي وصديقي وزميلي في الشغل عاكف، نسيت أقولك أنا شغال في شركة بترول في البحر الأحمر، زعلت علي عاكف قوي، كان من أعز صحابي، رحت دفنته وعزيت أهله وكان إخواته عارفينني كويس، ما أنا كنت صاحبه الوحيد، وبيعاملوني كأني أخوهم، ولما استعجبت إنه اتوفى ومكنش بيشتكي من حاجة، أخوه الكبير ميل عليا وقال في ودني: الدكاترة محتارين، سبب الوفاة سكتة قلبية بس ملامح وشه وقت وفاته كانت بتدل على رعب شديد، رعب أدى لتوقف عضلة القلب، لقوا عينيه جاحظة مفتوحة على آخرها، وبقه مفتوح على آخره، والباب كان مقفول من جوه ومفيش أي اقتحام أو كسر للشقة ولا أي أثر لمقاومة، يعني عاكف مات من الرعب.

(أنا كمحمد حمودة مستعجب طب وأنا إيه داخلي بكل ده، بس بصراحة كان عندي فضول أعرف سبب موت عاكف)

إبراهيم بيكمل: عاكف ده كان غريب حبتين، كان بيحب القصص الخيالية والأساطير، وكمان كان بيحب يقرأ الكتب الصفرا القديمة جدًا، كان بيبعت يشتري الكتب دي من تجار التحف اللي كانوا بيلاقوها في المكتبات القديمة، كتب صفرا قديمة وعناوينها غريبة، المهم أخوه قال لي: أنت ليك عندي أمانة عاكف قال لي أبقى أديهالك.

-قالك امتى؟ إبراهيم بيسأل أخو عاكف

-بصراحة قال لي قبل ما ياخد آخر إجازة ويقفل على نفسه الأوضة، ومكنش بيطلع خالص، وصحته مكنتش كويسة، عينيه حمرة زي الدم، وبيكح جامد وبيرتعش كل شوية ويتخض من أقل حاجة، بعت لي وإداني كيس متبرشم وقال لي إدي ده لإبراهيم صاحبي النهاردة ضروري، بس للأسف الكيس ضاع مني ونسيته في التاكسي، ولما قولتله كده ثار وغضب وزعق وشتم وكان ناقص يصور قتيل، خفت عليه حبيت أطمنه عشان يهدى، فضحكت عليه وقولتله إني بهزر وإن أنا إدتهولك، حلفني وأنا حلفت كدب عشان مزعلوش، بس للأسف الكتاب مكنش معايا لغاية لما صاحب التاكسي قدر يوصلي ويديني الكيس بس للأسف بعد وفاته، متعرفش كيس إيه ده يا إبراهيم؟

-لأ معرفش حاجة خالص عن الموضوع ده.

-عامة الكيس جوه هجبهولك، وجابهولي فعلاً.

(كل ده وإبراهيم بيحكي وأنا بقرأ)

أخدت الكيس ورحت البيت وفتحته لقيت كتاب أصفر قديم فيه تآكل بسيط مضيع بعض الحروف في بعض الصفحات عنوانه باهت، ولما حاولت أقراه قريته بصعوبة الحروف

(ك....ف)، (تق...ل)، (عد..ك)، (في)، (ثلاث...)، (أيا...)

إبراهيم بيكمل: حاولت أكمل الحروف الناقصة طلع العنوان

(كيف تقتل عدوك في ثلاثة أيام؟)

أنا بصراحة يا محمد خفت من عنوان الكتاب؛ شكله بورقه الأصفر وخصوصًا كان عليه بقع حمرة قديمة، خفت تكون دم، أنا جسمي قشعر منه، رميت الكتاب في درج المكتب ونسيته خالص، لحد ما في يوم حصل اللي حصل

إبراهيم بيكمل ويحكي:

كنت شغال أمن في الشركة، بستلم الوردية وأطلع أقعد في برج حوالي ٥ متر داخل سور الشركة.

ممكن الناس تفكر إن شغلة الأمن والحراسة سهلة إنما أحب أقولك دي من أصعب المهام، في الشتاء بالذات الجو ثلج فعلًا وأنت لوحدك ومحدش معاك والليل طويل في الصحرا دي، من البرد والريح والهوا والخوف من كل حاجة، ساعات عينيك بتقفل من التعب لوحدها، ومهما حاولت تفتح عينيك متقدرش، دا غير البرد الفظيع والحر الشديد في الصيف، كان ليا ريس بيمر علينا، ريس رخم اسمه عبدون، من أول يوم شغل وهو عاوز يمشيني، تقريبا واحد قريبه كان مقدم علي الوظيفة دي وأنا اللي اتعينت بعقد في الشركة وقريبه متقبلش وحطوه في أول قايمة الانتظار، كان بيستنى ويراقبني لغاية لما عيني تغفل للحظة يطلع البرج وياخد البطارية، (الكشاف) اللي مستلمها من الشغل، ياخد أي عهدة مميزة عشان يثبت إني كنت نايم وينزل، والصبح قدام زمايلي كلهم يقول لي فين بطاريتك، أحاول أتحجج بأي حاجة، يطلعها قدامهم ويقول لي: أنت فرد أمن خايب أنت متستحقش تكون في الشركة دي. ويديني جزاء ويبعت لمدير أمن الشركة التقرير. كان ليا ثلاثة تقارير في أول ستة شهور، حياتي كلها هتبوظ، أنا متجوز وما صدقت إني أشتغل بالمرتب ده وفي المكان ده، مدير الأمن (سيادة اللواء) بعتلي بعد تاني تقرير

وقال لي بالحرف الواحد: خلي بالك من مستقبلك يا إبراهيم فاضلك تقرير واحد وتتفصل، أنت بتخرب بيتك بايدك.

آخر مرة الريس عبدون هزأني قدام زمايلي ومسخرني، وقال لي: أنت كنت نايم زي القتيل، أنا أخدت كشافك واللي يتاخد منه كشافه ويتعلق يبقى إيه يا رجالة. زمايلي ضحكوا وقالوا: يبقي ضاع شرفه يا ريس. رد وقال لي: يبقى كده كأننا اغتصبناك يا إبراهيم، ههههه، هو تقرير واحد لسه ناقصلك وبالسلامة يا ريس.

حطيت وشى في الأرض ومشيت كأني واحدة ست ماسكينها في شبكة دعارة وبيعايروها بيها، في اليوم ده رجعت مبكلمش حد وفضلت أعيط في أوضتي، وبقول لنفسي كل حاجة بتضيع، أنا لازم أخص من حياتي، هعيش ليه؟ أنا هموِّت نفسي، أنا هنتحر، أعيش ازاي وأنا في نظر نفسي بقيت مسخرة، كله بيهزأني، مش عارف أحافظ على شرفي، ولا لقمة عيشي، هقول إيه لمراتي وأولادي؟ هصرف منين؟ أجيب لبن لابني الصغير منين؟ بس أنا لازم أفضحه، لازم الناس تعرف هو عمل معايا إيه،هكتب رسالة وأحكي فيها كل حاجة؛ ازاي كان بيذللني، ازاي كان مستقصدني أنا بالذات، أيوه مستقصدني، فيه ناس زمايلي قالولي كده، قالولي هو بيعدي لناس كتير اشمعنا أنت؟ هقول لكل الناس إنه السبب في موتي.

فتحت درج المكتب آخذ ورقة فاضية وظرف، عيني وقعت على الكتاب الأصفر، كنت نسيته خالص (كيف تقتل عدوك في ثلاثة أيام) الكتاب كأنه بيقول لي خدني اقرأني، طبعا، كده صح، أيوة، هو اللي لازم يموت، اشمعنا أنا اللي أموت، هو الظالم المفتري، هو الشر، لازم أخلَّص الدنيا من أمثاله، لازم يكون عبرة، أولادي أنا مش هيتيتموا، أولاده هو يتيتموا، أيوة، لازم.

فتحت أول صفحة، مكتوب فيها من فوق

(استرضاء الشيطان)

المطلوب؛ كائن حي أسود اللون، أقل حاجة فرخة، ليلة قمرية، تخلع كل هدومك، تذبح الحيوان وتأخذ الدم وترسم النجمة الخماسية دي على صدرك وتكتب الكلام المكتوب في النجمة وتقف عريان تردد العزيمة دي، وأنت بترقص وتدور وباصص للسما، هتلاقي ريشة نزلت عليك من السما خدها هتحتاجها بعدين..

(الكلام اللي كتبه إبراهيم خطير ازاي سمح لنفسه يبقى تابع للشيطان، ويسترضيه ويذبح له ويقدم له قربان وليه إبراهيم بعت لي أنا مذكراته؟)

إبراهيم بيكمل..

قلت لنفسي ممكن أعمل كده ده سهل قوي، أجيب الفرخة السودا، والبلد كلها صحرا، أروح في أي حتة مقطوعة وأقلع هدومي وأعمل كده، بكره هنزل وأشتري الحاجات دي وبالليل أعمل كده وحظي إن إحنا في نص الشهر العربي، هخلص منك ومن غلاستك وأخلص الدنيا منك حتى لو هتحالف مع إبليس نفسه، الصبح أخدت إجازة من الشغل، ونزلت على السوق سألت واحد بتاع فراخ قولتله عاوز فرخة سودا خالص، بصلي قوي وقال لي: يا أخي اتقِ الله، إيه الكفر بتاعكم ده على الصبح؟ يا فتاح يا عليم، يا رزاق يا كريم.

واحد بتاع فراخ سمعه من بعيد، قربللي قوي، وقال لِي: إيه يا أستاذ أنت جديد في الكار ولا إيه؟ الحاجات دي مبتتقالش كده، تعال هفهمك، الديوك السودا، الديك بألف جنيه. بصتله قوي، رد وقال لي: دي حاجات نادرة

جدًا، كل ألف ديك لما تلاقي ديك أسود غطيس مفهوش ولا ريشه بيضة، يا أستاذ إحنا بنبعت نجيبها من مصر، الشيوخ بس اللي بيخدوها، أنت عارف ليه.

سكتّ خالص -إبراهيم برضه اللي بيكمل- وقولتله: بس ده كتير قوي. رد وقال لي: طالب الكحل يتكحل، واللي ممعهوش ميلزموش.

أخدت تاكسي بسرعة وروحت، دخلت على أوضة النوم، فتحت الدولاب، مديت إيدي لأول مرة على ذهب مراتي أخدت خاتم كبير، أعمل إيه؟ ممضط، واتسحبت بالراحة، وهي جوه المطبخ بتحضر الرضعة للنونو الصغيرة بنتي حنين، رحت بيعته بسرعة، ورجعت لبتاع الفراخ، وادتله الفلوس، قال لي: مينفعش تاخده دلوقتي هتتعرف، والحاجات دي أسرار، الساعة ثمانية بالليل قابلني في العنوان ده.

رجعت البيت، مراتي سألتني: أنت جيت من شويه يا إبراهيم؟

-لأ يا حبيبتي مجتش.

ردت وقالت: مش عارفة أنا حسيت إن فيه رجل غريبة في الشقة، يمكن متهيألي، يمكن.

قعدت مستني لغاية الساعة سبعة ونص، نزلت وكلّي انتصار، حاسس بالفخر، النهاردة هاخد حقي، دلوقتي يا إبراهيم ممكن تعيش وأنت رافع راسك. وصلت للعنوان، لقيت الراجل مستني، وماسك في ايده ديك أسود خالص، حتى الديك شكله يخوف وصوته وحش، نظرة عينيه خوفتني، الراجل شاف على وشي الارتباك، قال لي: مالك أنت أول مرة تحضر فيها؟ ولا فيه شيخ بيدربك؟ ولا أنت لوحدك؟ صارحني يمكن أساعدك.

رديت بلخبطة: بصراحة منظر الديك خوفني. بصلي واستعجب وقال لي: نعم! خوفك! أمال لما يطلعولك وتشوفهم على هيئتهم الحقيقية هتعمل إيه؟ نصيحة ليك لو قلبك ضعيف ابعد عن السكة دي.

غضبت وقولتله: لأ مش هبعد أنا ميهمنيش، حقي لازم أخده. الراجل بصلي وكلّي غضب معرفش جبت الحقد والكره ده كله منين، وقال لي: أيوة كده، اجمد.

رجعت وصوتي ضعف، وقولتله: بس ممكن تساعدني وتذبح أنت الديك؟

بصلي وقال لي: مينفعش، لازم أنت اللي تذبح ومتسميش عليه وتنفذ بالحرف الواحد، افتكر كرهك وحقدك وغضبك، مترحمش حد، أنا هساعدك، أنت عاوز تعمل إيه؟

-عاوز أروح حتة مقطوعة، وأقلع وأرسم على صدري نجمة خماسية وأكتب حاجات جواها و...

-أنت جبت الوصفة دي منين؟ في شيخ قالك؟ ولا قرأتها بنفسك؟ ولا حلمت بيها؟

-قرأتها في كتاب نادر جدًا بتاع واحد صاحبي.

-معاك الكتاب؟

-قولتله لأ، بس أنا نقلت اللي مكتوب في الليلة الأولى.

-الليلة الأولى! يعني إيه؟

حاولت أحور عليه، قولتله: أنا بحب واحدة وهي متجوزة وعاوزها

تطلق من جوزها وكده يعني، أنت فاهم.

قال لي: آه فهمت، يعني سحر جلب، بس غريبة أنا أول مرة أعرف إن الجلب بيتعمل كده، أنا اعرف إنهم بيستخدموا نجمة البحر، على العموم أنا معاك، يلا اركب العربية معايا.

وأخدني وطلعنا على الجبل، متكسفتش أقلع هدومي قدامه، حقدي وغلي كان أشد، أشد من حيائي، خلاص بقى حياء إيه، دا أنا بقيت صاحب الشيطان. قلعت هدومي، ونورت الكشاف بتاع الشغل، ومسك لي الديك وذبحته، والدم نزلته في كوباية إزاز وبدأت أرسم بالريشة النجمة الخماسية وأكتب الحروف المقطعة والأسماء المكتوبة والأرقام، وأردد الاسم اللي الكتاب ذكره، اسم الشيطان اللي بستدعيه، برده وأنا برقص عريان خالص تحت السما، ببص لفوق، الشهب بتزيد قوي، السما بتلمع، أنا نسيت إن معايا تاجر الفراخ، كان اسمه غريب؛ اسمه حميد وشهرته حميد القاتل، قعدت أرقص وألف لغاية ما لقيت نفسي دُخت ووقعت على ظهري، ببص لفوق لقيت ريشة سودة كلها دم نازلة من السما، مسكتها وفرحت، خلاص محدش يقدر عليا أنا معايا الشيطان.

(معرفش ليه أنا -محمد حمودة- قشعرت وخفت، قفلت المذكرات، وقُلت في نفسي عليه العوض ومنه العوض، إبراهيم ضاع خلاص.)

لسه مفهمتش برده إبراهيم ليه بعد كل السنين دي افتكرني أنا؟ وليه دلوقتي؟ وجاب عنواني منين؟ واسمي الكامل ورقم بطاقتي ازاي؟

شِلت المذكرات في درج المكتب وأنا متعكنن إني استلمتها أصلًا، يا ريتني رفضت الطرد، أنا كنت مفكره كتاب خارجي زي الكتب اللي بتتبعت للمدرسين هدية، طلعت من البيت مخنوق قُلت أمشي شوية على الدايري

على رجلي، يمكن الهم التقيل ده اللي على صدري يتزاح، مش عارف أكمل المذكرات ولا أحرقها ولا أعمل إيه؟

رجعت من بره البيت بعد ما اتمشيت كتير وفضلت أصلي على النبي وأنا ماشي لغاية لما حسيت ببعض الراحة، دخلت وبعد ما البيت كله نام، فتحت الدرج وطلعت المذكرات بتاعت إبراهيم وأقنعت نفسي إن المذكرات دي وصلتني لحكمة معينة ولغرض يمكن أنا معرفوش دلوقتي بس أكيد لما هقرأ المذكرات هفهم أكتر، فتحت وبدأت أقرأ؛ إبراهيم بيحكي وبيقول:

ركبت مع حميد ووصلني لغاية البيت، أنا كنت شبه مسطول، حاسس بنشوة غريبة، بقيت خفيف، بس مش قادر أمشي كأني متخدر، مسطول مش عارف، حميد سندني لغاية ما شاورتله على شقتي، خبط وطلعت مراتي، كانت فاكراني أنا، طلعت لقت حميد بيسندني وقال لها: لا مؤاخذة الأستاذ كان دايخ وأنا سندته عشان يعرف يطلع.

مراتي كانت ملبوخة مش عارفة تعمل إيه، تجري تجيب طرحة تداري شعرها ولا تجيب روب تستر نفسها بلبسها الخفيف ولا تساعد مع حميد، أنا شايف ومش شايف، ماشي ومش ماشي، حاجة كده تقدر تقول ما بين النوم والصحيان، المهم سندوني الاتنين ودخلوني الأوضة وحميد طمنها إني كويس ونزل، رميت نفسي على السرير، ورُحت في نوم شبه الغيبوبة، بس للأسف مطلعش نوم، كانت حالة من حالات الاستحواذ، حلمت وأنا نايم؛ إن فيه واحد لابس قناع أسود وتاج من نار، جالي ولبسني سلسلة من نار آخرها دايرة جواها نجمة خماسية، وقال لي: هديتك الأولى وصلت. وإداني في ايدي ورقة مكتوبة بالدم. فتحتها في الحلم لقيت مكتوب فيها؛

(اليوم التاني: ضرس من فك لحم ميت يطحن في هون نحاس مع ضوافر

رضيع لسه مدقش الأكل، معجونين في بول كلب، يترسم بيهم النجمة على صورة المطلوب وتتلف على ذيل كلب ويتدفن المطلوب في قبر عروسة منحوسة)

قمت من النوم وأنا بصرخ من الألم، مراتي وبنتي الرضيعة اتفزعوا، مراتي: مالك يا هيما في إيه؟

إبراهيم: جسمي مولع نار.

جريت على الحمام، قلت أنزل تحت الدش يمكن جسمي يهدى شوية، قلعت هدومي، وبصيت في المراية وأنا بقطع جسمي من الهرش، اتصدمت لما لقيت مكان السلسلة اللي لبستها في الحلم حرق أحمر مزنهر كأني فعلا مكوي بالنار، الحمار بارز ورسمة السلسلة مطبوعة على جلدي كأني متعلم بعلامة من جهنم،ناديت على زوجتي، لقيتها أصلًا واقفة قدام باب الحمام، من خوفها عليا دخلتلي من كتر صوت عياطي من الألم، قُلت لها: بصي. قالت لي: إيه ده؟ قُلت لها: أكيد مرض جلدي حساسية أو حاجة. حطت ايدها عليها لقيتها سخنة خالص وأنا صرخت من الألم لما لمستها، شالت ايدها بسرعة، وقالت لي: مفيش حساسية تطلع على شكل رسمة سلسلة بالضبط كده، أكيد أنت لبست سلسلة فيها مادة سامة هي اللي حرقت جلدك كده.

إبراهيم بيرد: وأنا أعمل إيه دلوقتي؟ سمعت صوت في ودني أنا بس اللي سمعته، بيقول: نفذ المطلوب ومفيش هروب، السلسلة تختفي لما تحط المطلوب في القبر.

-إبراهيم! مالك يا بابا؟ فيك إيه؟

صحيت على صوت أخويا لما زوجتي اتصلت بيه لما وقعت في الحمام بعد

ما سمعت في ودني الكلام، فتحت عيني: أنا فين؟ أنت جيت امتى؟

قال لي: أنا ومراتك بنفوق فيك من ربع ساعة، مالك يا حبيبي؟ قولي.

سندت على إيدي وقعدت، وسكت، أخويا كمل كلامه وقال لي: مراتك بتقول حاجات غريبة، إنك كنت شارب امبارح وبتتطوح وواحد شكله غريب مرجعكساندك، وجسمك مطبوع عليه شكل سلسلة، وطول الليل وأنت نايم جمبها بتقول كلام غريب مش عربي خالص زي اللي بيقولوه الدجالين في التليفزيون، صارحني يا إبراهيم أنا أخوك، ستر وغطا عليك.

-مفيش حاجة، هي مكبرة الموضوع، أنا كنت مع واحد صاحبي امبارح وشفت فيلم رعب كان جامد شوية، وأخدت برشامة غريبة، ده اللي خلاني أهرتل، معلش مش هتتكرر.

أخويا بصلي وسكت، وقال لي: يا إبراهيم أنت بقيت زوج ورب أسرة دلوقتي، يعني مينفعش كدة خالص ولو ليك صاحب وحش بلاش منه أحسن، ومتدخلش بيتك حد متعرفهوش، البيوت حرمة يا إبراهيم.

أخويا نزل من هنا وأنا لبست بسرعة، مراتي سألتني: رايح فين؟ قلت لها: رايح أقدم على إجازة مرضي بالتلغراف وأشوف حد بتاع عطارة فاتح وأجيب منه أي دهان للحساسية اللي في جسمي دي.

بصتلي بصة غريبة كأنها بتقول لي أنا مش هبلة، بس مقدرتش تتكلم معايا في حاجة.

نزلت ورحت أدور علي حميد القاتل اللي ساعدني، لازم يكمل جميله وأعمل اللي قال عليه الشيطان عشان الحرق اللي في جسمي يروح، نزلت السوق أسأل على محل حميد القاتل، الكل بصلي واستغرب، وردوا عليا:

مفيش تاجر فراخ بالاسم ده، ولا حد في السوق كله بنفس الاسم.

قعدت على قهوة صغيرة قدام السوق عمال أبص يمين وشمال وفي ايدي كباية الشاي يمكن أشوفه وهو معدي، فجأة لقيت ايد على كتفي ببص لقيته هو اتفزعت واتنطرت كباية الشاي من ايدي على الأرض.

بصلي وقال لي: مالك؟ أنت شفت عفريت؟ اتخضيت ليه كده؟

إبراهيم: أنت فين يا أخي؟ أنا بدور عليك من الصبح.

رد وقال لي: وأنا جتلك أهو، خير؟ مالك؟

إبراهيم: مينفعش هنا، خلينا نتكلم بعيد شوية عن الناس.

حميد: طيب يلا هنتكلم في العربية.

مشينا لغاية ما ركبنا العربية وقولتله: أنا عاوز أعرف، مش أنت لما قابلتك أول مرة كنت بتبيع فراخ؟

ضحك وقال لي: فراخ إيه؟ أنا شفت الناس بتكرشك لما سألت على الديك الأسود، فحبيت أساعدك وأنا كنت معدي بالصدفة.

-يعني أنت مش بتبيع فراخ؟

ضحك وقال لي: تاني فراخ؟ أنت جعان ولا إيه؟

-أنت بتهزر! هو ده وقت هزار!

-مالك؟

-النهاردة فيه حاجات لازم أعملها ولو معملتهاش حياتي كلها هتتدمر.

-حاجات إيه؟

-مش عارف أقولك ازاي؟

-يا راجل قول ما احنا بقينا أصحاب، أنت نسيت إنك كنت بترقص ملط قدامي، ههههه.

-بصراحة عاوز ضرس من لحم طري، و..

لسه مكملتش بصلي قوي وقال لي: مش أنت قلت إنك بتعمل سحر جلب حبيب؟ الجلب مفهوش كدا، صارحني.

بصتله قوي وقولتله: خايف أقولك تسيبني وتمشي.

ضحك وقال لي: طالما هتدفعلي حق تعبي مش هسيبك.

سكت وأنا مش عارف أقوله ولا مقُلش، لازم قبل الليلة دي ما تعدي أكون عملت اللي قال عليه الشيطان عشان الألم اللي في جسمي يروح والحروق تختفي.

إبراهيم بيكلمه: بصراحة، أنا فيه واحد في الشغل عاوز يخرب بيتي وبيذلني وكنت هنتحر بسببه، عاوز يدمر حياتي، وليا واحد صاحبي بعتلي كتاب قديم ورقه أصفر مقطع أمانة عندي فلقيت فيه وصفة ازاي، مش عارف أقولك ازاي.

-كمل متخافش، سرك في بير.

-ازاي.. تموت.. عدوك..

-قصدك تقتل عدوك في ثلاثة أيام؟

-غريبة، وأنت عرفت ازاي العنوان؟ ده فعلا العنوان.

-متقلقش قوي كدا، أنا بحب الحاجات دي من زمان، وقريت فيها كتير،

ده كل الموضوع، ومن قرايتي عرفت إن فيه تعاويذ قوية جدًا ممكن توصل للقتل بمجرد الإشارة على الشخص من بعيد، أو القتل في ثلاثة أيام أو ثلاث خطوات، كده يعني.

-طالما أنت فاهم كدة ساعدني.

-هاخد عشرين ألف جنيه وأساعدك.

-نعم؟ كام؟ وليه؟ هو أنت هتروح تقتله بايدك؟ ده أنا لو أجرت واحد يقتله مش هدفع كل ده.

بصلي قوي في عيني بصة تخوف، وقال لي: لو هقتلهولك أنا هاخد خمس آلاف.

-أنت بتتكلم جد؟ أنت ممكن تقتلهولي بنفسك؟

-طبعًا، أمال شهرتي حميد القاتل ليه؟ بس ساعتها المباحث مش هتسيبك لأنك هتكون أول المشتبه فيهم وهيوصلولك بسهولة وخصوصا إنك خرع، ومع أول شخطة وتهديد هتعترف وتقول إنك أجرتني ودفعتلي فلوس، وكمان خللي بالك كده تبقى مكملتش اتفاقك مع الشيطان، يعني كل اللي شُفته كوم وغضب إبليس عليك كوم تاني، هتتمنى الموت ومش هتلاقيه.

-يعني إيه؟ قصدك إيه؟

-قصدي خلاص أنت بقيت عبد للشيطان تسمع وتنفذ، وشوية شوية تبقي من أتباعه، ويبقى عندك هيبة وأتباع وفلوس وقوة ومحدش يقدر يقف قصادك مهما كان، وممكن تبقى شيخ تعالج الناس وتعمل أسحار وتكسب ملايين، أنت مشيت أول خطوة، لازم تكمل، الرجوع يعني موتك، ودمار كل اللي بتحبهم، يعني بنتك الصغيرة ذنبها إيه؟

بصراحة يا محمد أنا مكنتش عارف أعمل إيه، أسمع كلام حميد وأكمل، ولا أخليه يقتل عدوي وأوعده مش هعترف عليه، ولا مكملش خالص، الوقت بيمر وجسمي بدأ يحمر كله، كأني بتشوي في النار، وكل ما أتراجع أو أخاف أو أفكر في الرجوع، النار تكويني زيادة لغاية ما أصرخ من الألم وأسمع صوت في ودني يقول لي: هتتمنى الموت ومش هتلاقيه.

-بس أجيب العشرين ألف جنيه منين؟ أنا مش معايا فلوس (إبراهيم بيكلم حميد)

حميد بيرد: زي ما عملت المرة اللي فاتت.

-أسرق تاني؟ أسرق دهب مراتي وشبكتها؟ لأ مستحيل أعمل كده، وحتى لو عملت كده هتعرف إني أنا اللي سرقتها وهتفضحني وتطلب الطلاق ويبقى كده البيت اتخرب.

حميد بيرد: مين اللي هيقولها إن أنت اللي سرقت؟ خلي حد غيرك يسرق وأنت في الشغل، يبقى كده الشبهة بعيدة عنك وعمرها ما هتشك فيك أبدا لأنه ذهبك.

- يعني أروح أتفق مع حرامي وأقوله تعالَ والله يا عم اسرق بيتي، أنت اتجننت؟

حميد بيرد: عامة أنا قلت طلباتي وأنت فكر براحتك، يلا انزل من العربية.

إبراهيم: أنزل فين؟ أنت هتسبني في المصيبة دي؟ بس ازاي؟ حتي لو ده هيحصل لازم النهاردة أكون عملت اللي كتبه الشيطان، وأنا النهاردة إجازة، يعني مش هروح الشغل بالليل والحرامي مش هيسرقني النهاردة، يعني مش هعرف أوفر لك الفلوس إلا بكرة بالليل.

حميد بصله وقال له: بسيطة هسلفك لغاية بكرة بالليل.

-طب والحرامي اللي هيخش يسرق دهب مراتي بكرة بالليل وأنا في الشغل هتجيبه ازاي؟

ضحك حميد وقال له: ملكش فيه، أنت وافق وإديني مفتاح البيت أطلع عليه نسخة، وقابلني بالليل في نفس المكان نروح الترب وأنا هخلصلك كل حاجة، بس قول ليا الشيطان كتبلك إيه بالضبط.

قولتله اللي كان مكتوب في الورقة اللي حلمت بيها، وقال لي: متقلقش، بس هاتلي وأنت جاي بالليل صورة الراجل اللي يستاهل الموت وضوافر البنت اللي بترضع، أنا شفت عندك بنت صغيرة بترضع روح قص ضوافرها ولا مش هتعرف كمان؟ وهاتلي كل ده معاك بالليل.

إبراهيم بيكلمني معرفش ازاي يا محمد طلعت مفتاح البيت وادتهوله وقال لي إنه هيرجعه لما يقابلني بالليل.

ياه يا إبراهيم -أنا محمد حمودة بكلم نفسي- أنت وصلت لكده؟ صحيح ليس بعد الكفر ذنب، تدي لراجل غريب مفتاح بيتك، يبعت حرامي يخش على حريمك وبنتك؟ حتى النخوة والرجولة ضاعت منك، وبنتك الرضيعة تدخل حتة من جسمها في سحر؟ فيه ناس كده بالقذارة دي؟ أنا هرجَّع من القرف، حسيت إن بطني قلبت بجد من كتر قرفي من إبراهيم، خسارة فيك الاسم، فتحت درج المكتب ورميت مذكرات الزفت إبراهيم وقفلت الدرج بالمفتاح، قررت بعد ما قفلت الدرج إن أول ما أقوم من النوم هحرق المذكرات دي، أنا حاسس إني كل ما بقرأ المذكرات بتقبض، وصدري بيضيق، كأن جسمي بيشيل أذى من القرف اللي إبراهيم بيعمله، أنا هحرقها الصبح. قُلت أذكاري وصليت على النبي وأسلمت نفسي لله ونمت، حلمت

إني واقف قدام بحر، والبحر جميل وفجأة لقيت حد بينادي باسمي من ورايا: حمودة، حمودة. ببص لقيت البحر موجه عالي قوي والسما اسودت، بصيت ورايا لقيت واحد جاي عليه شكله وحش قوي لابس طوق من نار حولين رقبته، قرب وقال لي: أنت مش عارفني؟ قولتله: لأ. قال لي: أنا إبراهيم. قلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم منك ومن عمايلك.

-حمودة اسمعني، لازم تكمل المذكرات، مش عشاني، عشانها، لازم، لازم يا حمودة، عشانها يا صاحبي. الصوت بيرن في ودني ويبدأ بالتلاشي لغاية ما اختفى خالص.

صحيت وجسمي متكسر، قعدت شويه لغاية ما الفجر أذن وقمت اتوضيت ونزلت صليت ورجعت، فتحت الدرج، ولسه في ودني كلمة مش عشاني، عشانها، يا ترى إبراهيم يقصد مين؟ مسكت المذكرات وكملت قراءة اللي كتبه وكان بيحكي وبيقول:

روحت البيت وكان الوقت دخل على العصر، فتحتلي مراتي وقالت لي: أنت من الصبح على لحم بطنك، كلك لقمة يا بابا، اقعد عشان أغرفلك، وبعد الغدا يا حبيبي احكيلي كل حاجة، هو أنا مش مراتك حبيبتك ولا معدتش بتحبني زي زمان؟

بصتلها وقلت لها: فعلًا أنا جعان، هاتِ البت معايا ألاعبها شوية، وروحي أنتِ اغرفي.

مسكت البت وطلعت القصافة وكان أول مرة أقص ضوافر طفلة صغيرة، حاولت أقص، البنت بتعيط جامد، مراتي بتتكلم بصوت عالي من المطبخ: مالها يا إبراهيم البت؟ بتصرخ جامد ليه؟

إبراهيم: متخافيش مفيهاش حاجة، تلاقيها من اللبن الجديد اللي الدكتور كتبه عمل لها مغص ولا حاجة. وكملت قص ضوافرها، وحطيت الضوافر في منديل ورق في جيبي، مراتي جت من المطبخ وحطت الطبلية وفرشت الأكل وخدت مني البت: يلهوي إيه ده يا إبراهيم؟ صوابع البنت كلها دم ليه؟ أنت عملت إيه؟

-ولا حاجة كانت ضوافرها طويلة قصتهم.

مرات إبراهيم: طويلة إزاي؟ أنا قصتهم إمبارح، إبراهيم أنت شارب ولا إيه؟

إبراهيم بيرد متصنع الغضب: شارب إيه يا ولية؟ شيفاني بتطوح؟ ما أنا قدامك أهو صاحي وباكل زي القرد أهو، يعني لما آجي أساعدك تزعقي وتنكدي عليا.

مرات إبراهيم: تساعدني إيه بس أنت شلت نص ضوافر البنت، حرام عليك، حد يعمل كده في ضناه؟ (وأخدت البنت وقامت قعدت في أوضة النوم تعيط)

إبراهيم بيكمل؛ عملت نفسي غضبان وزعقت وقلت لها: أنتِ كل شوية تنكدي على أمي حتى وأنا باكل، دي بقت عيشة زفت. وعملت نفسي غضبان ودخلت أوضتي جبت صورة الريس حمدون اللي كان متصورها معانا في فرح واحد زميلنا وجبت مقص وقصيت صورته وخدتها في جيبي ونزلت وهبدت الباب ورايا.

(كنت حاسس إني بقيت وحش قوي في حق مراتي وبنتي، أنا متسيطر عليا مش عارف أقاوم، كنت كل خطوة بعملها في اتفاقي مع الشيطان النار

اللي في جسمي بتقل وشكل الحرق على جسمي بيخف، رحت قعدت على القهوة في وش البيت مستني ميعادي مع حميد، لو كنت أعرفله بيت كنت رُحت لغاية عنده، وأنا قاعد لقيت الريس عبدون بيسأل على عنواني، قمت مشيت لغاية عنده.

-يا ريس يا ريس.

سمعني لف وبصلي: ازيك يا إبراهيم؟ فينك؟ غايب ليه؟ ألف سلامة عليك؟

إبراهيم بيبصله باستغراب ومابيردش عليه.

-أنا عارف إنك زعلان وواخد على خاطرك، متزعلش إحنا متعودين نعمل كده في أي واحد جديد لسه متعين، كل اللي قبلك اتعمل فيهم كده.

إبراهيم بيبصله باستغراب ومش مصدق ودانه.

- سيادة اللواء نفسه عارف، ومتفق معانا عشان كده هو بعتلك وقالك إنك هتتفصل، كل اللي سمعته مننا ده مجرد طريقة بنجمد بيها قلب فرد الأمن الجديد عشان يقدر يسهر ويتحمل، ولعلمك أنت أقل واحد نام في المجموعة، أنت عارف عمك محمد إسماعيل؟ أنا علقته ست مرات وهو نايم، أنت نمت مرتين بس، أنا صممت أجيلك بنفسي وأطمنك لما عرفت إنك تعبان وقُلت لسيادة اللواء كفاية كده عليه شكله عيل جدع وعنده دم مش زي الجبلات اللي معانا.

-بعد إيه! (إبراهيم بيرد بهمس)

-نعم؟ بتقول حاجة يا إبراهيم؟

-بعد إيه؟ (صوت إبراهيم بدأ يعلى)

-مش فاهم يا ابني قصدك إيه؟

-يعني ليه خلتني أكرهك بالشكل ده؟ ده أنا اتمنيت موتك يا أخي، دا أنا كنت هنتحر بسببك.

-للدرجة دي! هو أنا كنت مقنع كده؟ إزاي صدقت إني ممكن أضرك أو أفصلك وأبوك الله يرحمه كان صاحبي؟ عمومًا أنا مسامح يا عم على سوء ظنك ومستنيك بكرة في ورديتك، متخافش من حاجة كلنا إخواتك ابقَ بوسلي البنوته الصغيرة، سلام عليكم.

(ابراهيم بيوصف حالته)

بقيت مش عارف أعمل إيه؟ أضحك إن شغلي موجود ومش هترفد وإن كل ده طلع تمثيل؟ ولا أبكي على نفسي إني بعت ديني وسرقت مراتي وأذيت بنتي ولا أبكي على عم عبدون الطيب، اللي جالي لغاية البيت يصالحني ويفهمني، في اللحظة دي بس، قررت إني مش هكمل مع الشيطان.

(إبراهيم بيصرخ كأن حد ولع فيه)

آه، آه، مش قادر، إبراهيم بيحكي لسه، جسمي كله بيتحرق، جلدي بيتشويٍ، قلبي من جوه حد ماسكه بصوابعه، مخالب حديد بتقطع فيه، مش قادر آخد نفسي، ريحة شياط مالية مناخيري، صوت جوايا بيقول لي: هتتمنى الموت ومش هتلاقيه، آه. (إبراهيم بيرد علي الصوت) خلاص هكمل، والله هكمل. صوت في ودني بعصبية وغضب: متقولش الكلمة دي تاني، لما تحلف تحلف بيا أنا، أنت عبدي أنا.

الألم بدأ يخف، والناس اللي حواليا واللي كانوا هيودوني المستشفى من

صوت صراخي، حسوا إني بقيت كويس، شكرتهم، وقولتلهم خلاص أنا بقيت كويس.

طلبت فنجان قهوة على كوباية شاي، كان المغرب أذن والليل دخل، والليل ستار، لقيت حميد جايلي بالعربية بتاعته وخدني ورحنا المقابر، مقابر قديمة قريبة من الجبل، دخل حميد في وسط المقابر كأنه حافظها، ونادى بصوت عالي: يا زفر، يا زفر.

ظهر راجل طويل أسود لابس زنط، مش شايفه كويس.

بصيت لحميد وسألته: مين ده؟

رد وقال لي: ده حارس الترب الزفرة.

سألته: يعني إيه زفرة؟ قال لي: دي قبور الحوادث اللي مبنعرفش أسماء صحابها وملهمش أهل يسألوا عليهم.

حميد بصله وقال له: ها حضرت المطلوب؟ رد بذل وانكسار وقال له: طاعتك واجبة.

مشيت معاهم لغاية خُص مهجور فيه هون نحاس، قال لي ارمِ الضوافر في الهون ويلا.

إبراهيم: يلا على فين؟

حميد: تخلع الضرس من اللحم الطري، حظك فيه جثة لسه مدفونة طازة.

وإداني في إيدي كماشة حديد، (إبراهيم بيكمل الحكاية) إيدي فضلت تترعش، فتح قبر وسحب جثة بنت محروقة متشوهة خالص، وشخط وقال لي: استرجل، مد إيدك. وفتحلي بقها على الآخر، كنت سامع صوت فكها

يطأطأ وبيتكسر من قوة ايده وعنفه، بصراحة خفت منه قوي، وخفت أرفض، ومسكت الضرس بالكماشة وقعدت أخلع فيه، طلع بجزء من لحم الفك، كان لون اللحم أزرق، وريحة الجثة متتطاقش.

حميد: فين جثة المنحوسة؟

رد الزفر وقال له: بعد مانطحن الضرس مع البول والضوافر.

أخدني ورجعنا للخُص،

حميد طلع من جيبه صابع طبي (الصابع اللي بنشتريه لو فيه حد صوبعة مجروح) مربوط من فوق، وقال لي: ده بول الكلب، فكه وصب البول.

فكيته وحطيت البول على الضرس والضوافر، وقعدت أطحن، كل ما أطحن النار اللي في جسمي تقل.

حميد بص للزفر وقال له: فين الكلب؟

طلع الزفر وجه وهو ساحب كلب بلدي أسود، الكلب ماشي ذليل موطي رأسه كأنه خايف، حميد ماسك رأس الكلب والزفر شادد الذيل، وإدوني مقص حديد وقال لي: قص الذيل.

خفت وقولتله: الكلب حي، قال لي: متخافش مش هيحس، الكلب متخدر،

قص. (حميد يشخط في إبراهيم)

إبراهيم : حاضر. وقمت قاصص الذيل، الغريب إن الكلب منزلش دم، ولا حس.

-خد دي، ريشة شلتهالك من الديك الأسود، يلا ارسم النجمة على

الصورة، واكتب الرموز والأسماء، ولف الصورة على ذيل الكلب واربطها.

(إبراهيم بيكمل) عملت كل اللي كان مكتوب في الورقة، وسحبوني من إيدي وطلعت من الخُص ومشينا لغاية ما وصل لقبر.

سألته: قبر مين ده؟

قال لي: عروسة عاملة حادثة وهي بتتزف، هفتحلك القبر وهتخش لوحدك، تفتح الفك وتحط الصورة وتقفل الفك وتربطه بحته من الكفن.

فتح لي القبر، كانت الجثة متحللة نصها والدود في كل حتة والدم والأمعاء بدأت تطلع من الكفن، مش قادر أشم الريحة، مسكت الفك وفتحته بقوة، وحطيت فيه الصورة المربوطة على ذيل الكلب وقفلته ولفيت أقطع حتة من الكفن أربط بيه تاني الفك، ناديت عليهم محدش رد، قُلت يمكن مشغولين بحاجة، قطعت حتة بالعافية وربطت الفك واتسحبت لورا عشان أطلع بره لقيت وش العروسة المتاكل بص ناحيتي، صرخت وجريت، كنت بجري في وسط المقابر، مش سامع غير قلبي، الغريب إني ملقيتش حد معايا في المقابر، ولا حميد ولا الزفر حارس المقابر، ولا الخُص ولا حد، والمقابر كحل، حتى القمر اللي المفروض يبقي طالع سحابة سودة غطته، جريت بعزم ربنا ما يديني، شفت حاجات سوده بتجري ورايا في المقابر، وشفت خيال الكلب الأسود، بس فيه حاجة غريبة حصلت.

أنا -محمد حمودة- مش قادر أكمل أكتر من كدا، أنا لأول مرة أحس بكمية القرف دي، حسيت بشعور مقزز من كل حاجة كتبها إبراهيم، عشان كده فيه قصص مش بقدر أحكيها، مش خوف لأني بخاف على القارئ الضعيف إنه هيحاول يربط حاجات بتحصله وهو بيقرأ أو بعد ما بيقرأ يربطها بأحداث القصة، عشان كده بخفي أسماء وعزائم وأرقام وأعداد

وبحاول أبعد بالقارئ عن حاجات أكبر من طاقته أو ممكن تؤذيه.

حطيت المذكرات في الدرج وقفلت عليها وقلت بكره بالليل بعد ما البيت كله ينام أكمل حكاية إبراهيم، أنا عارف إن ربنا بعت لي أنا الحكاية دي لحكمة وهدف، وإن شاء الله هعرفها، بعد الساعة واحدة بعد نص الليل، فتحت الدرج وطلعت المذكرات، كان نفسي أعرف السبب، ليه أنا بالذات، كملت قراءة، إبراهيم بيقول..

جريت بسرعة وأنا شايف حاجات سودة بتجري ورايا من جوه المقابر، بصيت لقيت نفسي بره المقابر، بعد ما جريت وبعدت شوية، لقيت الشيطان اللي شفته في الحلم واقف على باب المقابر، وكل اللي كان بيجري ورايا لما شافوه وقفوا واختفوا كأنهم اتبخروا، شفته برغم سواد الليل والعتمة، تاج النار على راسه يخلي الطفل يشيب، عينيه كأنها برق بيلمع، جريت لغاية ما وصلت لطريق قريب، فجأة لقيت عربية حميد جت ووقفت قدامي.

إبراهيم: أنت بتهرب مني يا حميد؟ مرة واحدة ملاقيش حد منكم؟

ضحك ضحكة مستفزة وقال لي: كان لازم تبقى لوحدك، ده اختيارك، ولازم تثبت إنه بإرادتك، ومحدش غصبك على حاجة، لو كنت ساعدتك كانت كل حاجة عملتها راحت من غير فايدة، أنت دلوقتي تروح بيتك، لازم تستريح وتنام.

سكت شوية، وقعدت أفكر: يمكن يكون هو صح؟ طب عرف ازاي كل ده؟ وليه بيساعدني أصلا؟ مين حميد ده؟ ومين اللي بعته؟ أنا معرفش أي حاجة عنه وهو يعرف كل حاجة عني؛ بيتي، بنتي، مراتي، شغلي، بصيت له وجمدت قلبي وقولتله: تعرف يا عم حميد أنا لغاية دلوقتي معرفش أنت ساكن فين ولا شغال إيه.

(إبراهيم بيوجه كلامه لحميد)

-وده يهمك كتير؟

-طبعًا، افرض احتاجتك في أي وقت؟

بصلي وقال لي: تعالَ معايا أوريك أنا عايش فين.

لف بيا ودخل في سكة الجبل وساب الطريق الرئيسي ودخل على مدقات لغاية ما وصلنا الصخور.

-انزل

-أنزل فين؟

-أنت لسه جبان وبتخاف؟ شخط انزل.

نزلت وأنا بقدم رجل وبأخر رجل، دخل جوه الجبل وشاور لي على صخرتين في ما بينهم فتحة صغيرة، وقال لي: أنا ساكن هنا.

أنا بصراحة اتلبشت، ورديت وقولتله: هنا بجد؟

قال لي: دي فتحة مغارة وأنا زي ما أنت عارف، أنا بقتل بالأجرة، أعمل إيه شغلة جدودي ورثتها، هههههه.

-أنت بتكلم بجد؟

-طبعًا، أمال شهرتي حميد القاتل ليه؟، مش مصدقني، طيب، يا زفر، يا زفر.

لقيت التربي طالع من بين الصخور، وقال له: أوامرك يا ريس حميد. قال له: مفيش حاجة كنت بطمن عليكم، روح أنت يا زفر.

ضحك وقال لي: صدقتني؟ أديك عرفت أنا شغال إيه وساكن فين.

وأخدني من إيدي ونزلنا الجبل لقيت علامة في الجبل مكتوب عليها رقم، حاولت أحفظه عشان أعلم المكان، ركبت العربية معاه وأنا مش قادر أتكلم خالص، يمكن خوف أو شلل جالي في كل أعصابي من شكل الزفر وهو طالع من الشق بين الصخور.

إبراهيم بيقول: حميد ساق العربية من غير كلام خالص، كأنه عرف إن الرسالة وصلت، رسالة الموت اللي مستنياني لو اتكلمت أو رفضت أكمل، وصلني وقال لي: أنت بكرة في الشغل صح؟ مستناش أرد، كمل وقال لي: أنت هتروح الوردية الساعة كام؟

رديت وقُلت: من ستة بالليل لغاية ستة الصبح.

قال لي: خد مفتاحك أنا عملت نسخة منه، بكرة بالليل هاخد الحاجة، ده الثمن اللي اتفقنا عليه.

سكت مقدرتش أعارض، المنظر اللي شفته بيه في الترب، واختفاؤه فجأة، قعدته في الجبل جوه الشق أكد لي إنه مخاوي أو ابن ليل من اللي متعودين على العمايل دي، نزلت، طلعت السلم وفتحت الباب، البيت هادي، وكل حاجة ساكتة، دخلت الأوضة لقيت مراتي قاعدة ماسكة الببرونة بترضع اللبن، دخلت أول ما شافتني انتفضت.

-مالك؟ اتنفضتِ لي؟

-معرفش كأن فيه خيال ماشي معاك، زي ما يكون ضل حوالين جسمك، ضل أسود، مش عارفة، يمكن عنيا أنا اللي مزغللة.

إبراهيم: أنتِ لسه واخدة على خاطرك مني؟ متزعليش، أنا كان عندي

مشاكل في الشغل، والحمد لله راحت، تصوري مين اللي جالي النهاردة على القهوة وصالحني؟

-مين؟

-الريس عبدون، جالي بنفسه وقال لي أنت من أفضل الناس اللي اشتغلوا في الأمن، تصوري إن كل الغلاسة دي كانت مقلب وبيعملوه في أي واحد يتعين جديد؟

ردت عليا ببرود وقالت لي: يعني السبب هو الشغل وبس ولا صاحبك الجديد اللي لسه موصلك؟

-صاحبي مين؟

-أنا كنت مستنياك في الشباك، كنت قلقانة عليك، لقيت نفس الراجل اللي كان موصلك وأنت بتتطوح، هو اللي موصلك دلوقتي، مين ده يا إبراهيم؟

رد إبراهيم وقال: ده واحد معرفة بيعالج الناس بالقرآن، ده راجل مبروك، راجل صالح.

ردت عليا: مش باين عليه ولا صالح ولا نيلة.

-بتقولي إيه يا شيخة، حرام عليكِ، ده أنا رحت له لما حسيت إن حد عامل لي عمل.

هي مستغربة متهكمة: عمل؟ طيب.

-وبعدين أنتِ بتقولي ليه كده؟

-ولا حاجة، متخدش في بالك؟ بس لو سمحت ميدخلش البيت ده

تاني.

إبراهيم: إيه يا هانم هو أنتِ اللي بتقرري مين يخش ومين لأ؟ عيشنا وشوفنا الستات هما اللي بيحكموا البيوت.

ردت عليا بعصبية ونرفزة: ده عنيه تندب فيها رصاصة، شيخ إيه وزفت إيه؟ وسابتني ومشيت (إبراهيم بيحكي)

نمت كأني مقتول، وحلمت، لأ مش حلمت، دي حقيقة، مش ممكن يكون حلم أبدًا، حلمت إني مع ستات كتير، كلهم أجمل من بعض، وبيرقصولي مخصوص، وفجأة حد سقف قاموا كلهم جريوا وقعدوا في مكانهم، من غير حركة ولا صوت، تقدم موكب زي مواكب الملوك بتاعت زمان، عرش كبير وقاعد عليه الشيطان اللي أنا شفته، بصلي جامد وقال لي: تحب تتجوز الستات دي؟ سيبك من مراتك، أنا بخيرك، دول ولا مراتك النكدية، مسيرها هتعجز وتكبر.

سكت وقولتله: مراتي أم بنتي، دي مراتي على سنة الـ..

لسه مكملتش قال لي: اوعى تكمل كلمتك هنا، أنت هنا عبد من عبيدي.

دارى بسرعة غضبه، وقال لي: بس لازم أنت اللي تقرر، أنا هديك المال والثروة، وهجوزك من أي ست من دول تشاور عليها، هتعيش خدامتك، تلبي طلباتك، هتبقى جاريتك طول عمرك، عمرها ما هتكبر ولا هتعجز ولا هتشتكي، طلباتك منها أوامر حتى لو عرش بلقيس نفسه، هخليك أشهر ساحر، هيجيلك الناس من كل مكان، الكل يتمنى رضاك.

لما غبت في الرد غضب جامد وقال لي: لسه قلبك متعلق بمراتك؟ طيب هنشوف.

وصحيت من النوم لقيت نفسي بقيت الظهر، معرفش ليه قلبي واكلني على مراتي، اتغديت وبُست بنتي الصغيرة اللي كل ما تشوفني تصرخ معرفش ليه، صالحت مراتي بكلمتين وقلت لها: خلاص مش هدخل الراجل ده البيت تاني.

طبعًا سلسلة النار اللي كانت مطبوعة في جسمي راحت من ساعة ما عملت الطقوس، مراتي حضرت لي الأكل اللي هاخدوا معايا بالليل وحطته في العامود. (أنا محمد حموده مش عارف يعني إيه العامود اللي كتبه ده) ونزلت الساعة ستة إلا ربع أستنى أتوبيس الشغل، الأتوبيس وقف، ركبت قعدت جنب صحابي من بتوع الأمن، حالة من الحزن ومحدش بيتكلم ولا بيهزر.

-مالكم فيه إيه؟

بصولي باستغراب: أنت متعرفش؟

-معرفش إيه؟

-مش الريس حمدون مات؟

أنا كأني كنت في صدمة، الريس.. الريس حمدون مات.. مات.. مات..

-مات ازاي؟

-حادثة.

-حادثة إيه؟

-كان بيستحمى واتخنق من البخار.

-مراته الصبح ملقتهوش جنبها، نادت عليه مردش، طلعت لقيته واقع في الحمام، وعينيه مبرقة وفكه مكسور، تقريبًا وقع على حرف البانيو.

-كان راجل طيب الغريبة إنه كان نايم جنبها، ومحستش بأي حاجة

-اتدفن ولا لسه؟

-الدفنة كانت الظهر، احنا استغربنا إنك مجتش، ده كان بيحبك قوي.

حالة من الصمت التام أصابتني، مكنتش سامع زميلي بيقول إيه، ولا حاسس بحد، كل اللي جه في ذهني، إن أنا اللي قتلته.

سمعت صوت جوايا بيقول لي: هدية بهدية، وضحية بضحية.

فضل الصوت يتردد جوايا لغاية ما لقيت صاحبي بيقول لي: يلا انزل الأتوبيس وقف. مردتش

-إبراهيم، إبراهيم، أنت كويس؟

-آه، آه أنا كويس بس سرحت في الريس الله يرحمه.

نويت جوايا إني أرجع عن سكة الشيطان وأروح لشيخ يقول لي أتوب إزاي، أعمل إيه عشان الشيطان يسبني، بمجرد التفكير في كده أول ما ذكرت الله، مسكتني حالة زي الصرع ووقعت على الأرض، شالوني وفوقوني وقالولي: لو أنت تعبان روح وإحنا هنشيلورديتك.

رديت: لأ أنا بقيت كويس.

طلعت البرج، وكلي ندم على اللي عملته ازاي أعمل كده؟

استغفر ال.....

تقريبا جاتلي الحالة تاني حالة الصرع اللي بتمنعي أذكر ربنا، بس المرة دي مفوقتش غير الساعة ستة الصبح وصاحبي خالد جاي يستلم مني الوردية، صحيت علي صوته بينادي: إبراهيم افتح الباب.

صحيت، فُقت ونزلت فتحتله، قال لي: أنت كنت نايم ولا تعبت زي امبارح؟ لازم تكشف، حول نفسك لدكتور الشركة، متسبش نفسك.

طمنته ونزلت ركبت الأتوبيس وروحت البيت، فتحت باب الشقة لقيت بنتي على صرخة واحدة، ببص لقيت مراتي نايمة على السرير ومفتحة عنيها ومبتردش، هزتها جامد، وحسيت إنها في حالة صدمة، ضربتها بالقلم، صرخت جامد، وقعدت تتنفض وتترعش وتصرخ.

إبراهيم: مالك فيه إيه؟

مراتي قعدت على السرير وراحت ضمة رجليها مقرفصة وقفلت فاتحة الجلابية من فوق وكرمشتها في ايديها جامد وضمت ايديها على صدرها وهي خايفة وبتعيط، شاورتلي على الدولاب.

-فيه إيه؟ مالك؟

-حرامي.. الراجل.. حرامي. وراحت مصرخة وقعدت تضرب فيا وقالتلي: برا، بره، أنا عاوزة أمشي من هنا، بنتي! فين بنتي؟ اديتلها بنتها، صرخت وقالت: طلقني، طلقني.

بسرعة اتصلت بأخوها وأختها وأخويا ومرات أخويا، الستات دخلولها وأخوها نزل بسرعة جاب الدكتور إداها حقنة مهدئة وقال: هي في حالة صدمة، شافت موقف صعب محدش يستحمله.

أخوها قال لي: خش نام أنت لسه جاي من الوردية، أنا وأخوك هنعمل محضر، وهنصحيك على العصر تكون بقت كويسة وأنت تكون نمت شوية.

دخلت نمت لغاية ما جت أختها وخبطت على باب الأوضة، صحيت، قالت لي: قوم اتغدى، مراتك صحيت بس مش عاوزة تتكلم مع حد.

دخلت الأوضة كل ما أبصلها تبعد بوشها عني، أختها نزلت وأنا قعدت جنبها أطبطب عليها وأحايل فيها لغاية الساعة عشرة بالليل.

إبراهيم بيحكي: ولا يهمك فداكِ أي ذهب إحنا عملنا محضر وإن شاء الله هنمسكه.

بصتلي قالت لي: ذهب إيه وزفت إيه! طز في الذهب.

-أمال أنتِ جتلك صدمة ليه؟ يمكن الحرامي خوفك؟ ولا ضربك؟

-ياريته كان قطعني ومعملش اللي عمله ده.

-قصدك إيه؟ اتكلمي!

-صاحبك اللي خد الذهب بعد ما سرقك اغتصبني يا إبراهيم، كنت متخدرة، شايفاه ومش قادرة أصرخ ولا أقاوم، أنت ضيعتنا كلنا، منك لله، كده ارتحت خلاص؟ عرفت؟

وفضلت تصرخ وتلطم وتشق هدومها: طلقني.

أنا جريت على المطبخ، أخدت أكبر سكينة وخبيتها في هدومي وجريت نزلت السلم في نطتين وشاورت لأول تاكسي قابلني، وقولتله: هخده مخصوص، اللي أنت عاوزه هديهولك، اطلع طريق الجبل، بسرعة.

أخدت التاكسي ومشيت زي المجنون حاولت أمشي على نفس المدقات بالعافية، كنت حاسس إني ماشي صح كأن فيه حاجة كانت بتشدني للمغارة، بس للأسف السواق رفض يكمل معايا، خاف إنه يوصل للجبل بصراحة عنده حق.

-يا عم أنت مودينا على فين؟ ده الجبل في وشنا، وإحنا بالليل، الناس

بتخاف تطلع الجبل بالنهار وأنت مطلعنا الجبل بالليل؟ لأ بصراحة أنا مش هكمل، حاسبني وهرجعك أو تنزل هنا، الله الغني يا عم عن حسابك. (السواق بيكلم إبراهيم)

-خد كل الفلوس دي ليك، نزلني هنا، روح يا أسطى أنت عملت اللي عليك.

مشيت في قلب الجبل بين الصخور، حاطط ايدي على السكينة، بدور علي الكلب اللي اسمه حميد، أنا مش محتاج التاكسي، مش محتاجه يستناني، لإني بصراحة مش ناوي أرجع، أنا هموته وأموت نفسي وبكده يبقى ريحت الناس من شره وانتقمت لشرفي، بس أنا اللي غلطان، أنا اللي سمعت كلام الشيطان، أنا اللي إديته مفتاح البيت، أنا مجرم زيه بالضبط، يبقى خلاص أقتله وأقتل نفسي، هعيش ليه؟ خلصت كده، وربنا يتولى بنتي ومراتي، على الأقل هموت راجل ويبقى صلحت غلطتي. إيه ده؟ أهي العلامة؟ آه تقريبا هي دي، فيه آثار رجلين خفيفة، وشعاع نور باهت ظهر للحظة من بين الصخور، لازم المكان صح، أنا هستخبى وأهجم عليه، آخده غدر زي ما خدني غدر وغدر بمراتي، الكلب.

اتسحبت بالراحة (إبراهيم بيحكي) نمت على بطني لغاية الصخرتين واتسحبت لغاية ما وصلت لفتحة المغارة، بس مش شايف حاجة، لكن سامع صوته، آه هو صوته، هو ابن الكلب الخاين، أنا متوهش عن صوته أبدًا، أقوم بقه وأهجم جري عليه، مش هسيبه إلا جثة، حتى لوكان قتَّال قُتلى، حتى لو مخاوي إبليس نفسه، ده شرفي يا ابن الكلب. (أنا آسف للشتايم أنا نقلت لكم كلامه زي ما هو بنفس إحساسه وطريقته)

قمت، جريت زي الريح ودخلت جوه المغارة، رافع ايدي بالسكينة

جاهز عشان أغز اللي هقابله، أنا ميت ميت، فجأة لقيت المغارة نورت، وبقت واسعة كأنها قاعة كبيرة جدًا، في نصها دايرة من الحجر، جوا الدايرة جمر نار مولع بسيط، فجأة لقيت النار ولعت جامد جوا الدايرة لوحدها، ولعت وصلت للسقف، رفعت ايدي في رد فعل سريع عشان أغطي عيني ووشي من النار، ورجعت خطوتين لورا، النار كانت هتشوي وشي، غمضت بسرعة، وفتحت تاني، عينيا بتحرقني، سمعت ضحكة كأنها طالعة من تجويف الأرض، بصيت لقيت حميد واقف في ناحية، والزفر قصاده في الناحية التانية، وأنا في النص جنب النار، صوت حميد بيتردد كأنه رعد، صوت كأنه ليه ألف صدى.

-أنت جيت؟ كنا مستنينك، أخيرًا وصلت، هههه.

أنا (إبراهيم برد عليه): أنت لازم تموت يا كلب. وجريت بعزم ربنا ما اداني، ورفعت ايدي بالسكينة بكل غل وكره وضربتها في صدره، فجأة مرة واحدة ملقتهوش، كأني كنت بضرب في الهوا، لقيت الصوت جاي من ورايا: شاطر يا إبراهيم، أنا بحب الغضب والغل، حاول تاني، طلع كل غضبك. لفيت بسرعة ونطيت ناحيته برده ملقتهوش، معرفش هو بيطير زي الدخان، ولا بيختفي ويظهر، وقفت محتار، عملت نفسي إني هجري عليه، وجريت على الزفر، قبل ما أوصل له بمتر واحد، هوا شديد رماني لورا على ظهري مسافة مترين فارد دراعاتي على الأرض والسكنية اتنطرت في النار، سمعت صوت بس مش صوت حميد، ولا الزفر، ده صوت مراتي، بتتكلم مع نفسها بتقول: أنا انتهيت، حياتي انتهت، أنا اتكسرت، شرفي ضاع، جوزي ضيعني، أنا مستاهلش أربي بنتي، مستاهلش أعيش، الموت أشرف وأكرم، موتي هيريح الكل.

لفيت أدور عليها، بس هي هتيجي ازاي؟

سمعت ضحكة طالعة من حميد: شُفت مراتك بتقول ايه لنفسها دلوقتي؟ حد يسيب مراته في الحالة دي، حد يسيب أم بنته وهي في اليأس ده، ده بدل ما تقف جنبها في محنتها. فجأة شفت صورة مراتي متجسدة وهي في البيت بتتحرك ناحية المطبخ، جابت جركن الجاز والكبريت، ومشيت لغاية بنتي في الأوضة التانية، فتحت الباب وبصت عليها وقالتلها: سامحيني، أبوكِ اللي ضيعنا.

وطلعت بره الأوضة ودخلت أوضة النوم، ووقفت جنب السرير وهي بتعيط، ودلقت على نفسها الجاز ومسكت الكبريت، ولعت عود ورمته علي الأرض المتغرقة جاز وهي واقفة في النص وجلابيتها بتشر جاز، فجأة لقيت مراتي بقت كتلة نار، والأوضة والسرير مولعين.

أنا في حالة صدمة، واقع على الأرض وبعيط زي النسوان، ضحك حميد وقال لي:

وأنت كمان الدور عليك، قدامك ثلاثة أيام، من يوم وفاة عبدون، لازم الكتاب يستلمه حد منك، يستلمه ويفتحه ويحاول يستخدمه بإرادته، لازم تختاره من أصحابك، أنت اللي تختاره، تختار مين عليه الدور، فاكر صاحبك عاكف اللي بعتلك الكتاب، مولاي قدمله خدمة وقتل حماه عشان عاكف يورث، بعد ماتحقق طلبه، كان لازم يدفع الثمن ويوصل الكتاب لحد من اختياره هو، هو ده الشرط اللي مش مكتوب، لازم استخدامك للكتاب يكون بإرادتك ورغبتك، صاحبك وهو اللي اختارك، اختارك أنت يا إبراهيم، صاحبك صديق عمرك اختارك، اختارك وهو عارف إنك ممكن تكفر وتعيش خدام، تعيش عبد للشيطان زي الزفر كده، أو تواجه مصيرك

لو الكتاب موصلش للي هتختاره بعد ثلاثة أيام؛ (هدية بهدية وضحية بضحية) فاكر يا إبراهيم، هههههه. (صوت ضحكة مخيف هزت الجبل كله)

مولاي قتلك عبدون، وأنت اللي هتختار مين هيستخدم الكتاب من بعدك.

-أنت مش معقول تكون بشر. (إبراهيم بيسأل باشمئزاز)

-أنا مقبلش أكون بشر، أنا تابع العهد، باخد العهود من الإنس لمولاي الملك، أنا الوصلة ما بين الملك وما بين البشر، خدامه.

أنا بسمع كل ده وحاسس إني ميت فعلًا، شفت مراتي بتتحرق، سمعت صراخها، شفت لحمها بيتفحم بعد ما ساح ووقع من جسمها، شميت ريحته، ريحة لحمها وهو بيتشوي، وبنتي! بنتي زمانها ولعت في الشقة.

مديت ايدي ليه باستعطاف، وقولتله: ارحم بنتي، ذنبها إيه الطفلة دي؟ شخط فيا بقوة وقال لي: اخرس، دي مش بنتك، دي بقت جارية من جواري مولاي، أنت نسيت يا إبراهيم إنك حطيت ضوافرها في الطقوس، أنت كنت مفكر إن الطقوس دي عشان نخدمك أنت؟ الطقوس أصلًا عشان نختار الجواري، جواري مولاي، جواري زي اللي رقصت معاهم في الحلم، هي هتعيش لغاية ما تكبر، وبعدين هتروح لسيدي، هتعيش معاه تحت الأرض تبقى جارية، خدامة مطيعة، تسمع الأوامر وتطلع لفوق، تعيش بين البشر وتنفذ الأوامر، تسرق وتقتل وتخون، توقع بين الأخ وأخوه، تزرع الشك في قلوب الأزواج، تحلل للعشاق الحرام، مرة تلاقيها شحاتة فقيرة، ومرة تلاقيها دكتورة وزيرة، وتنزل تاني وتطلع تاني، لازم حد يعيش بينكم وهو مننا، يجند العبيد، يغري الأتباع، يحشد الجنود، حد تثقوا فيه، لغاية اليوم المنتظر.

(إبراهيم بيحكي) أنا مش مصدق نفسي، إيه الكره ده للبشر.

-روح يا إبراهيم روح لقضاك، إما عبد ذليل وإما جثة مشوهة، تلت أيام، فاهم قدامك ثلاثة أيام، وهنجيلك زيارة، الزيارة الأخيرة زي عاكف، لازم الكتاب يوصل عشان تعيش، عيش يا إبراهيم، عيش عبد أو موت كلب.

فجأة النار اتطفت، ولقيت نفسي بره المغارة، ومفيش مغارة، جريت زي المجنون ألحق بنتي، قعدت أجري ساعة في الجبل لغاية ما لقيت نور عربية وقفت قدامها، ضرب فرامل جامدة.

-أنت إيه؟ مجنون؟ حد يقف قدام عربية نقل كده؟

-الحقني، أنا واقع في عرضك، مراتي بتتحرق، بنتي هتموت. (أنا بصرخ وبعيط)

الراجل حن وخدني لغاية البيت لقيت الناس ملمومة، والمطافي واقفة، والنار كانت خلصت على كل حاجة، صرخت جريت على فوق، شدوني وكتفوني، بعد خمس ساعات بعد لما الدخانة راحت، وسط صراخ أهل مراتي، وعياط مرات اخويا وأهل الحتة، طلعت الشقة، كلها متفحمة، مفيش غير حاجتين زي ما هما، الكتاب وبنتي، كانت بنتي بتبتسم، كأنها كانت طالعة من حلم، مفيش أثر للدخان على وشها، ولا حتى بتعيط زي كل يوم.

أخويا: إيه ده؟ الله أكبر، الحمد لله، دي معجزة يا إبراهيم، البت عايشة ولا فيها حاجة، سبحان الله!

الأهالي بتردد: البت دي مبروكة، النار محرقتهاش، دي معجزة! بنتك مبروكة يا إبراهيم.

أخويا خد البنت في حضنه وإداها لمراته، وأنا شلت الكتاب في بطني تحت القميص، نزلت رحت عند أخويا بعد ما الشرطة جت تحقق.

محضر الشرطة قال محاولة انتحار نتيجة صدمة نفسية.

بسرعة دخلت قعدت أكتب المذكرات طول الليل عشان أبعتهالك، يمكن تساعد بنتي، ملحوظة أنا بعتلك أنت الكتاب، أنا مش خاين، ومش قصدي أموتك، أنا كتبتلك كل حاجة أهو عشان تكون عارف ومتستخدمهوش، بعتلك الكتاب في شركة شحن سريع، بعته في ظرف، والمذكرات في ظرف تاني، عشان لو واحد ضاع تلاقي التاني، فاكر يا محمد لما كنت بتغلط في الكلام وتقول وأنت صغير إنك ليك إخوات من الجن وإن أمهم ملكة، وأنها بتعتبرك زي ابنها وإنك نزلت معاهم تحت؟ أيامها أنا مكنتش بصدق بس دلوقتي آمنت، يبقى أنت الوحيد اللي ممكن أختاره، ممكن تقف قدام الشيطان ده، أو على الأقل ممكن تتخلص من الكتاب، وتحمي بنتي، طبعا أنت عارف إنه مبيتحرقش وإلا كان اتحرق في الشقة، فمتحاولش تحرقه، بنتي بقت أمانة بين إيديك، قصتي ومذكراتي هيجي وقت وهتحكيها للناس، ممكن ميصدقوش في البداية لكن مع الوقت هيعرفوا، لازم تعرف الناس إن الشياطين مش ساكتة وإنها بتدبر ليل ونهار، وللأسف كله بإرادتنا، إحنا اللي بندخلها حياتنا، لازم تنبه الناس، عرفهم مصيري، خليهم يبعدوا عن مجرد التفكير أو المحاولة إنهم يروحوا لساحر،ةأو يستعينوا بدجال، خليهم يعرفوا إن الكره مبيجيبش إلا الموت والخراب، دلوقتي ده دورك، قصتي وبنتي أمانة معاك، وأنا هروح لقدري، مع السلامة يا محمد.

إبراهيم بسيوني

أنا (محمد حمودة) اتصدمت من سرعة الأحداث، ازاي الأمور وصلت لكده؟ وازاي الشيطان أوهمه إنه مسيطر عليه كده؟ اللي لفت نظري كلام الشيطان نفسه وطريقته، ازاي حاول يخلي إبراهيم ييأس من رحمة ربنا، ازاي خلاه يعتقد إنه مفيش فايدة ومفيش قدامه غير التسليم لطاعة الشيطان أو الموت، ازاي أثر على زوجته وأوهمها إن الانتحار هو الحل؟

لا يا إبراهيم متستسلمش. (بكلم نفسي)

لازم أكلمه، أكيد ليه رقم تليفون متسجل على الطرد، أكيد ليه عنوان، لو حكمت أسافر له أسافر.

جبت الطرد وقريت اللي عليه، لفت نظري إن الطرد بقاله ٥ أيام طالع من البحر الأحمر، أخدت رقم التليفون من على الطرد من بره، مسكت التليفون وكلي أمل إنه يكون لجأ لربنا واتحصن بيه وإنه لسه عايش، إيدي بتترعش، دست على الأرقام، وكان الوقت متأخر قبل الفجر، التليفون مغلق، قعدت أحاول كتير، برضه مغلق، خلاص هصلي الفجر وهناملي شوية، ما أنا منمتش من إمبارح، وأول ما أصحى هتصل بيه، صليت ونمت ودعيتله في صلاة الفجر، مدعيتش لحد غيره النهاردة، لا أولادى ولا أمي ولا والدي ولا حتى نفسي، كل الدعاء لإبراهيم، إن ربنا يذهب عنه كيد الشياطين ويقويه، نمت بعد الفجر، لقيته جاي لابس لبس جميل جلابية بيضة وبيبتسم، اتقدم مني وقرب لغاية ما بقى في وشي، حط ايده اليمين على كتفي، وقال لي: متخافش عليا، أنا بقيت كويس. قلت له: ازاي؟ أنت آخر مرة كنت لابس لبس وحش وحوليك نار، وكنت تقريبا بتعبد الشيطان. ضحك وقال لي: لما بعتلك الكتاب صممت إني أتوب وربنا حس بصدق توبتي لما نصحتك، وقُلت لك متقرأش الكتاب، وإنك لازم تتخلص منه،

وقُلت حذر الناس من الشياطين، وإن حربهم حقيقة مش قصص رعب يتسلوا بيها. (بيكمل)

أنا بكيت كتير وندمت، وقعدت أذكر الله في بيت أخويا، والشيطان نفسه تأثيره ضعف مع الإخلاص في توبتي.

-يعني أنت حي؟

ضحك وقال لي: متخافش عليا، أنا بخير، أنا قلت أجيلك أطمنك، بنتي أمانة، ربنا يقدرك عليها، قصتي أنا انتهت يا محمد قصتك أنت اللي بدأت. وإداني ظهره ومشي وهو بيقرأ قول الله تعالى "إن الشيطان لكم عدوٌ فاتخذوه عدوًا"

صحيت من النوم على الساعة ٨ ونص، على الآية الكريمة "إن الشيطان لكم عدوٌ فاتخذوه عدوًا" سرحت في الآية شوية، ومسكت التليفون ورنيت عليه، شوية والرقم رد.

-السلام عليكم يا إبراهيم، أنا محمد من الإسماعيلية.

صوت يرد بجدية: أنا أخو إبراهيم، إبراهيم تعيش أنت البقاء لله.

سكت، الله يرحمك يا إبراهيم، البقاء لله.

أنا برد: ممكن أعرف مات امتى وإزاي؟

أخوه بيرد: المفترض مقولش، بس إبراهيم قبل ما يموت وصاني إن فيه حد اسمه محمد من الإسماعيلية، لو حصل لي حاجة هو الوحيد اللي تآمن له على بنتي، عشان كده هقولك؛ مات من ثلاثة أيام، مات وهو ساجد بيصلي الفجر، لاقيناه ساجد لله وايده مقبوضه وصوابعه مفرودة كأنه كان بيقول

الشهادة وهو ساجد، ولو يهمك تعرف كل التفاصيل..

أنا قاطعته: البقاء لله، اللي حبيت أعرفه عرفته خلاص، الحمدلله.

-بنته عاملة إيه؟

قال لي: علي ايدي أهي، لما سمعت صوتك عاوزة تخطف التليفون مني زي ما تكون عارفه صوتك.

-ممكن عنوانك بالكامل عشان ناوي أزوركم قريب. (أنا بسأل أخو إبراهيم)

ملاني العنوان واداني رقم تليفونه هو، وقفلت الخط.

عشت لحظات فرحان إن ربنا مَنَّ على إبراهيم بحسن الخاتمة برغم كل اللي عمله، قطع تفكيري صوت جرس الباب، فتحت نفس الراجل مندوب البريد: أستاذ محمد، طرد تاني من البحر الأحمر عشان حضرتك، ممكن البطاقة وتوقيع بالاستلام؟

انتهت.

(ملحوظة أي تشابه بين الأسماء في القصة والحقيقة هي محض الصدفة)

محمد حمودة

الجمعة ١٣ مايو السادسة والنصف صباحًا ٢٠٢٢

محبس الجن.

توقفت عن الكتابة منذ فترة، وكنت أضطر أن أجيب من يسألني عن السبب، معللًا ذلك بشدة انشغالي بالعمل، والحقيقة أنني كنت أخفي عن الناس صراعًا داخليًا، صراعًا عشته منذ بدأت حكاياتي يوم عيد ميلادي ال٤٩ .

هل سأتجرأ أن أحكي ما بدأت قصصي من أجله؟ هل سأقول الحقيقة كاملة؟

وهل سيتقبل الناس تلك الحقيقة؟ أم سيدفنون رأسهم في التراب؟

ماذا سيحدث لو أخبرتهم أن عالمهم كما يعرفونه بقوانينه وثوابته سينتهي قريبًا؟ وسيحل محله عالمًا آخر، عالم لا يصدقه عقل؟

تُرى هل سأعيش لأسرد لهم ما يجب أن يعرفوه وما ينبغي أن يفعلوه؟

وهل سأُتْرَك لأحكي؟ أم سيمنعونني كما يحاولون الآن؟

على كل حال سأكتب حتى حين .

حكاياتَ الـ٤٩
محبس الجن.

سار بخطوات خفيفة على تلك الرمال البيضاء وبين تلك الكثبان الرملية رجل أربعيني يرتدي ملابس الصيادين، معتمرًا تلك الطاقية البيضاء المستديرة يداعب وجهه ذلك التيار الهوائي القوي القادم من ناحية البحر بعد منتصف الظهيرة في منطقة ساحلية خالية من الناس إلا بعض مِن الصيادين الذين يصلحون شباك الصيد في منطقة قريبة من بلطيم الحَاليَة، كان ما شهده أهل السويس أيام العدوان الثلاثي والفترة التي بعدها سببًا في محاولته البحث عن مكان آخر للرزق، ترك أسرته وجاء في محاولة ليتكسب رزقه من خلال العمل مع صيادين البرلس أو المنزلة، إنه أبو صابر الصياد؛ ابن شيخ صيادين السويس، الرجل الذي يتحاكى الناس عن شجاعته وتقواه، يُضرَب به المثل في النجدة، كم أنقذ صيادين! وكم كفل أسرَ الذين ابتلعهم البحر!

لفت انتباه أبي صابر الصياد بريق أخاذ ناتج عن انعكاس أشعة الشمس على جزء معدني أو زجاجي لامع في الأرض قريبًا من مكانه، سار ناحية البريق، وإذا به يجد وتدًا معدنيًا لامعًا كأنه الفضة، وتدًا رأسه على شكل مثلث في حجم قبضة اليد محفورًا فيه بعض النقوش الغائرة، تتصل زوايا المثلث بهيكل معدني قوي ينساب إلى عمود مستدير ضاربًا في الأرض، حاول أبو صابر تحريكه ولكن بلا فائدة وحاول أن يحفر حوله لعله يستخرجه فيبيعه ففوجئ بصخرة قوية قد غُرس فيها هذا الوتد فتماسكا معًا فلا يخرج الوتد

من الصخرة ولا تنكسر الصخرة فيخرج منها الوتد، أرهقته محاولاته البائسة اليائسة فجلس يستريح، وقع بصره على مجموعة من الصيادين فوقف بسرعة وسار متهاديًا ناحيتهم.

-السلام عليكم.

=وعليكم السلام، يا مرحب يا مرحب بشيخ الصيادين -عبارة تُقَال للترحيب-

_اِتفضل.

-كتر خيركم، أخوكم أبو صابر الصياد من السويس، ابن شيخ صيادين السويس الحاج زكريا الله يرحمه، بدور على شيخ الصيادين هنا أستأذنه يسمح لي أسرح (أصطاد) معاه، ويبقى كتر خيره لو سمحلي أبني عشة هنا، وأجيب عيالي بعيد عن الحرب في السويس.

-يا مرحب يا مرحب، أنت فوق راسنا، والرزق على الله، والبحر واسع، اشرب شايك الأول واحنا هناخدك لغاية عنده.

أبو صابر يجلس يشرب الشاي ويحكي بأسلوب جذاب مع الصيادين، وقاموا كلهم معه وتحركوا ناحية عشة بعيدة وحدها ولما اقتربوا..

-يا شيخنا، يا شيخ موسى، يا ساتر.

فتح الشيخ موسى الباب؛ رجل في الستين لا تبدو عليه علامات الكهولة، وجهه أبيض بحمرة تتوسط جبينه علامة الصلاة، خرج مهللًا مُرَحِبًا.

-يا أهلا بالرجالة اتفضلوا.

جلسوا أمام العشة تحت ظل شجرة توت، الصيادون يبدؤون الكلام.

-أخونا الشيخ أبو صابر من السويس، ابن شيخ الصيادين، الحاج زكريا، أكيد سمعت عنه يا كبيرنا.

أدار الشيخ موسي وجهه لأبي صابر وقال له:

أنت ابن الريس زكريا الله يرحمه؟

-أيوة يا ريسنا.

قام الريس موسى سريعًا ولما شافه أبو صابر وقف احترام بس كان مستغرب.

نهض الريس موسى سريعًا وعندما رآه أبو صابر وقف احترامًا وإمارات التعجب بادية على ملامحه، الشيخ موسى فرد ذراعيه واحتضن أبا صابر، وقال:

يا أهلًا يا أهلًا، ابن الأفاضل، ابن الكرام، رحمة الله على والدك، أنا مديون له بحياتي أنقذني من الغرق أنا وأبويا لما كنا سارحين ناحية السخنة وكنا أول مرة نطلع هناك وكنا في الشتاء لما النوة رمت المركب في قلب الصخر، المركب اتفتت، واتعلقت أنا وأبويا في لوح خشب، كنا هنموت، لغاية ما لقينا مركب جاية علينا وأبوك كان يعرف المنطقة بالصخرة، نط وطلعني من البحر، الله يرحمه، عاش بطل ومات بطل.

أنت ضيفي النهاردة.

-كتر خيرك يا ريس، أنا عاوزك تديني الإذن أسرح معاكم ويبقى كتر خيرك لو أذنت لي أبني عشة لأولادي وأجيبهم من السويس ويتونسوا بيكم يا ريس.

-يا مراحب يا ريس أبو صابر، البحر مفتوح وشاور على المركب اللي عاوزها، تاخدها تسرح بيها، وتبقى أنت الريس على رجالتها، وتبني عشة جنبي هنا، المكان واسع.

-كتر خيرك يا ريسنا، مش عارف أرد جمايلك ازاي.

-جمايل إيه يا راجل أنت صاحب فضل.

-أبو صابر يكمل: بس يا ريس موسى لو تسمحلي عاوز أبني بيتي هناك ناحية الوتد الحديد.

(صمت تام يخيم علي الصيادين، نظرات غريبة بين الشيخ موسى وبعضهم)

أبو صابر يرد بقلق: خير يا جماعة فيه حاجة؟ أنا قُلت حاجة غلط؟

الشيخ موسى يرد: اشمعنا اخترت المكان ده بالذات يا أبا صابر؟

-مش عارف والله يا ريس، بس أنا كنت قاعد جنب الوتد و...

قاطعه الشيخ موسى أنت شُفته ازاي؟

أبو صابر: كان بيلمع في الشمس ولفت نظري ورُحت فكرته فضة مدفونة من زمان قُلت رزقي، حاولت أخلعه مقدرتش.

-أنت مسكته بايدك؟

-أيوة، لقيته ألمع من الفضة وأصلب من الحديد، حاولت أحفر جنبه عشان أطلعه بس يظهر تحتيه صخرة ماسك فيها.

نظر الصيادون إلى بعضهم البعض ثم إلى الشيخ موسى، نظر الشيخ موسى لأبي صابر وقال له: أنت عارف إن جدودنا قالولنا إن المكان ده مرصود

من مردة الجن، كان جدودنا بيسموا المكان ده "محبس الجن" مش عارفين ليه ومحدش شاف الوتد ده إلا شيخ الجامع وأبويا الله يرحمه، واللي شافوه مقدروش يلمسوه، ربنا يديك طولة العمر يا أبا صابر، بس لازم أقولك عشان دي أمانة؛ كل اللي شافه مات في اليوم السابع، أبويا وشيخ الجامع، فلو عليك دين الحق سده، ولو عندك أمانات لحد ردها، ووصي عيالك، وأحسن خاتمتك، أنت عارف يا أبا صابر إن الكلاب والطير والثعابين مبيقربوش من المكان ده؟ أنا مستغرب ازاي أنت رحت وقعدت ومسكت الوتد وحاولت تحفر حواليه ومحصلكش حاجة؟

أبو صابر يرد باستغراب: ما أنا كنت قاعد جنب الوتد والصيادون شايفيني.

بصوا لبعض وقالوله: اللي بيروح هناك ناحيته بيكون عليه ساتر محدش بيشوفه غير لما يبعد عن الوتد مسافة كيلو، احنا لقيناك فجأة ظهرت قدامنا.

أبو صابر يضحك ويقول لهم: يا رجالة، العمر واحد، والرب واحد، كل دي تخاريف، احنا رجالة السويس مبنخافش غير من ربنا.

ضحك المعلم موسي وقال: براحتك، يمكن طيب أبوك يقعدلك. _ وهمس لنفسه بصوت ضعيف_ أو يكون أنت المقصود.

المعلم موسى يُكلم الصيادين: يا رجالة صابر (كان الشيخ موسى يُحب تسميته صابر اختصارًا) هيسافر يجيب أهله وأنتم ابنوا له عشة على بُعد كيلو من الوتد (قصدي محبس الجن).

تنهيدة طويلة من الشيخ موسى ونظر لوجه صابر وقاله ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً.

عاد أبو صابر في اليوم التالي بسيارة تحمل قليلًا من العفش البسيط وقد وصل هو وابناه حمدي وياسر وزوجته (سيدة) استقبلهم الشيخ موسى بنفسه وولده محمود، ساعد الشيخ موسى ومحمود أبا صابر الصياد على إدخال العفش إلى العشة البسيطة المكونة من غرفتين وسقف معرش بالجريد والسبايت (بوص ناشف مربط بنسايل الجريد والحبال).

لم يحكِ له الشيخ موسي ما حدث أثناء بناء الصيادين للعشة، لم يحكِ له سقوط اثنين من الصيادين في حالة صرع وظلا يضربان رأسهما بالأرض حتى نزفت، وأخفى عنه عمدًا سماعهم لصوت يشبه زئير الأسد الغاضب، لم يخبره الريس موسى أن الصيادين خافوا، ولم يكملوا البناء كما يجب فأكمله الريس موسى بنفسه هو وابنه محمود البالغ من العمر(١٨) سنة، أخفى موسى كل ذلك حتى لا يخيف صابر الذي أحضر أسرته بالفعل وجاء منشرحًا مسرورًا.

-ألف شكر يا ريس موسى، ربنا يباركلنا فيك وفي ابنك محمود، وكتر خير إخواتنا الصيادين الجدعان، تعبناهم والله، أنتم فعلًا نِعم الأهل (صابر يخاطب موسى).

لا تعب ولا حاجة بس أنا بقولك تاني، لو تحب أبني لك جنبي قولي وممكن تبيت عندي النهاردة لو حبيت.. بيتي هو بيتك يا صابر.

صابر: ليه كل ده، أنا حبيت المكان هنا حسيت إني مستريح.

-خلاص براحتك هعدي عليك الفجر نصلي سوا في الزاوية.

دخل صابر وكان الليل بدأ يزحف على الساحل، أشعل الشواطة (لمبة مصنوعة من كوز معدني وفتيل بتولع بالجاز) وضعها في الصالة بين الغرفتين.

نام ولداه في غرفة وصابر وزوجته في غرفة أخري بعد أن صلى العشاء هو وأسرته، مر الليل الطويل، ريح قوية تدخل من الباب برغم إغلاقه تتجه ناحية الشواطة، ترتعش الشعلة، إصبعان من ظلام أسود تمسك الشعلة فتنطفئ، ظل من دخان أسود يسير يتلوى على سطح الأرض القريبة من شرفة حمدي وياسر، الغطاء يتحرك دون أن يُرفَع، يتحرك لأعلى حتى يغطي وجه الولدين، الولدان من شدة التعب لم يشعرا بحركة الغطاء، في الغرفة الثانية، جلس كائن من شعر أسود كثيف قد غطاه كله فلم يُر له ملامح، تحركت يد ذلك الشيطان فلمست جبين صابر، فتح صابر عينيه فوجد نفسه في مكان غريب؛ كهف صخري، به ممر ضيق طويل مضاء بمشاعل خافتة، سار فيه وهو يتعجب:

بسم الله الرحمن الرحيم، أنا فين؟ يا مغيث أغثني، يا مغيث أغثني.

الممر بدأ يتسع، صوت صراخ وعويل وزئير وخوار وصهيل وفحيح، أصوات متداخلة مختنقة، مكتومة تصدر من جانب الجدار الأيسر، لمس صابر الجدار بيد مرتعشة وقرب جانب وجهه من الحائط، ووضع أذنه على الجدار، صوت رجل يرتل تراتيل كأنها تسابيح، صوت به شجن وألم، فجأة توقف الصوت.

الصوت يتكلم بفرحة: مين اللي هنا؟ أنا حاسس بيك، أنت إنسي، يا إنسي اسقيني، اسقيني.

تردد أبو صابر قبل أن يرد عليه:

أنت مين؟ وأسقيك منين؟ وازاي؟ مفيش ميه ولا فيه حتة في الكهف أدخلك منها المية حتى لو لاقيتها.

رد الصوت وقال له: جاوبني، هل ظهر النبي العدنان؟

-النبي ظهر منذ ألف وأربعمائة سنة.

-إذن جاء الأوان (الصوت يرد).

اسقني يا إنسي.

صابر: مفيش ميه ومفيش فتحة.

الصوت: أنت من أتباع النبي العدنان؟ نبي آخر الزمان؟

صابر: الحمد لله.

الصوت: قُل أذكارك يا محمدي.

صابر بدأ يذكر الله ويقرأ آية الكرسي ويصلي على الرسول صلى الله عليه وسلم والحائط ينكشف وينفتح، أخيرًا ظهر سلم، درك لأسفل، نزل صابر وهو يُسَبح لربه ويصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم، صف كبير من الحفر العمودية، عبارة عن مربع متر في متر، في أعلى الحفرة معدن مغزول من نفس نوع الوتد، محفور عليه لغة غريبة قافل سطح الحفرة، وكل الحفر المتراصة جانب بعضها بشكل عمودي عمقها أكثر من عشرة أمتار، مقفول عليها كلها من بدايتها بباب واحد كبير من المعدن المربع المغزول، حدثهُ وقال له: دخلت يا صابر؟

أصاب التوتر صابرًا: أنت عرفت اسمي منين؟

الصوت: مش وقته يا صابر، اسقيني.

-فين المية؟

-فيه أبريق في ظهرك امسكه، وعد تسع حفر وكب المية في الحفرة العاشرة.

مشي صابر جوار الحفر، بص في أول حفرة، كائن ضخم بعين واحدة في وسط رأسه من فوق، عين كأنها نار، له أربعة أذرع، في كل ذراع يد بها ثلاثة أصابع وفي آخر كل إصبع مخلب حديد، يخدش الحفرة ويتعلق في الصخر حتى وصوله إلى السقف المعدني يلمسه يريد فتحه، السقف يشتعل نارًا فيصرخ بصوت كأنه صوت حمار، انتفض صابر من الخوف وابتعد عن الجدار.

الصوت قال له: قرب ومتبصش في الحفر تاني، عد كمان ثمانية وصب المية في التاسعة.

أبو صابر تسحب حتى وصل في الحفرة المطلوبة وألقى المياه فيها.

الصوت: الحمد لله رب سليمان وداود.

صابر: أنت مين؟

الصوت: أنا (تم إخفاء الاسم) من جنود نبي الله سليمان، من أشد جنوده تقدر تقول كبير القواد.

صابر: وإيه اللي عمل فيك كده؟ ومين دول؟

-دول عصاة مردة وأشدهم قوة سجنهم نبي الله سليمان، رفضوا تنفيذ أوامره وكانوا بيحرضوا قبائل الجن ضده، سلسلهم وحبسهم هنا في سجن السعير، ده اسمه.

-طب أنت عملت إيه؟ حاسس إنك مش زيهم، لا صوتك ولا كلامك.

-انا من الجن المؤمن، بس غلطت غلطة واحدة وضيعت الأمانة.

-أمانة إيه؟

-لما سيدنا سليمان طلب عرش بلقيس، عرضنا عليه نجيبه قبل ما يقوم من مجلس حكمه، بس للأسف كان فيه حد تاني مش أقوى مننا، بس كان عارف اسم الله الأعظم، هو اللي جاب العرش في لمح البصر.

قاطعه أبو صابر: بس أنا اللي أعرفه إن الوزير كان من البشر وهو اللي جاب العرش.

الصوت يرد بصوت متقطع: ده فهم البشر، والحقيقة عند رب البشر، اللي جاب العرش صاحب العلم باسم الله الأعظم مش مهم مننا ولا منكم المهم إنه قال الدعاء، ونظر للسماء وفجأة لقينا العرش، فسجد سليمان لله.

أبو صابر: طب إيه اللي عملته أنت عشان تتعذب كده؟

-الغيظ والحقد عماني، وفي يوم اتشكلت في شكل نملة وقربت من التقي صاحب العلم الموروث من لدن آدم عليه السلام، واتصنت عليه عشان أسمع بيدعي باسم الله بيقول إيه، وأعرف الاسم الأعظم، بس فجأة حس بيا وفجأة لقيت نفسي متكتف وقدام نبي الله سليمان، وصدر الحكم وأيدوه شيوخ وعشائر مجلس الجن وحكم عليّ الحكم ده، إني أفضل محبوس لآخر الزمان لغاية زمن النبي العدنان، يا صابر أنت قدمت الخير، احفظ عني كلامي؛ إذا طار الفضلان، وجاء ابن الأحمدين وصرخت في السماء الحيتان، وتناطح الكبشان، وجف النهران، واتحد الجيشان مع الجيشين، فقد جاء الأوان، ارجع يا صابر لبيتك، واقرأ عليهم ما جاء من تنزيل نبيك، وارحل عن المحبس، وقل أنت وأهل بيتك كل يوم، اللهم يا رب داود وسليمان، ورب النبي العدنان، أمني من شر محبس الجان، قوم يا صابر إلحق ولادك.

صوت صرخة شديدة أيقظت صابر، صابر يقوم من نومه وهو يردد بلا توقف (اللهم يا رب داود وسليمان ورب النبي العدنان أمني وأولادي من

شر محبس الجان)، جرى أبو صابر كالمجنون إلى غرفة ولديه، وجد الغطاء قد ضغط على وجهيهما، والتصق به فمنعهما من التنفس والولدان يحاولان نزع الغطاء بلا فائدة، أمسك أبو صابر بالغطاء وجذبه بكلتا يديه بقوة وهو يردد: ياألله يارب داود وسليمان ورب النبي العدنان احفظنا من شر الإنس والجان.

فانفك الغطاء وشهق الولدان وأخذا نفسًا عميقًا طويلًا، وتكررت أنفاسهما وتسارعت فضمهما والدهما وأسرع بهما إلى غرفته ليجد زوجته وقد ارتفعت مترًا عن الأرض وكأن يدًّا قوية قد أمسكتها من الضفيرتين وعلقتها في سقف البيت وهي تتأرجح وهي تصرخ من الألم وعيناها جاحظتان كأن أصابعَ من حديد قد التفت حول رقبتها فانتفخت أوداجها (عروق الرقبة)، وازرق وجهها، أسرع أبو صابر يجذبها للأسفل وهو يردد الدعاء بقوة ثم تلا آية الكرسي فانفكت الضفيرتان وسقطت الزوجة على الأرض، جرت الزوجة الفزعة إلي زوجها الذي وقع على الأرض معها والتف الولدان حولهما وقد أخذت الزوجة نوبة من الصراخ الهستيري وأبو صابر يضمها إلى صدره بذراع ويضم ولديه بذراع آخر وهو يردد نفس الدعاء حتى أذن الفجر، خرج أبو صابر وزوجته تحت إبطه وقد التفت بملاية سوداء قد غطت جسدها ورأسها قد سحبتها بسرعة من جانب السرير، وخرج الولدان وهما ممسكان بأبيهما أحدهما قابض على يد أبيه والآخر ممسك في كم الجلباب الواسع وقد تشبثا بيده كغريق تشبث في جزع نخلة طاف في قلب السيل الجارف، اتجه أبو صابر ناحية بيت الريس موسى الذي قابلهما وولده محمود وهما في طريقهما لصلاة الفجر في تلك الزاوية القريبة من بيت الريس موسى.

-خير يا صابر؟ طمني عملوا فيك إيه الملاعين ولاد الشياطين.

-هحكيلك كل حاجة بس دخل مراتي بيتك والأولاد.

-طبعا يا صابر.

-يا أم محمود، يا أم محمود.

-نعم يا سي موسى.

-ضيوف يا حجة.

-يا أهلًا، يا أهلًا.

دخلت الزوجة وهى ما زالت تنتفض من الفزع والألم، ودخل الولدان وذهب صابر مع الشيخ موسى للصلاة.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، السلام عليكم ورحمة الله.

لم ينتظر موسى صابر ليختم الصلاة، بل أمسكه من يده وخرج به للعراء وقد سارا معًا متجهين ناحية البحر وما زالت خيوط الليل تنسحب على استحياء.

-خير يا صابر احكيلي كل حاجة ومتخبيش عليا.

=والله يا ريس موسى مش عارف أقولك إيه ولا إيه، أحكيلك عن نزولي جوه الكهف واللي قالهولي الجني المسلم، ولا عن العذاب اللي شافته مراتي، ولا أولادي اللي كانوا هيموتوا.

رد موسى بعصبية لم يستطع إخفاءها: احكيلي عن الجني، قالك إيه؟ اللي حصل لأهل بيتك أنا متوقعه وحاولت أهمك بس أنت راسك ناشفة يا صابر.

حكى له كل شيء إلا النبوءة اللي اختصه بها الجني -شعر صابر أنها أمر

خاص وخطير وربنا اختصه بها هو لسبب فكتمها عن الشيخ موسى- بعد ما حكى صابر عن مقابر التعذيب والسجناء من الشياطين المسلسلة الذي رأى بعضهم وأغمض عينيه عشان حتى لا يرى البقية من خوفه منهم.

رد الريس موسى وقال: يبقى اللي قالوه جدودنا صحيح المكان ده ميتعاش فيه بعد النهاردة، يا صابر النهاردة نروح بيتك نجيب عفشك أنا والصيادين وهنبنيلك جنبي في الأمان، والحمد لله إنك وأسرتك بخير يا صابر، ربنا نجاك، ليك نصيب تحضر الفرح، بعد بكره عقبال أولادك كتب كتاب محمود ابني.

-ألف مبروك ياريس موسى، ربنا يحفظهولك يارب ويتمم على خير.

-والله يا صابر مخبيش عليك، أنا خايف عليه من اللي عملته لما أبويا مات بسبب الوتد اللي شافه.

-عملت إيه يا شيخ موسى طمني؟

-لما أبويا مات في اليوم السابع لرؤية الوتد وكان قبلها شيخ الجامع مات بعد ما شاف الوتد، خدني الغضب والحزن وجمعت الصيادين ورحنا ناحية الوتد وزرعنا صوابع ديناميت كنا لقيناها في عربية عساكر إنجليز كان الفدائيون قتلوا اللي فيها من زمن، حطينا الديناميت في الأرض، من جهلي فكرت إن الوتد هيتنسف أو هيتجزأ من الانفجار، إنما العجيب إن الديناميت كان ضعيف جدًا ومأثرش في الأرض، ده غير إن فيه صياد راسه انفصلت عن جسمه ومات في الحال، وسمعنا صوت زي الرعد بينادي ويقول: أنت تجرأت على محبس الجان، سجن النبي سليمان، لا عذر لغضبان، وسيُنزع منك ومن ولدك الأمان.

ومن ساعتها وأنا قلقان على محمود.

صابر يرد: إن شاء الله خير وربنا يحفظ لك محمود.

بنى الريس موسى لصابر بيتًا بالبوص والجريد بسرعة، وذهب موسي وصابر لنقل العفش من بيت صابر في محبس الجان لبيته الجديد، وقبل ما يقربوا من البيت بحوالي مائة متر الِصخرة التي يقع فوقها البيت انشقت من تحت البيت وبلعت البيت كله وأُغلِقت الصخرة، جرى صابر وموسى للخلف وخافا أن تبتلعهم الأرض وعادا والفزع يملأهما وحكى كل شيء للصيادين، حمدوا الله على النجاة وأن الأرض لم تبتلعهم وهما في البيت، مرت الساعات، وتحول بيت الريس موسى لفرح وهنا، الكل يُبارك ويهني، دعا موسى صابر أن يذهب معه إلى المنزلة يكتبوا كتاب محمود على عروسته بنت شيخ الجامع الشيخ المتولي، وصل الصيادون والشيخ موسى وابنه محمود وأبو صابر للمنزلة، وتجمع أهل المنزلة للترحيب بالضيوف، حضر المأذون ليكتب الكتاب ويجمع الأحباب، كان وكيل العروسة أبوها الشيخ المتولي والشاهدان الشيخ فضل والشيخ فاضل المعروفين بالزهد والورع والدعاء المقبول. جلسوا جميعًا في بيت إمام الجامع الشيخ المتولي الذي أصر أن يجعل فضل وفاضل شهودًا، المأذون نادى: فين الفضلان؟

صابر في نفسه: الفضلان، الفضلان، أيوة، الجني قال كده (إذا طار الفضلان)

نظر صابر للشيخ فضل وفاضل، ورأى ملامحهما والنور الساطع وجههما، ترى عليهما الصلاح والزهد. بعد كتب الكتاب والناس مشغولون بالفرح والهنا، اقترب صابر من الشيخ فضل وأخيه فاضل وسلم عليهما وطلب يكلمهما في أمر خاص. خرجوا الثلاثة، وتمشوا بين الشجر والزرع وفي يد

فضل حفيدته فاطمة الطفلة الصغيرة بنت توحيد التي لم يكن يتركها من يده.

فاضل يُكلم صابر ويقول له: خير يا ريس صابر؟

-خير إن شاء الله، أنا كنت ساكن في مكان اسمه محبس الجان. لم يكمل كلامه حتى نظرا لبعضهم بقوة وظهر عليهما الاهتمام، وقالا لفاطمة بنت توحيد: روحي أنتِ يا فاطمة روحي لأمك وقوليلها تحضر لقمة معانا ضيف.

-كمل يا ريس صابر، خير؟

=وحلمت حلم وأنا نايم على صخرة المحبس.. وحكى الحلم كله من أول الوتد حتى نبوءة الجني، وقال لهم على النبوءة وما حدث بعدها وخسف الأرض بالدار والدعاء الذي قاله الجن، سكتا ونظرا لبعضهما، وقالا له: أنت ابن مين؟ لما ذكر أبوه ترحموا عليه وقالا له: أنت ابن الرجل الطاهر كافل اليتامى، ومن نسل النبي الطاهر، وكان أبوك كثير الذكر عشان كده ربنا حفظك بفضل دعائه لك، اسمع يا صابر، هتبيت معانا النهاردة وتسهر معانا في حلقة الذكر ونصلي القيام سوا وبعد الفجر هنقولك على كل حاجة، بس بعد ما نستشير أحبابنا، أحباب الذكر، لأن الموضوع مش يخصنا إحنا البشر لوحدنا، لأ إنما يخص إخواتنا من الصالحين من الجن المسلم، خروج الجان من المحبس معناه صدام العالمين، حرب شرسة ما بين كل المؤمنين من الإنس والجان وما بين المردة والشياطين وقائدهم الدجال، حرب ينكشف فيها الستار ويتشاف فيها الأهوال، وويل للعرب من شر قد اقترب، يا صابر إن غدًا لناظره قريب، احضر الفرح، وخلي الشيخ موسى يسافر لوحده وأنت هتبيت معانا، اللي سمع النبوءة أصبح جزءًا منها، والأصل الطيب ثمرته طيبة. بص فضل لفاضل وشاور على صابر وقال له (وَكَانَ أَبُوهُمَا

صَالِحًا).

الشيخ موسى خد عروسة ابنه محمود ورجع الساحل وأنا استأذنت منه إني هبات في ضيافة الشيخ فضل والشيخ فاضل، الوقت جري بسرعة، كلامهم جميل قعدتهم ميتشبعش منها، صلينا العشا وتوحيد حضرت لنا العشا، بنتها الصغيرة اليتيمة بتلعب حوالينا، شالها الشيخ فاضل وحطها على حجره وهو بياكل، وكان بيأكلها في بقها بإيده، كنت شايفه بيلعبها كأنه طفل صغير لدرجة إنه كان ساعات بينسى إن إحنا قاعدين، فكان فضل يبصلي ويقولي (أم أحمد) دي أغلى من نور عنينا (أعز من الولد ولد الولد).

بعد الأكل والشاي بدأت صلاة القيام والصلاة على النبي والتسابيح، كانوا بيسبحوا بإخلاص لدرجة إني بحس الأرض بتتهز من تحتنا. (أبو صابر يحكي) على الساعة الواحدة والنصف جلسوا باهتمام، كنا نصف دائرة، أنا في المنتصف والشيخ فاضل على يميني والشيخ فضل على شمالي، نور الشواطة ازداد وأصبح أبيضًا دون دخان، أرى أمامي خيالات لثلاثة رجال في أيديهم سبح منورة والسكون والسكينة حلت المكان، حتى صوت صراصير الليل ونباح الكلاب توقف، سمعت صوت قوي رزين هادئ يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، السلام عليكم بني البشر.

رد فضل وفاضل: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، السلام عليكم أيها المكرمون.

أنا رديت بعد فترة، كنت حسيت بجسمي تقل، ثم شوية شوية، بدأت أهدى وآخد نفسي.

السلام على الضيف الكريم ابن كافل اليتيم.

فضل وفاضل بصولي عشان يفهموني إن السلام ده ليا ولازم أرد السلام، أنا برد بتلعثم وخوف: وعليكم السلام أيها المكرمون.

فاضل بدأ الكلام وقال: أخونا صابر وجد محبس الجان.

رد صوت قوي وهادئ: هو المختار لحمل الثقال، أمانة بين يديه، حي وميت لغاية ما ييجي الوعد الموعود، ويستلم الأمانة صاحبها، ياخدها من قلب الموت.

فضل: وضحلنا جزاكم الله خيرًا عن بني جنسنا.

الصوت: فضل وفاضل أنتم هتروحوا معاه، وإحنا هنكون حواليكم، بنحميكم من عيون السحرة والجان اللي بتبحث من زمن عن المكان، الوتد هو مفتاح المحبس، والمفتاح مطلسم، ومحمى بقوة اسم الله الأعظم، ميقدرش يلمسه جن ولا يقرب له جن، الموعود من البشر هو اللي يشوفه والقليل اللي يعيش بعد ما يشوفه، الجن اللي كلمك يا صابر نصحك لله، وساعدك بتعليمك طريقة استحفاظ ربك ليك ولبيتك، هتلمس وسط المثلث من الدايرة وتقول نفس الدعاء هتلاقي زوايا المثلث امتدت بقت ثلاثة قضبان من نفس المعدن فضل يمسك الأول ثم أنت ثم فاضل، اقبضوا جامد بإيديكم اليمين، ودوروا نفس دورانكم حول الكعبة سبعة أشواط، وأنتم في الدوران غمضوا عينيكم متفتحوهاش غير لما تسمعوا صوت كأنه الرعد بيسبح بجلال الله، ويقول سبحان مَن كتب القدر وأمكن من الوتدِ البشرُ، ساعتها تسبحوا وأنتم في مكانكم لغاية ما تسمعوا، صوت بيتلو "إلاَّ عباد الله المخلصين أولئك لهم رزق معلوم"، افتحوا عينيكم هتلاقوا الوتد طلع من الأرض والمحبس أغلق للوقت المعلوم، تاخد يا صابر المفتاح وتبعد عن بيت الريس موسى مسافة يوم مشي على رجلك، ثم تبني بيت وتقعد

عيالك فيه، والمفتاح اخفيه، وبكسوة الكعبة غطيه، ولما يجين الأجل وصي أولادك إنه يدفن في كفنك ملامس جسمك والكفن عليك وعليه، يا صابر المفتاح أمانة، وبعد موتك صوتك علامة، قبرك هيتوه وسط القبور، ووقت حلول الوقت، الأموات هيدلوا الأحياء على المكان، ومن يومها هيبقى معاه عهد الأمان.

أبو صابر يتكلم دون إذن: مش ممكن حد يسرقه ويفتح المحبس؟

فضل وفاضل بصوله بلوم لأنه تحدث والكلام موصول، وقاطع أمير الكرام دون عذر مقبول.

نطق الصوت وقال: صابر بالحق نطق، خوفه على الأمانة أنطقه، اعلم أن الوتد لا يستطيع إنسان أو جان أن يستخدمه إلا لو معاه الكتاب، كتاب مسطور منذ القدم، مقفول مثل الصخرة المصمتة، مطلسم بسحر بابل، لغته لا يعرفها إلا الجن ولا يعرف نطقها الجن، لغة الحركات بلا أصوات ولغة الأصوات بلا حركات، لا يقوى ساحر مهما أوتي من علم على فتحه، كتاب كأنه الصخرة المصمتة لا يقطعها إلا سيف الحق، كتاب لا يفتح باليمين (اليمين بحثت عنها وجدت من معانيها القوة)، كتاب يفتح المحبسين؛ محبس البر ومحبس البحر. يا صابر احمل أمانتك، وهيساعدك إخوانك فضل وفاضل، ونحن دائمًا حولك حاضرون، حتى بعد انتهاء الأجل لقبرك حافظون حتى يجين الحين.

فجأة صابر نظر فوجد شيخًا بلحية بيضاء طويل القامة بطول ثلاثة من البشر، جسد ممشوق ووجه أبيض ينبثق منه النور يمسك في يده سبحة من عقيق أخضر، ثم سلم وانصرف وكذلك انصرف المكرمون جميعًا، ومكان جلوسهم قطعة من قطيفة الكعبة. نظر صابر لفضل وفاضل، وذهبوا ليؤذن

فضل لصلاة الفجر، ويؤم فاضل المصلين وبعد الصلاة، ناموا قليلًا ثم قرروا السفر لحمل الأمانة وإخفاء الوتد، سافر صابر ومعه الشيخ فضل وفاضل والشيخ المتولي شيخ كتاب المنزلة وإمام الجامع إلى الساحل بالقرب من بلطيم، نزل الشيخ المتولي ضيفًا على نسيبه الشيخ موسى الصياد ليزور ابنته يوم الصباحية وقد سبقه أهله ولكنه فضل السفر مع الفضلين (فضل وفاضل) وصابر.

اتجه الثلاثة فضل وفاضل وصابر إلى المحبس واتجه المتولي إلى نسيبه الشيخ موسى، وأشار صابر إلي الوتد فانطلق الثلاثة إليه، وضع صابر يده في منتصف الوتد ثم قال ما تعلمه من الجن المكرمين، كان صابر يرى من بعيد غلالة (ستارة رقيقة) من دخان أبيض كأنه قطع السحاب تدور حول المكان كأنها تستره أو تخفيه، نفذ الثلاثة ما تعلموه تمامًا حتى خرج الوتد كأنه صولجان فضي لامع، كان فضل قد أحضر معه قطعة القطيفة التي تركها الجن بالأمس كانت كأنها نجاد سيف (جراب بالعامية) قد خيطت بدقة متناهية يفوح منها مسك الكعبة قد قطعت من كسوة الكعبة التي مر عليها سنة فغيرها أهل البيت الحرام، كانت تشع بأنوار الجلال، زادتها الطاعات نورًا على نور وعند وضع الوتد بداخلها ازدادت نورًا وبهاءً فقد كان الاسم الأعظم منقوشًا عليها بطريقة لا يراها أحد، انغلقت وحدها لتحوي بداخلها أثمن وأخطر ما حوته الأرض، فأخفت ملامح الوتد الفضي، المفتاح الذي لا يقدر على حمله جني، تحوطه عناية خاصة ولو حاول أي جني واخترق لاحترق. حمل أبو صابر الوتد وسار لمدة يوم كامل على قدمه تحوطه هذه الغلالة من فوقه ومن حوله فسترته عن أعين الرقباء، حتى وصل لمكان يعرف الآن ببركة غليون، استقر صابر في هذا المكان ومن شدة تعبه، غلبه النعاس فنام وقد ستره الليل، كانت المنطقة التي نام فيها منطقة صحراوية

تقع على مسافة من البحر والبحيرات، قاربت الساعة علي الواحدة والنصف ليلًا، وهو مستغرق في النوم، نوم هادئ مريح، استيقظ على يد تهزه بهدوء ففتح عينيه فلم يجد أحدًا ولكنه وجد بيتًا ريفيًا بسيطًا قد تم بناؤه، وسمع صوتًا يعرفه، قد سمعه بالأمس في منزل الفضلين يقول: ده بيتك يا صابر، بكرة تروح تجيب أولادك وزوجتك وهتلاقي مركب قريبة من البحر، حجمها أكبر من أي مركب وفيها الشبك مغزول، امسك مقدمتها واسحبها ناحية البحر وأنت بتقول بسم الله رب داوود وسليمان، ورب النبي العدنان، يا مجري السحاب، ومنزل الكتاب، ومسبب الأسباب، بسم الله مجراها، هتتحرك معاك لغاية البحر اركب فيها وارم الشبك، وأكثر من الصلاة على النبي العدنان، واحفر في وسط بيتك حفرة، وَسمِّ الله وادفن الوتد فيها واحنا للبيت حارسون، صلِّ الفجر واتجه لبيتك وأولادك، ومع الرحيل اهدِ بيتك القديم لمحمود العريس، وارجع قبل النهار ما يزول.

ذهب فضل وفاضل لتهنئة ابنة الشيخ المتولي يوم الصباحية مع الشيخ المتولي، صوت الزغاريد والصواني عليها ما لذ وطاب، يخرج العريس في جلباب أبيض وهو يرحب بالضيوف وأبوه يقف في صحن الدار يقوم على خدمة ضيوفه بنفسه ومعه بعض الصيادين، يفترشون الأرض وتتوزع الطبالي هنا وهناك يجلس إليها الضيوف، تمتد الأيادي إلى الطعام وتعلو الألسنة بالتسمية، وترتفع الأصوات بالدعاء والحمد والثناء، فاضل لا يتكلم، ينظر هو وفضل إلى مكان محدد في زاوية الدار وقد رفعا إصبعهما السبابة وضما قبضتهما اليمنى، ويشيران بصمت وحذر إلى ركن معين في المنزل ويتمتمان دون أن يلحظهما أحد، توجه إليهما الشيخ المتولي بنظره فوجدهما على هذه الحالة، فسكت ونظر لنفس الناحية وبدأ يقرأ آية الكرسي وقد انشغل المدعون بالطعام فلم يروا هذا الموقف الغريب، انتهت الوليمة

وتصنع الثلاثة الابتسامة، حتى خلوا بأنفسهم، الشيخ المتولي يتوجه لفضل بالحديث:

خير يا شيخ فضل؟ إيه اللي شفتوه؟ طمنوني.

نظر فضل لفاضل وتكلم: قضاء الله وقدره يا شيخ متولي.

-أيوه قصدكم ايه؟

-العريس مرصود، مجموعة من أشد المردة تتابعه وهو يتحرك، كأنها تتحين فرصة للانقضاض عليه.

-يا شيخ متولي لازم تنصح بنتك وجوزها بالاستوداع، تستودع الله نفسها وزوجها، فلا خاب من استودع الله نفسه وولده صباحًا مساءً.

الشيخ المتولي: ادعوَا لهما.

فضل وفاضل: صرف الله عنهما الشر وحفظهما من الضر.

ركب الثلاثة وسافروا إلى المنزلة بعدما عاد صابر وأخبرهما بما كان، الشيخ موسي يتوجه لصابر الذي جاء متأخرًا: برضه كده يا صابر تسيبني في يوم فرح ابني؟

ضحك صابر وقال له: كنت ببني البيت الجديد عشان أقدم البيت ده هدية لمحمود.

-بيتك الجديد؟ أنت ناوي تسيبنا ولا إيه؟

-الأصحاب مبيسيبوش بعض أبدًا يا ريس موسى، بس أنا هنقل بعيد شويه أنا وأولادي، وبيتي القديم هدية محمود وعروسته، أنت كنت كريم معايا يا شيخ موسى ودي أقل هدية أقدمهالك، أنا هقابلك في البحر وإحنا

بنصطاد، ربنا كرمني بمركب وبيت وهبدأ بكرة الصيد، ادعيلي.

الشيخ موسى: يعز علينا فراقك يا ابن الاصول بس هستناك كل يوم جمعة هتتغدى معايا أنت وأهلك، ده وعد يا صابر

-ده شرف ليا يا شيخ موسى.

-أستودعك الله.

***

مضت الأيام سريعًا، ودوام الحال من المحال، تُوفي الشيخ موسى وتوفي فضل وفاضل وطار بهما النعش أمام أعين أهل المنزلة، ومات الشيخ المتولي، ودفن جوار فضل وفاضل، أصبح صابر هو شيخ الصيادين والمركب والشبكة كانت فتحة خير عليه الرزق وفير، والسمك كأنه يبحث عن الشبكة لا يوجد طرحة غزل (شبك) إلا والسمك يملؤها، اشترى صابر مراكب عديدة ولكن بقيت مركبه الأصلية هي سر الخير، سماها الصيادون (المرزوقة)، كان صابر كل جمعة يأخذ زيارة كبيرة، خير وفير، ويذهب إلى محمود وزوجته، كان محمود يعتبر صابر أباه الثاني، وكان صابر يعتبر بنت الشيخ المتولي ابنته ومحمود ابنه، وهو المسئول عنهما حتى أتى اليوم المشئوم، صابر نائم ويرى في منامه نفس الجن المؤمن الذي كلمه في المحبس ويقول له: يا صابر الحق محمود، المردة لبسوه، وعن الأذكار شغلوه وبايده في المهالك رموه.

قفز صابر من نومه فزعًا ولبس بسرعة وجرى لعله يصل لبيت محمود قبل فوات الأوان.

شغلت الدنيا محمود، ونسى في يوم من الأيام أذكاره، وعند نومه شعر

محمود بحركة خارج البيت، خرج لم يجد أحدًا، عاد ثانيةً لينام، شعر بنفس الحركة، خرج للمرة الثانية لم يجد أحدًا، وضع السكين أسفل وسادته تحسبًا أن يكون لصًّا، ولما اختفى الصوت، نام وجواره زوجته وابنه الوحيد، حلم أن هناك وحش يطارده على شكل أسد، يهجم عليه ومخالبه تقطع جسده، فجأة وهو (محمود) يجري منه ويحاول الهرب، وجد سيفًا أمسكه وضرب به الأسد بقوة، مرة.. مرتين.. عدة طعنات، ونزل بالسيف على الأسد، قطعه إلى أشلاء.

استيقظ محمود قبل الفجر يتقلب، لم يصدق ما رآه؛ دم في كل مكان، زوجته وولده مقطعين إلى أجزاء، الأشلاء في كل الغرفة والدم يغطي السرير، وفي يده السكينة، محمود في ذهول، خبط عنيف على الباب، الباب يُكسر، الشيخ صابر يدخل بسرعة يريد أن يلحق المصيبة قبل وقوعها، يرى المأساة، يكبر في وجه محمود، محمود يفوق يجد نفسه قتل أحب الناس إليه، الشيخ صابر يجثو على ركبتيه باكيًا:

-يا ألله يا رحيم، ارحمنا برحمتك.

محمود ينظر لصابر ويقول له: مش أنا، أنا معملتش حاجة.

الشيخ صابر يرد: سيطروا عليك يا محمود وصورولك إنه حلم، لغاية ما قتلت أحب الناس ليك، أنا محفظك الأذكار وقولتلك إنهم مش هيسيبوا تارهم، من ساعة ما أبوك فجر دارهم.

محمود في حالة ذهول، الجسم جسم محمود بس مش هو الموجود، يسحب السكينة بسرعة ويقطع شريانه في وسط ذهول صابر، جرى أبو صابر عليه وهزه بسرعة، وكرر الدعاء اللهم رب داود وسليمان ورب النبي العدنان أجرنا من شر مردة الجان.

فاق محمود وانتبه، نافورة من الدماء تخرج من الشريان نظر للسماء ونطق الشهادة مات، صابر يبكي من شدة المصيبة ويردد: اللهم أجرني في مصيبتي، اللهم أجرني في مصيبتي.

دُفنت الزوجة وطفلها الصغير في مقابر عائلة أبي صابر الصياد، وكانت أول من يُدفن هناك.

مرت الأيام ثقيلة والحزن يخيم على صدر صابر فقد كان يعتبرها ابنته بعد أن وصاه عليها أبوها والشيخ فضل وفاضل.

كانت وصية صابر لولديه أن تُدفن معه داخل كفنه قطعة القطيفة التي لم يعرف ولداه أهميتها أو ماهيتها وألا يدفن أحد آخر معه بعد وفاته، وأن ينتقل ولداه وأسرتهما من هذا المكان، وأن يُترك المكان بلا معالم، مجرد كثبان من الرمال تتوه بين التلال، كثبان تحمل السر الأعظم والحمل الأثقل، تنتظر مَن يحمل أمانتها، وانطلقت الشائعات مع مرور الأيام عن وجود عفريتة تخرج ليلًا تجوب الأنحاء تخيف من يقترب من هذا المكان، مكان لا يسكنه الحيوان، ويبتعد عنه الطير، حتى يحين الأوان، أوان فتح محبس الجان.

تمت (إلى حين)

محمد حمودة.

الخميس ٧ /٧/ ٢٠٢٢ الساعة الخامسة صباحًا..

الجِن

ضباب كثيف يملأ الشارع، شخص من بعيد يشق الضباب الأبيض، وجه بشوش تظهر عليه ملامح السكينة والرضا، يقترب ويخترق الضباب، وجهه منير تتجمع بعض قطرات الماء على شعره، ينظر لي ويبتسم ويقول: إزيك يا حمودة؟ عامل إيه؟

الصوت ده أنا عارفه، بصيت عليه كويس، بسم الله ما شاء الله! إبراهيم؟ معقول أنت! أنت إبراهيم بسيوني! طمني عليك؟

-الحمد لله يا حمودة أنا بخير، بس أنا جايلك عشان الأمانة.

-قصدك إيه؟ أمانة إيه يا إبراهيم؟

-بنتي يا حمودة، أنت نسيت إنها أمانة معاك؟

-مالها بنتك؟ أنا عارف إنها بخير وبطمن عليها من أخيك.

-بنتي مخطوفة، متسيطر عليها، بنتي عايشة في عالم تاني، الشيطان خطفها يا حمودة، رجعها وربنا معاك.

-شيطان إيه يا إبراهيم؟

-حمودة مفيش وقت الفجر هيأذن، قوم صلي وأنت هتفهم.

جرس المنبه يرن، النغمة صحتني مخضوض.

أنا باخد نفسي وبقول بصوت متقطع: الحمد لله الذي أحيانا بعد أن أماتنا

وإليه النشور.

قعدت على السرير لحظات نفسي عالي بقول لنفسي: خير يا إبراهيم، ربنا يستر، قلقتني يا إبراهيم.

اتوضيت ونزلت المسجد وصليت ورجعت، وقعدت أصلي على النبي وبعد شوية غلبني النوم، شوفت اللي كنت خايف منه.

شفت كائن ضخم شبه الإنسان في الشكل بس عملاق، جسمه كله مغطى بالشعر الأسود، ودانه كأنها ودن حمار، قدم ضخم مشقوق من قدام لنصفين النصف الأول صباع ضخم طويل في آخره مخلب، والجزء الأخر مقسوم لثلاث صوابع نفس الحجم والطول، في نهاية كل صباع مخلب زي الصقر بس أضخم خمس مرات،

ساق ضخمة العروق بارزة من وسط الشعر الكثيف، بطن كبيرة مدورة كأنه بالع راجل كامل، صدر عريض شديد السواد، كتفين ضخمين، كل كتف بينتهي بعظمة بارزة لأعلى كأنها هرم صغير، بس الكتف اليمين فيه أثر قطع كبير من ضربة قوية، ذراعين مفتولين كل ذراع بينتهي بكف ضخم خارج من الكف أربع صوابع، كل صباع بينتهي بمخلب حاد معقوف، وجه مستطيل، العين مشقوقة بالطول، الفك الأعلى بارز عن الفك السفلي، مناخير مفلطحة زي الغوريلا، الرقبة صغيرة جدًا كأن الرقبة متصلة بالكتف مباشرة، ذيل غليظ عظمي مغطى بجلد ينتهي بسن حاد زي إبرة العقرب عين سودة، ساعات بتقلب أحمر، يتغير لونها حسب الغضب أو الهدوء -ده وصف مخلوق الحن بالحاء وليس الجيم وهو مخلوق كان يعيش قبل الجن.- كان ماسك في إيده بنت صغيرة، وشايلها من الرقبة من ورا، وماسك في الإيد التانية جزء من الكتاب، هز جزء الكتاب في إيده، وهز البنت جامد في

الإيد التانية، أصدر صوتًا كأنه فحيح -صوت الأفعى- كان الفحيح بيتقطع ويتصل ويعلى ويوطى، وكان ديله بيتحرك حركة دائرية مع صوته، لغاية ما خلص.

قمت من النوم مفزوع واستعذت بالله من الشيطان الرجيم، قمت زي التايه مش عارف أعمل إيه، اللي كنت خايف منه حصل، واللي حاولت تحذرني منه روح بيتحقق، الحقيقة إن الأخت روح كانت سألتني سؤال؛ بس أنا ما جوبتلهاش السؤال كامل، جاوبتلها اللي ينفعها بس ويبعد الضرر عنها، سألتني؛ هل ممكن الروح في حالة الجسم الأثيري وانتقاله من عالم لعالم ممكن تتأسر والجسد يفضل موجود في دنيا الناس؟

تقصد موجود شكلًا بس، إنما إحساسه ووجوده الحقيقي في عالم تاني.

أنا جاوبتلها إنه مش ممكن، جاوبتلها كده عشان هي كانت خايفة لا يكون حصل معاها كده، فكان لازم أطمنها، عشان ما تقلقش وما تسيطرش عليها فكرة إن ممكن حد يأسرها روحيًا وتبق عايشة بالجسد بس، الحقيقة إن ده ممكن؛ بس ما بيحصلش مع حد عادي، لازم يكون مأسور لهدف، لازم يكون تم الترصد ليه، وفيه سيطرة عليه بسحر شديد، وده اللي حصل مع بنت إبراهيم بسيوني، كانت رهينة لحد ما الكتاب يرجع ليهم تاني، فهمت من إشارات الجن وفحيحه وغضبه إنه بيطلب بقية الكتاب نظير حياة البنت، بيحاول يساومني عليها، وخاصة إن البنت دخل جزء من جسمها في طقوس استرضاء الشيطان اللي كان إبراهيم الله يرحمه عملها قبل موته وموت زوجته، الحقيقة أنا كنت فكرت الجن مات لما ضربته وهو في الأرض، بس يظهر إن السيف أصاب كتفه بس، إيه العمل؟ لازم أسافر الغردقة وأشوف بنت إبراهيم الأول.

زي ما توقعت، الساعة عشرة الصبح أخو إبراهيم اتصل عليَّ: أستاذ محمد، الحقني .

-خير، إهدى وأحكيلي إيه اللي حصل؟

-البنت، نايمة مش عاوزة تصحى، جبنالها الدكتور حولها للمستشفى، حالة غيبوبة كاملة مش عارفين السبب، كل الأجهزة شغالة، بس هي في غيبوبة، الحقني ربنا يخليك، لو في حاجة أنت عارفها قولهالي، لو فيه علاج قوللي أجيبه، إبراهيم قبل ما يموت قالّي لو حصل حاجة لبنتي أتصل عليك.

سكتت وقولتله: أنا هأجيلك، كلنا على الله.

قولت لأسرتي إني مسافر ضروري يومين وراجع، وخدت إجازة من المدرسة يومين، وسافرت بالعربية، وصلت رست الزعفرانة، وركنت العربية، ودخلت قلت أشرب كوباية قهوة تفوقني، المسافة طويلة، دخلت أغسل وشي وإيدي قبل ما آخد القهوة،

فتحت الماية، ومسكت الصابونة ولسة برغي الصابونة وبلفها في إيدي وبرفع عيني وببص في المراية لقيته هو، هو حميد، أيوة هو حميد زي ما وصفه إبراهيم بالضبط -خادم الشيطان.-

كان بيبصلي وبيضحك، ضحكة سخرية، ضحكة بيقوللي فيها آديك جيت وهتجيب الكتاب غصب عنك، ويمكن كان قاصده إنه مراقبني ومعايا خطوة بخطوة، مش عارف، أنا مش مستريح، حاجة من جويا بتقوللي في حاجة غلط، كملت غسيل وشي وهو واقف ورايا في المراية أنا بس اللي شايفه، الناس بتتحرك وبتعدي وبتمر من خلاله ومش شايفاه، مكنش ينفع أقرأ آية الكرسي وأنا في الحمام، بيستغل ده وميظهرش غير هناك، بس على

العموم ملحوقة، طلعت ركبت العربية، وأخدت طريقي للغردقة، طبعًا أنا عمري ما هنولهم الكتاب حتى لو موتوني، وهما مش قادرين يجيبوه لوحدهم أنا خفيته بستار من الآيات اللي تخليه مخفي عن عينيهم.

الشيطان بيستغل الحن عشان يفتح الكتاب، بيحاول يقرب معركة الدجال -معركة الجيوش الأربعة.- كانت روح بتحذرني دايمًا إن المعركة دي ما ينفعش يكون فيها حد قلبه مش سليم، حكتلي وقالتلي: إنها شافت قائد جيش مصر، قطع رقبة واحد كان بيتظاهر إنه عاوز ينضم للجيش ولما سألوه ليه قطعت رقبته؟ قاللهم: كان هيكون سبب في هزيمتنا لو انضم للجيش ثم قرأ قوله تعالى: (إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) لازم اللي يحارب الدجال ويبقى مع جيوش المَهدي يكون قلَبه عمرانً بالإيمان، خال من الشرك والشك، قلبه مليان بالله، الله بس مش الدنيا، الحرب دي، قصدي حرب الجيوش الأربعة، أربع جيوش من أربع أقطار عربية هتتحد عشان تحارب الدجال وأعوانه، هتتحد تحت قيادة المهدي، وهينزل المسيح في آخر زمن الحرب لقتل الدجال.

حرب قلوب مش مجرد أجساد، يبقى المعركة ملهاش علاقة بالقوانين المادية، دي معركة من نوع خاص.

كنت سرحان في كل ده وأنا سايق، الطريق طويل، شاقق الجبال، طريق مقطوع، الجبال على يميني والبحر على شمالي محدش بيقف لحد.

فجأة العربية بدأت سرعتها تقل لوحدها، كأن فيه حاجة ماسكة العربية، العربية بتقطع، بتنتش، العربية بطلت، ركنت على جنب وشغلت الانتظار، نزلت أشوف العربية، فتحت الباب ونزلت وأنا مستغرب أول مرة العربية تعملها معايا وأنا في حتة مقطوعة كده وللأسف لوحدي، نزلت فتيار

من الهواء الساخن المندفع من الجبل ناحية البحر بيزقني، قاومته كأني في عواصف أمشير، بقيت أحرك رجلي بالعافية لغاية ما وصلت جنب العربية الناحية التانية، كنت خائف الهوا وشدته يزقني قدام عربية بالغلط، وقفت يمين العربية ساند على الباب اللي قدام، وقلت لنفسي أبص على العربية من تحت، مش عارف ليه اشمعنى من تحت، مسكت في أوكرة الباب ونزلت بركبتي اليمين ثم ركبتي الشمال ومديت إيدي الاثنين وسندت كفي على الأرض ووطيت رأسي ودورت خدي ناحية الشمال وبصيت، قلت يمكن حاجة لفت على الفردة ولا ممكن بلي الفردة، بصيت تحتها، ويا ريتني ما بصيت، عيني وقعت على رجلين، أيوة رجلين، رجلين واقفة جنب العربية الجنب التاني، لأ مش رجلين بني آدم، رجلين زي حافر الجاموسة الخلفي بس حجمها أكبر مرتين، بصراحة شعر رأسي وقف لوحده من منظرها، كانت رجلين سودا قوي والمسافة ما بين الرجلين كبيرة، كأن الكائن ده ضخم قوي، بصراحة أنا كنت بفكر نفسي قوي وما بخاف بس الحقيقة إني اترعبت، اترعبت لدرجة الشلل ما أنا بردو بشر، بس منظر الرجلين وسوادها وحجمها رعبني، حاولت أجمع كل شجاعتي بس ما قدرتش أقوم، نفسي عربية تعدي، راحت فين العربيات؟ كأن كل العربيات اتفقت مع بعض إنها ما تعديش، أخدت نفس وأنا جسمي متلبش وشعر رأسى زي المسامير، الشعر اللي كان الهوا بيطيره من شوية وقف مبيتحركش، جسمي تلج، أخدت نفس بالعافية ولساني اتحرك ببطء، اتحرك بأكتر حاجة كنت متعود أقولها؛ الصلاة على النبي، اللهم ص.. ص.. صل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ما قدرتش أكمل أكتر من كده قعدت أكررها سبع مرات في ربع ساعة، تخيل الصلاة الواحدة كانت بتاخد أكتر من دقيقتين! لساني تقيل قوي، دايخ، رجلي مش قادرة تشيلني، كفين إيدي لزقوا في

الأرض معرفش إزاي، معرفش هل ضهري قفش فما عدت قادر أرفعه ولا حد حط صخرة تقيلة عليه فما بقى بيترفع، ولا أنا اتشليت بجد!

افتكرت أمي وهي بتقولي يوم المارد أنت ما قريتش آية الكرسي ليه؟

تفكيري في أمي قواني، كانت دايمًا بتقولي أنت أضعف من أي حد بس ممكن تغلب أي حد، طبعًا أنا أضعف من أي حد لوحدي، إنما أقوى بالله -كل ده كلام بقوله لنفسي في سري- بدأت أتشجع وأقرأ آية الكرسي، وقعدت أرددها لغاية ما التقل خف ورجلي اتحركت وضهري قدرت أصلبه.

فجأة صوت موتور العربية اشتغل، بس ما اشتغلش عادي، اشتغل بكل قوته، كأن فيه حد دايس على البنزين، صوت العربية فجأة خضني ما كنت متوقع إنها تشتغل لوحدها، كنت سايب المفتاح فيها، بس شادد فرامل اليد ونسيت وسبتها على الدي، أنا أعرف إن العربية لو مبطلة ما تشتغلش على الدي، بس مش عارف اشتغلت إزاي، وبدأت عاوزة تتحرك.

كل ده وأنا واقف جنبها ناحية اليمين، خفت أحاول ألف ناحية الشمال حاجة تنزل فرامل اليد والعربية تتحرك وتمشى قبل ما ألحق أركب، المهم بسرعة فتحت الباب اليمين ونطيت وقفلت الباب، فجأة لقيت فرامل اليد نزلت لوحدها، العربية بتاخد سرعتها كأن حد بيطلع أمريكاني، أنا لسة ناحية اليمين مذهول مش عارف أنط ناحية الشمال عشان أدوس فرامل، أرفع فرامل اليد؟ ما بتترفع، كان كل همي أحافظ على الدريكسيون عشان ما تتقلب أو تخش في الصحراء، مسكت الدريكسيون وأنا بردد لا حول ولا قوة إلا بالله، صوتي بيعلى، صوت العربية بيقل، لا حول ولا قوة إلا بالله، بردد وأنا بقف على الكرسي وبحاول أعدي رجلي الشمال، عشان أعدي الفتيس والفرامل وأنط في كرسي السواق، بالعافية وصلت، وما صدقت

دست بعزم ربنا ما يديني وضربت فرامل جامد، وقفت العربية بصرخة ولسه دايرة، شديت فرامل اليد وتنهدت وبدأت أردد الصلاة على الرسول وبعديها آية الكرسي وبأعلى صوت عندي قلت بقوة كأني بزعق "بسم الله الحي القيوم الملك المهيمن على ملكه يزول كل عارض في السيارة، بسم الله الحي القيوم الملك المهيمن على ملكه يزول كل عارض في السيارة" كررتها كمان مرة وبطلت العربية لقيت التسجيل اللي كان بطل من نفسه اشتغل تاني على القرآن الكريم. فرحت أخدت نفسي شوية ومسكت المفتاح بتردد وإيدي ترتعش ودورت العربية، دورت والأذكار على لساني والقرآن شغال، سقت بالراحة وبخوف لغاية ما وصلت لكمين الغردقة.

دخلت الكمين ،يافطة كبيرة الأحياء سهم شمال، الغردقة طوالي، سقت العربية بالراحة ودخلت البنزينة اللي في أول الغردقة، وقلت أشرب حاجة وافول العربية وأتصل بـأخو إبراهيم أعرفه إني وصلت، فولت العربية ولسه بمسك المحمول وبشوف قايمة المكالمات الأخيرة اللي اتصلوا بيا، معرفش إزاي ولا مين طير المحمول من إيدي، طار فوق كأن حد حدفه لفوق مش وقع لتحت، طار ونزل على الأسفلت، نزل يا عيني عليه حتت، حتت كأنه كباية إزاز واتدشدشت.

بقيت أبصله وابص للعامل اللي في المحطة اللي بصلي برعب وبص للتليفون وقال لي: إيه ده؟ فيه إيه يا حاج؟ مين طير تليفونك كده؟

بصتله وقلبت إيدي زي اسماعيل يس ومديت شفايفي اللي تحت، وقعدت أتهته كأني بقول له: مش أنا والله يا أخويا.

وقفت مش عارف أعمل إيه، أخدت الشريحة من التليفون اللي اتدمر تمامًا، وقررت اسأل على أي محل موبايلات، كان لازم أتصل بـأخو إبراهيم

عشان أعرف عنوانه لأنه نقل من العنوان اللي ادهولي قبل كده وقت وفاة إبراهيم، سألت ورحت لأقرب محل موبايلات اشتريت موبايل مستعمل وحطيت الشريحة واتصلت بـأخو إبراهيم: آلو، السلام عليكم، الأستاذ جابر؟

-وعليكم السلام أيوة يا مستر، حضرتك وصلت الغردقة؟

-أيوة أنا في الغردقة، ممكن العنوان أو تيجي تاخدني لو معاك عربية؟

-أنت مش هتعرف توصلي، أنا جايلك يا مستر، خليك عندك.

وصفتله المكان وجه بالعربية وسلم عليا ومشيت وراه، بيت على المحارة مكون من ثلاثة أدوار، البيت في حته مقطوعة، بعيد عن العمار خالص، كان باين من المنطقة إنها تقسيم قطع أراضي جديدة، وأخو إبراهيم أول واحد بنى فيها، مدخل البيت مش مريح خالص، ولا المنطقة كلها، قلت لنفسي إنه طبيعي بيت فيه كل الشياطين اللي لابسة البنت دي، هيبقى عامل إزاي؟

طلعت على السلم، سلم لسه مصبوب من غير رخام، سلم واقف وضيق وضلمة ومش متساوي، الدور الأول علوي، باب خشب شكله من زمن ما يتناسب مع البيت اللي لسه مبني جديد.

جابر مد إيده ورن الجرس وبعدين فتح بالمفتاح: اتفضل يا مستر بيتك ومطرحك.

استنيت لما يخش الأول، وانتظرت شوية لغاية ما نادى عليَّ مرتين، دخلت وأنا حاطط وشي في الأرض عشان ما أجرح أي حد في البيت.

دخلني أوضة فيها كنب عربي، والأرض عليها كليم فوقه شالية -وعاء من الحديد أو الفخار لإشعال الفحم- وخرج للحظة وجه ومعاه صينية

أكل، حطها قدامي وقاللي عشان يبقى عيش وملح.

حاولت أعتذر، بس هو كان مصمم ،سميت الله وأكلت معلقتين رز وشربت كام معلقة شوربة، وأكلت حتة فرخة صغيرة وحمدت ربنا ورجعت لورا، حاول معايا إني آكل تاني، رفضت وقولتله الحمد لله.

بعد محاولات منه وإصرار مني، قالي: طب اتفضل اغسل إيدك.

قام اتحرك قدامي، كان شاب طويل أسمر شعره أكرت، باين عليه إنه كان رياضي من زمن، ده باين من جسمه اللي متقسم مع بعض الدهون، مد إيده وهو بيقول لي اتفضل. وكح كحتين كأنه بيعرف أهل البيت إن فيه راجل غريب هيمر، مريت بسرعة ووشي في الأرض.

دخلت الحمام، وقفلت الباب.

معرفش ليه الحمام حر قوي كده، ومفيش هوا خالص، النفس مكتوم.

قربت من الحوض، مديت إيدي على الصابونة عشان أمسكها، اتحركت قلت يمكن اتزفلطت مني، كل ما أمد ايدي تنط، لأ بقى مش معقول كل دي زفلطة، إيه اللي بيحصل، طب أنا قولت الأذكار قبل ما أدخل الحمام، أمال فيه إيه بس؟

بصيت للصابونة وضحكت وهزيت راسى وقلت في سري بلاها الصابونة، هغسل من غيرها، مديت إيدي على الحنفية أفتحها، اتفتحت فجأة بشدة غرقتني وطرطشت على هدومي، المباية نازلة زي ما تكون سودة، أو بني غامق.

طب وبعدين هغسل أيدي إزاي؟ وهدومي اللي اتبهدلت؟

كان فيه مناديل ورق خدت منديلين ومسحت إيدي، وقلت خلاص أفتح الباب وأخرج. كان الباب مقفول بالأوكرة، أوكرة عاملة زي مفتاح البوتاجاز الصغير اللي لازم يتلف، زي الأوكر الموجودة في حمامات المولات.

أحاول أفتح، لا يمكن تفتح، يا ستي افتحي، لا يمكن، طب وبعدين؟ أعمل إيه مش عارف؟ طب الصابونة تتحرك وتنط ماشي، مش عاوزها، المياة زفت هستخدم المناديل، بس ده الباب هعمل إيه بس؟ مش معقول هكسر باب الناس وأنا ضيف، إيه العذاب ده، بس هستحمل هعمل إيه؟ أنا وعدت إبراهيم.

لما افتكرت إبراهيم، بصراحة لقيته ظهر في باب الحمام، كأنه حته من الباب، ومد إيده لف المقبض وفتح الباب.

ابتسمت وهزيت له رأسي، طبعًا محدش شايف ولا حاسس غيري، شاورلي على أوضة، معرفش أوضة مين.

أول ما بدأت أفتح الباب، لقيت أخو إبراهيم، بيتحرك ناحيتي، جه وقال لي اتفضل يا مستر، حضرتك قهوتك إيه؟

بصيت له وقولتله: يا عم أنا مش جاي أتضايف، فين البنت؟

قاللي: اتفضل.

دخلت أوضة نوم فيها سرير أطفال، سرير عرضه متر، والبنت نايمة مفتحة عينيها ومتكتفة من إيديها ورجليها بحبال غسيل، وبقها محطوط عليه لزقه طبية بيضة من اللي بتتحط على الشاش، وسايبين مناخيرها تتنفس منها، لابسة بيجامة لونها أحمر، أنا بغضب: إيه ده؟ في حد يعمل في طفلة كدة؟ البنت هتموت منكم.

كان عمرها وقتها أربع سنين، رد وقال لي: ما تستعجلش وما تفهمنيش غلط، هتعرف أنا عامل كده ليه دلوقتي.

شلت اللزق بسرعة، عشان موجعهاش واديها فرصة تتنفس، صرخ علية وقال لي: اللزق لأ.

بس أنا كنت شلته من على بقها خلاص، عينيها الدبلانين لمعت، وفتحت بقها وبدأت تطلع صوت واطي جدًا كأن فيه حد بيهمس، بس كلام مش مفهوم وتحرك رأسها على شكل دواير، فجأة لقيت أخو إبراهيم بيجري من الأوضة، ولقيت ظلال لونها أسود بتطلع من الأرض ولفت حواليا والبنت سكتت خالص، وبصت للسقف، تعبان كوبرا كبير جدًا بينزل من النجفة، الأمور اتطورت بسرعة.

جزء من الدخان الأسود بيتحرك بشكل أفقي لغاية ما وصل للحبال اللي مكتفة البنت، الحبال اتقطعت كلها، البنت بقت سايبة، فجأة نطت من على السرير ووقفت قدامي والأشباح السودة حواليا والتعبان نازل من السقف، ورأسه مرفوعة قدام وشي وواخد وضع الانقضاض، أنا سلمت أمري لله، كل اللي قولته "الله أكبر" فجأة التعبان انقض على وشي، غمضت عيني بسرعة كرد فعل تلقائي عفوي مني.

أنا ظنيت إنه عضني في وشي، فتحت عيني لقيت إيد قوية ماسكة التعبان والتعبان مش عارف يتحرك، الإيد دي كانت إيد واحد أعرفه، أعرفه كويس جدًا.

كانت إيد نيروز، بس نيروز كبر وبقى شاب قوي، طويل وأبيض ولابس درع بيلمع كأنه فضة، فيه سبع أحجار كريمة ضخمة، اللي فاكره إن كان فيهم حجر أحمر في النص شبه الياقوت، أنا ما توهتش عن نيروز، فيه حد يتوه عن

أخيه؟ ياما لعبت معاه وأنا صغير، ولعبت مع إخواتي البنات الأميرات كمان.

سيف حاد في إيده اليمين نزل بقوة على رأس الأفعى وقطعها، وبمجرد ما قطعها بقية جسمها اختفى، بالتحديد تلاشى، يعني ذاب زي الهلام -مادة شفافة زي الجيلي اللي بناكله لما يذوب- هو دلوقتي اللي واقف قدامي، هو اللي فاصل ما بيني وبين بنت إبراهيم اللي كانت قدامي بس هي مش واصله لنصي لأنها لسه صغيرة .

الأشكال السودة اللي بتلف حواليا في دايرة مقفولة لسه بتلف، كانت الأشكال السودة، بتتحرك بسرعة، بتلف من اليمين للشمال وكثافتها بتزيد، بدأت الأول زي دخان أسود خفيف ثم بدأت تتشكل من غير تحديد لشكل معين، شايف أشكال متداخلة، مش قادر أحدد بالضبط، مد أيده اللي كنت بشوفها وأنا صغير بتطول وتقصر ولفها حواليا بسرعة، إيده لفت حواليا كذا مرة كأنها محوطاني وفجأة ضمني جامد، صوت صفارة في ودني ضغط شديد على طبلة ودني -طنين- عيني وجعاني، غمضت عيني للحظات وفتحتها وفجأة لقيت نفسي في حتة تانية خالص.

لقيت نفسي في قصر كبير قوي.

أخدت نفس طويل كأن نفسي كان مقطوع أو متحاش، كأني كنت طاير في السما ومفيش أكسجين، عرش عظيم كأنه من الفضة أو الزئبق شديد اللمعان -أنا بقول كأنه لأنه ألمع من الفضة اللي عندنا بكتير قوي- مزخرف من الأعلى ومطعم بأشكال بارزة من الذهب، ذهب كأنه بريق الشمس، أحجار كريمة ضخمة مصقولة بشدة تعكس البريق، بريق بلون كل حجر، أزرق وأحمر وأخضر وفيروزي وسماوي، فيه ألوان وأحجار مش لاقيلها وصف، ألوان متداخلة وبريق يخطف العين، الأحجار الكريمة مقطوعة على

شكل سداسي وبعضها دائري، وبعضها كروي كامل الاستدارة، يبدأ العرش من الأعلى بعرض ضخم، وبيدأ تدريجيًا في الصغر كأنه جناحان ضخمان لكائن أسطوري، ينتهي العرش بكرسي ضخم مصنوع من الذهب مطعم بأحجار كريمة، أحجار مرصوصة على شكل دوائر، كل نوع حجر يصنع دائرة ضخمة، دوائر داخل دوائر حتى تنتهي بدائرة من الألماس -أو هكذا أظن- في وسطها ياقوتة ضخمة في حجم رأس رجل مصقولة ومشكلة مكتوب عليها بخط بارز (لا إله إلا الله، محمد رسول الله).

الضوء منعكس منها على جميع ما في القصر، لو بصيت على حوائط القصر تلاقي نفس جملة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) منعكسة بلون أحمر جميل صادر من الياقوتة، على جدران القصر والعرش.

الياقوتة منيرة من الداخل، زي ما يكون جواها مصدر نور غريب، نور مشع في هدوء وروعة وجلال، أسفل الياقوتة بداية التاج (مش هوصف التاج في الحكاية دي) تاج الملكة ياسمين، التي تجلس مرفوعة الرأس على كرسي ضخم من الذهب الخالص، مطعم بالفضة والأحجار الكريمة، أحجار أصغر حجمًا من أحجار العرش، لوحة رائعة لعرش منحوت ببراعة وكرسي للملك لا يقوى على صنعه إلا صناع الجن المهرة .

على حوائط وجدران القصر المذهبة نقوشات بارزة برسومات منحوتة لأشكال كائنات ما شفتهاش قبل كده، كأنها تصوير لمعارك قديمة قوي، معارك بتحكي حكايات الجن الأوائل وانتصاراتهم حتى هذه اللحظة.

سامحوني إني استغرقت في الوصف، بس الحقيقة أنا ما قدرت أوصف غير جزء بسيط، الجزء اللي يقدر القلم يكتبه، إنما حقيقة شعور الهيبة والجلال والراحة النفسية وريحة المسك والزعفران والعنبر والعود مختلطة ببعضها،

والآيات القرآنية اللي بتظهر في سقف القصر بالنور، مش قادر أوصفها، معلش القلم ساعات بيعجز عن الوصف.

كرسي العرش على ربوة عالية في القصر، ربوة من رخام أخضر، ينتهي بسلالم من مرمر .

بعد السلالم على اليمين واليسار كراسي مذهبة عليها متكئات (زي المخدات بس أضخم) من سندس (حرير أخضر) شديدة النعومة سميكة، يجلس على اليمين نيروز ابن الملكة ياسمين وعلي الشمال الأميرات، بنات الملكة ياسمين .

أنا واقف في نصف القصر، تمامًا أمام الملكة ياسمين، ورايا كبار القواد بملابس الحرب الكاملة، دروع طويلة، وأسلحة لامعة، من شدة بريقها وصقلها تظن أنها زرقاء اللون، يتقدم كبار القواد؛ رجل تظهر عليه ملامح الهيبة والقوة، يقف ورائي بخطوات، طويل القامة، له لحية بيضاء وملابس بيضاء ناصعة البياض تفوح منه رائحة المسك ويمسك سبحة طويلة تشع نور -كلمة تشع ليست تعبير مجازي وإنما كل حبة من السبحة يخرج منها نور شديد- في يده ويضع في يده اليمنى خاتم قديم ،حاسس إني أعرفه كويس أو شوفته قبل كده.

خلف كبار القواد من بداية باب القصر الضخم المفتوح الذي يقف عليه مجموعة من الجن الحجاب ،حتى امتداد البصر خارج القصر رأيت صفوفًا من الجند بملابس الحرب واقفين في صفوف منظمة، كتائب على مرمى البصر، جيش لا عدد له ولا حصر، جيش يملأ السهل والجبل، تحلق فوقهم نسور ضخمة مجنحة، وتتقدم الكتائب كتيبة كاملة من الذئاب لهم قائد ضخم، يفوقهم حجماً بثلاثة أضعاف.

الصمت التام يسود، الكل باصص ناحيتي، وأنا من شدة الموقف وجلال المكان وهيبة الحضور ساكت خالص، كانت أول مرة أخش القصر ده، وأشوف العدد ده من الجنود، كنت كل مرة بقابل إخواتي والملكة ياسمين كنت بقابلهم في الجناين ونجري ونلعب ونتكلم أو يجوا في المواقف الصعبة جدًا يساعدوني ويمشوا، بس أول مرة أدخل القصر الملكي .

الغريبة إني حاسس المرة دي إن الموضوع خطير جدًا، خطير لدرجة انعقاد المجلس، مجلس الحرب .

قولت أبدأ الكلام بالسلام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أنا بقول وعيني ثابتة على الملكة ياسمين.

-ردت السلام؛ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

انتظرت تبدأ كلامها هي الأول تأدبًا.

حمد لله على سلامتك يا محمد، أنت بتعرض حياتك للخطر كتير، من وأنت صغير لغاية دلوقتي، كل يوم حكاية جديدة وصراع جديد، إحنا قلنا لأمك وأنت في بطنها إنك مرصود، لازم تقدر ده وتحسب حساباتك قبل ما تخش في أي معركة، أنت عارف إننا عشان نساعدك بنعادي قبائل كتير؟ أنت عارف إيه اللي بيخلينا نساعدك غير إنك في منزلة ابني؟

أنا مردتش، سبتها تكمل، أنا اتعلمت من نيروز كده إن من أدب الحديث مع الملوك عدم المقاطعة.

ردت وقالتلي: عشان مفيش مرة كنت ظالم، ولا معتدي، وكل مرة كانت نيتك تساعد الناس.

عشان كده كنا بنساعدك، بنساعدك وأنت بتساعد الناس، بنرفع أذى

بإذن الله، أو نرد إعتداء بإذن الله، أو نرجع حق مظلوم ونكسر ظالم .

إنما المرة دي الأمور مختلفة، أنت مش بتواجه ساحر ولا مارد، أنت بتواجه قوة أكبر من تصورك، قوة كل هدفها تستحوذ على المفاتيح الكونية، وتفتح بوابات الهلاك على الإنس.

أنت طول عمرك نفسك تعرف أنت مين؟ وعاوز تعرف معنى الكلام اللي قالته لك أمك فاطمة ،آن الأوان إنك تعرف كل حاجة ،ربنا جعلك مؤتمن على أسرار كتير، أنت بس اللي عارفها.

بصتلها وباين عليّ إني مش فاهم: أنت مستعجب ليه؟ رزق ربنا لعباده مش محتاج سبب، أنت مؤتمن على مفتاح محبس الجان وأسرار الكتاب وختم بوابات العوالم، والأسرار العظيمة لقوة الكلمات، وتراكيب الاسم الأعظم، وحاجات كتير هتعرفها لوحدك، وفيه حاجة أعظم من ده كله بس مش مسموح لي أقولها لك، لما يجي وقتها هتعرفها، أنا عارفة إنك حاسس إنك ما تعرف حاجة من دي، وأمك أقسمت على كتاب الله إنها مش هتقولك حاجة، وأنت وعدت أمك إنك مش هتحكي حاجة من حكاياتك لغاية ما يجي اليوم الموعود، وأنت فعلًا ما تعرفش إن عندك كل ده، جدودك لما حملوا الأمانة من قبلك دعوا ربنا إن الأمانات دي تروح لواحد من نسلهم يكمل المسيرة، ولما اتولدت وأمك عرفت إنك الموعود حاولت تخبيك عن العين، وإحنا كنا حواليك وحواليها نحرسك ونحرسها وكانت حراستكم من أشرف الأعمال لإننا بنصون الأمانة ونحميها قبل كل شيء.

حكيم الجن -وشاورت على الراجل صاحب السبحة المضيئة والخاتم القديم- طلب إخفاء كل ده عنك عشان لما تتأسر أو تتعذب ما تبوح بالأسرار العظمى، الأسرار اللي ممكن تستدعي الأهوال، أهوال يدفع تمنها

العالمين؛ عالم الإنس وعالم الجن.

وبلمسة من إيده لجبهتك وبدعوته بالاسم الأعظم اللي هو بس اللي يعرفه، أنت نسيت كل حاجة لغاية دلوقتي.

والحمد لله إن هو عمل كده، ده حماك من أذى كتير، وحماك من نفسك ،بس للأسف كل قوى الشر اتجمعت واتحدت ضدك وبقى كل همهم يسيطروا عليك عشان اللي رزقك ربنا بيه، المشكلة إننا ما نقدر نحارب كل دول مجتمعين، وكل حرب بنخشها حتى لو انتصرنا فيها بنخسر كتير من أفراد القبيلة، عشان كده جه الوقت إن أنت تكون لوحدك من غير حماية من حد.

مجلس الحرب اجتمع وقرر إنه مش هيسندك تاني وآخر مساعدة عملنها لك إننا خلصنا بنت صاحبك إبراهيم من سيطرة الحن واستردينا جزء الكتاب المقطوع ودفناه مع الكتاب في مكان أمين.

قرار مجلس الحرب محدش يقدر يكسره حتى إخوتك، حتى الأمير نيروز لو ساعدك أو دخل في معركة تخصك هيتنفي من القبيلة وهيعادي مجلس ملوك الجن.

دلوقتي ليك حق الكلام، اتفضل.

أنا سكتت، وبصيت للملكة ومجلس الحرب وقرأت بعض الآيات من سورة البقرة حتى قوله تعالى (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم.)

وتوجهت بكلامي للملكة والملأ -الملأ كبار القوم- :مفيش مرة أنا كنت بدخل في صراع وأنا معتمد على إخوتي من الجن المسلم، اعتمادي كان وما زال على ربي، ربنا كان ينصرني بكم وهو القادر ينصرني من غيركم.

الاعتماد على غير الله مذلة، وطلب القوة من غيره ضعف، أنا اللي بعفيكم وبعفي كل قبائل الجن المسلم من مساعدتي بدون حرج، بدون اضطراركم لدخول معارك ما تخصكم.

شفت أخويا نيروز غاضب جدًا من قرار مجلس الحرب، إخوتي البنات بيبصولي بتأثر وزعلانين من القرار، حكيم الجن لأول مرة يطلب الكلام، وواضح إن له مكانة عظيمة عندهم، مكانة أعظم من الأمراء نفسهم.

الملكة تشير إليه بالحديث، رفع سبحته في إيده بمستوى كتفه ولف لفة كاملة، الدائرة بقيت كرة ضخمة كلها نور أخضر قوي طلع براها، وشاور عليها وبدأ الكلام:

محمد طول عمره عايش في وسطنا، وكل قبائل الجن تعرف كده، لو رفعنا عنه الحماية قبائل الجن هتطمع فينا قبل ما تطمع في محمد، وتقول إننا أضعف من إننا نحميه، وده هيشجع كل الأعداء إنها تتجمع وتهاجمنا.

شاور للكرة الخضراء، فبدأت تنقل حديث ملوك الجن من المردة والشياطين والأبالسة دون أن ينتبهوا، كانوا يدبرون لقتلي بعد تعذيبي والحصول على كل الأسرار وفتح بوابات العوالم السفلية واستدعاء كل القوى لتمهيد الطريق لخروج الدجال.

الملكة تسمع ويظهر عليها الحيرة والخوف؛ لكنها كابرت وفضلت مصلحة القبيلة على خوفها على أسرة فاطمة.

الملكة ترد: قرار مجلس الحرب قرار بالإجماع لا يمكن الرجوع فيه؛ إحنا مش هنحارب مع محمد تاني.

الحكيم يرد: ما تقوله مولاتي الملكة حق؛ لكن لا ينبغي إعلان ذلك

لقبائل الجن حتى لا تترصده الشياطين وأستأذن مولاتي أن أهديه هدية مني لعلها تنفعه.

أشارت إليه بالموافقة.

اتجه حكيم الجن ناحيتي وخلع من أصبعه خاتمه، الخاتم القديم اللي كان لابسه. وأدهوني هدية، وقال ليا: يا محمد هذه هدية لا ترد ولا تهدى لغيرك، احرص عليه كما تحرص على ولدك.

أخدت الخاتم منه وشكرته والمجلس كله كان مستغرب إزاي يفرط في ميراث جدوده الأوائل؟

حطيت الخاتم في إيدي اليمين، والملكة وقفت وقالت: السلام عليكم يا محمد، مع السلامة.

نيروز وقف واتجه ليا وحضني جامد وقبل جبيني وقالي: ربنا هينصرك، وهو وحده يكفيك.

ضمني ليه جامد وفجأة لقيت نفسي نايم في بيتي في سريري وسط ولادي في الإسماعيلية.

تليفوني بيرن: مين؟

أخو إبراهيم بيرد: مستر محمد الحمد لله إني اطمنت عليك، أنا جريت برا الأوضة أول ما شلت اللزق من على بنت إبراهيم، كنت عارف إنها بتحضرهم لما تتكلم، بس لقيت الأوضة هادية خالص، اتشجعت ودخلت لقيت البنت كويسة ورجعت تتكلم طبيعي بس ملقتكش، مش عارف أنت اختفيت فين؟ طلعت برا البلكونة ملقتش عربيتك، فاتصلت اطمن، أنت بخير؟

أنا كنت عارف إن الأحداث في عالم الجن والزمن هناك غير الزمن هنا، يعني كل النقاش في عالم الجن ده كان عبارة عن لحظة في عالمنا.

أنا برد عليه: متخافش أنا كويس، حمد لله على سلامة بنت أخيك.

واستأذنته إني أقفل التليفون، مقدرتش أقول له إني انتقلت والعربية للإسماعيلية في غمضة عين.

غمضت عيني بجد وبدأت أروح في النوم.

تمت.

محمد حمودة.

في ١/ ٨ / ٢٠٢٢

النهارده يوم عيد ميلادي التسعة وأربعين.

أنا تحررت من عهدي، كنت واعد إني محكيش عنهم لغاية ما أتم التسعة وأربعين، دلوقتي الساعة منتصف الليل ،خلاص عهدي اللي خدته على نفسي انتهى، أنا تحررت.

لازم أقول كل حاجة، لازم أعرف الناس حكايتي مع العالم الآخر، لازم يدخلوا معايا ويشوفوا ويحكموا، آن الأوان إني أفتح الأبواب، إن الناس تعرف الحقيقة كاملة بدون خداع.

هل هيسيبوني أحكي؟ ولا هيحاولوا يمنعوني؟

مش عارف، بس المهم إني هحكي، هحكي حكايات التسعة وأربعين.

محمد حمودة.